جامعة النّجاح الوطنيّة
كلّيّة الدِّراسات العليا

صورة الرسول (ﷺ) في شعر صدر الإسلام

إعداد
روضة مفيد عبد الهادي صالح

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلّية الدِّراسات العليا في جامعة النجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.
2015م

صورة الرسول (ﷺ) في شعر صدر الإسلام

إعداد

روضة مفيد عبد الهادي صالح

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2015/10/1 م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
أ. د. إحسان الديك	رئيسا / مشرفا	.....
د. حسين النقيب	ممتحنا داخليا	.....
د. رضا إغبارية	ممتحنا خارجيا	.....

الإهداء

صلـــى الإله ومن يَحُف بِعرشه والطّيبون على المبارك أحمد[1]

إلى خير الأنام محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام

إلى والديّ الكريمين – حفظكما الله ورعاكما – دعواتكما تحفظني

إلى من ذللّ أمامي الصعاب، ووقف إلى جانبي ماديًا ومعنويًا زوجي الغالي

*** عـــادل ***

رعاك المولى وأبقاك ذخرًا لنا في هذه الحياة.

إلى فلذات كبدي: أحمد، وإبراهيم، ووسيم ملاذي وقت الضيق، سدّد الله خطاكم

إلى إخواني وأخواتي وأزواجهم، وإلى عائلة زوجي، وكل من ساندني له مني كل حب وتقدير

إهداء محبّة وعرفانٍ بالجميل

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص99.

شكر وتقدير

أتقدمُ بجزيلِ الشكرِ، وعظيمِ الامتنان إلى الأستاذ الدكتور: **إحسان الديك** مشرفاً وموجهاً، على ما قدمه لي طوال فترة الدراسة، فقد كانَ صاحب الفكرة في هذا العمل، وكان نِعم المعلم والناصح لطلابه، أشكرهُ على صبرهِ، وسعةِ صدرهِ لتساؤلاتي، وجزاهُ الله عنّا خير الجزاء. والشكر الجزيل إلى عضوي هيئة المناقشة الدكتور حسين النقيب والدكتور رضا إغبارية لما قدماه لي من ملاحظات قيمة أثرت الرسالة.

كما أتوجه بالشكرِ الكبير لأساتذ تي في جامعةِ النجاحِ الوطنية،وفي قسمِ اللغة العربية تحديداً، لما أبدوهُ من تشجيعٍ ورفد الطلاب بالمعلومات، فبُوركت جهودكم، ودُمتم نبع عطاء على الدوام.

والشكرُ موصولٌ للعاملين في مكتبةِ جامعةِ النجاحِ الوطنية، خاصةً الأستاذ: فايز سلوم (أبو مازن)، ومكتبةِ بلديةِ نابلس، وكذلك في مكتبةِ بلديةِ قلقيلية، ومكتبة بلدية البيرة، والمكتبة الختتية في القدسِ الشّريف.

وكذلك كل مَنْ كانتْ لهُ يدٌ فُضلى علي خاصة شقيقتي **(رغدة)**، وقرّة عيني **(وسيم)**.

إقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في شعر صدر الإسلام

Image of Prophet Peace be upon him in The Earlier Published Literature Islam Poetry

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the research's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	روضة مفيد عبد الهادي صالح	اسم الطالب:
Signature:	.....	التوقيع:
Date:	2015/10/1	التاريخ:

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخص	ح
المقدمة	1
الفصل الأول: صورة الرسول (ﷺ) في الشعر قبل الإسلام	4
المبحث الأول: صورته عند قريش	5
1- المستوى الخاص	6
أ- عند الأم، الأم بالرضاعة	6
ب- عند الجد	10
ج- عند العم	13
2- المستوى العام	15
أ- حادثة التحكيم والحجر الأسود	15
ب- حادثة الاستسقاء	17
المبحث الثاني: صورته عند الأحبار والرهبان	21
أولاً: عند اليهود	21
ثانياً: عند الرهبان	24
1- بحيرا الراهب	25
2- ورقة بن نوفل	26
المبحث الثالث : صورته عند الكهان والجن	31
1- الغيطلة.	31
2- كاهن جنب	32
3- فاطمة الخثعمية	33
4- أحاديث شق وسطيح	34

5- كعب بن لؤي	35
6- سواد بن قارب الأزدي	36
الفصل الثاني: صورة الرسول (▫) في الشعر بعد الإسلام	40
المبحث الأول: صورته عند المسلمين	42
أولاً: صورة القائد الشجاع	42
ثانياً: صورة الكريم	51
ثالثاً: صورة الصادق	60
رابعاً: صورة الأمين	67
* الصورة الدينية للرسول (▫)	72
1- صورة المبارك	72
2- صورة خاتم النبيين	76
3- صورة صاحب الشفاعة	78
4- صورة الهادي	80
5- صورة النبي والرسول	86
* الصورة الشخصية للرسول (▫)	92
أ- صورة الأغر، الأزهر، الأبيض	93
ب- صورة البدر	96
المبحث الثاني: صورته عند الأعداء	102
أ- عند قريش وما حولها	102
ب- عند اليهود	112
ج- عند المنافقين	116
الفصل الثالث: أثر التشكيل الفني في صورة الرسول (▫)	119
المبحث الأول: اللغة والأسلوب	120
المبحث الثاني: المحسنات البديعية	139
المبحث الثالث: الصورة الفنية	148
الخاتمة	159
قائمة المصادر والمراجع	162
Absstract	b

صورة الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام

إعداد

روضة مفيد عبد الهادي صالح

إشراف

أ.د.إحسان الديك

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع صورة الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام، حيث رسم شعراء صدر الإسلام للرسول (▫) صوراً متعددة في الشعر، فكانت الصورة المعنوية والدينية والشخصية وغيرها، وظهرت صورة الأسد والسيف والبدر والهلال في أغراض الشعر المتعددة.

وتعتبر هذه الدراسة جديدة في عنوانها ومضمونها وأسلوبها، فقد وقفت على صورة الرسول (▫) في الشعر قبل الإسلام،ومن ثمَّ امتدت الدراسة لتشمل صورته بعد الإسلام، وكيف بدت في نظر الشعراء المسلمين وغير المسلمين.

واعتمدت الدراسة على المنهج التكاملي، واتكأت على التاريخي في فصلها الأول، والتحليلي في فصلها الثالث، وقد انتظم عقد هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة: فقد عرضت الباحثة فيها أسباب اختيارها الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة، والصعوبات التي اعترضتها في أثناء الدراسة،والمنهج الذي اتبعته، وأهم المصادر والمراجع التي كانت ركيزة أساسية لهذا البحث.

واشتمل الفصل الأول: "صورة الرسول (▫) في الشعر قبل الإسلام". على ثلاثة مباحث هي: صورة الرسول (▫) عند قريش، وصورته عند اليهود والنصارى، والمبحث الثالث: صورته عند الجن والكهان.

أما الفصل الثاني :فكان في مبحثين، الأول: صورته (▫) عند المسلمين، وعرضت لصورة الرسول المعنوية ومنها: صورة القائد الشجاع، والكريم، والأمين، وصورة الصادق والصورة الدينية التي ظهرت للرسول في الشعر ومنها: المبارك، وصاحب الشفاعة، وخاتم النبيين، والهادي،

والنبي والرسول، والصورة الشخصية تمثلت في صفات الأغر والأزهر والأبيض وكذلك صورة البدر والهلال. وأما المبحث الثاني: صورته عند الأعداء، وقد تناول المبحث أهم الأعداء الذين عادوا الرسول (ﷺ) والدين الإسلامي، وموقف الرسول منهم .وجاء في ثلاثة أقسام: عند قريش وماحولها وعند اليهود وعند المنافقين.

ودرست في الفصل الثالث النصوص الشعرية من حيث اللغة والأسلوب، والمحسنات البديعية والصورة الفنية.

وانتهت الدراسة بخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وذيلت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي أخذت منها وانتفعت بها.

المقدمة:

كانت صورة الرسول (▫) في صدر الإسلام حاضرة في أذهان الشعراء، فكثير من الصحابة تغنى بصفاته ومدحه في حياته، وبعد وفاته (▫)، فنجد مقطوعات وقصائد نظمها الشعراء لرسولهم الحبيب وحاولوا من خلالها إبراز صورته؛ بالوقوف على كثير من الصفات المادية والمعنوية التي تحلى بها.

وجاءت أهمية هذه الدراسة لِتكشف عن الأشعار في الكتب والمصادر القديمة، وتُلقي الضوء على أهم الصور التي ساهمت في التعريف بهذا النبي فكان الشعر مرآة حقيقية لتلك الفترة التي عايشها الرسول (▫) وصحابته. وكانت كتب التاريخ والسيرة النبوية المَعين الأول لاستخراج هذه الأشعار مثل: الطبقات الكبرى لابن سعد، والروض الأنف للسهيلي، والبداية والنهاية لابن كثير، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، وكثير من الشعراء ممن ورد لهم ذكر في كتب السيرة النبوية كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم ؛ كانت تلك المصادر خير وسيلة للكشف عن هذه الأشعار.

ومن الدراسات التي أَخَذتُ منها:

1- دراسة منور الحربي: **شخصية الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام** (رسالة ماجستير) وقف فيها الباحث على شخصية الرسول في الشعر وموقفه وموقف الخلفاء الراشدين من الأشعار كما توقف عند صفات الرسول (▫) الخَلقية والخُلقية والمميزات النبوية.

2- دراسة واضح الصمد **(أدب صدر الإسلام)**: يبحث في حياة الرسول (▫) من المولد حتى المبعث ويأتي على مكانة الشعر في الجاهلية والإسلام وأغراضه ومظاهره.

3- دراسة محمود عكاشة: **(الشعر في عصر النبوة)** تناول فيه أسماء الشعراء في ذلك العصر وأغراض الشعر في عصر النبوة واخْتُتم الكتاب ببعض خصائص الشعر في تلك الفترة الزمنية.

4- بحث علي محمد الحبوبي (**شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**): تناول فيه أشعار الشعراء ممن عاشوا مع الرسول في مكة والمدينة وأهم المناسبات والوقائع والأحداث التي استعانوا على تصويرها شعراً ليظهروا من خلالها علاقتهم بالرسول (▫).

5- دراسة مي يوسف خليف: (**شخصية الرسول في شعر مدرسة المدينة المنورة**) وتبرز الدور الذي قام به الشعراء في الرد على المشركين وإظهار صورة القائد المسلم والخطيب بعدما نزل في المدينة المنورة.

وكانت سعة المادة وصعوبة حصرها، وتوزعها في ثنايا الكتب من أهم المعيقات التي وقفت أمام البحث.

واعتمد البحث على المنهج التكاملي، وكان المنهج التاريخي ركيزةً للفصل الأول باعتباره مدخلاً لدراسة وفهم الصورة قبل الإسلام.

وانتظم عقد الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول هي:

الفصل الأول: صورة الرسول (▫) في الشعر قبل الإسلام وقد قَسمته إلى ثلاثة مباحث:

- صورته عند قريش
- صورته عند اليهود والنصارى
- وصورته عند الكهان والجن

وجاء الفصل الثاني لبيان (صورة الرسول(▫) في الشعر بعد الإسلام) وتوزع على قسمين: صورته عند المسلمين، وصورته عند الأعداء، وضمّ المبحث الأول صورة الرسول المعنوية؛ من خلال صورة القائد الشجاع، والأمين، والكريم، والصادق، والصورة الدينية، والصورة الشخصية بما حملته من صورة الأبيض والأغّر والأزهر وصورة البدر. أما المبحث الثاني فخصصته لصورته عند قريش ومن حولها، واليهود، والمنافقين. وعرض الفصل الثالث والأخير:

لِأثر التشكيل الفني في صورة الرسول (ﷺ) وذلك عن طريق دراسة الأشعار دراسة فنية والخروج بصورة متكاملة، فجاءت اللغة والأسلوب والمحسنات البديعية والصورة الفنية. وانتهى البحث بخاتمة أجملت النتائج التي توصلت إليها.

الفصل الأول

صورة الرسول (ﷺ) قبل الإسلام

المبحث الأول: صورة الرسول (ﷺ) عند قريش

المبحث الثاني: صورته عند الأحبار والرهبان

المبحث الثالث: صورته عند الكهان والجن

الفصل الأول

صورة الرسول (▫) قبل الإسلام

ليس من السهل أن يتناول المرء بالدراسة عظيماً من عظماء التاريخ، وقائداً من قادة الأمم، فما بالك بالذي يكتب عن نبي غيّر مجرى التاريخ وأقام للإنسانية صرحاً تفخر به البشرية جمعاء.

إنّ الكتابة عن شخصية الرسول الكريم (▫) مهما بلغت من النضج والشمول، لن تبلغ شيئاً يسيراً مما خطّه الله في محكم كتابه[1]، كما أنّ الكتب التي اعتنت بدراسةِ سيرته (▫) هي كتب مشهود لها أمثال: السيرة النبوية لابن هشام، وكتاب الطبقات لابن سعد، والكامل في التاريخ لابن الأثير، وغيرها الكثير، وكانت الأشعارُ التي أتت على ذكر الرسول (▫) والحديث عن صفاته، عبارة عن أبيات ومقطوعات متناثرة. حاولت الباحثة جادة الوقوف على أكثرها، لتكون من خلالها صورة واضحة للرسول في تلك الحقبة الزمنية.

المبحث الأول

صورة الرسول (▫) عند قريش

يذكر القرآن الكريم هذه القبيلة بالاسم دون غيرها من القبائل قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ ﴾[2] ويرجع نسب قريش إلى النضر بن كنانة فقد كان اسم النضر قريشاً[3]. غيّر أن شأن قريش لم يبرز في التاريخ إلا أيام قصي بن كلاب، حيث انقسمت قريش إلى قسمين:

---

[1] الفهادي، علي كمال: **شخصية الرسول في شعر حسان بن ثابت**، مجلة آداب الرافدين، العراق، عدد 24، 1993، ص2.

[2] **سورة قريش**، الآية (1-2).

[3] فروخ، عمر: **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، بيروت، دار العلم للملايين، 1972، ص46.

قسم بضواحي مكة سُمُّوا الظواهر وكانوا بدواً، والآخر في بطاحها وكانوا حضراً[1].

ولمّا كان عبد الله والد الرسول (▫) من أعز قبيلة في العرب، ومن أشرف جد في بني هاشم، عبد المطلب، كان محمد (▫) أعلى الناس نسباً وأشرفهم حسباً. وهذا ما ورد في صحيح مسلم أن رسول الله (▫) قال: "إن الله اصطفى كنانه من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانه، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[2].

ومما يُروى عن الرسول (▫) قوله (فضّل الله قريشاً بسبع خصال، فضّلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قريش، وفضّلهم بأنهم نصرهم يوم الفيل وهم مشركون، وفضّلهم بأنهم نزلت فيهم سورة من القرآن، لم يدخل فيها أحد من العالمين وهي (لإيلاف قريش)، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة، والحجابة، والسقاية)[3].

ولمعرفة كيف بدا الرسول (▫) في أشعار قريش؟ كان لزاماً تقسيم الموضوع إلى مستويين عام وخاص، حتى تتكشف معالم هذه الصورة بأبعادها المختلفة.

- المستوى الخاص:

- عند الأم:

كانت آمنة بنت وهب[4] بنت عبد مناف بن زهرة بن كلاب من قريش، أم الرسول (▫) أفضل امرأة في قريش نسباً ومكانةً، امتازت بالذكاء وحسن البيان، تزوجت من عبد الله والد محمد

---

[1] ينظر: فروخ، عمر: **مرجع سابق**، ص46.

[2] ينظر المباركفوري، صفي الرحمن: **وإنك لعلى خلق عظيم**، دار كندة للإعلام والنشر، ج1، (د.ت)، ص428. ومسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1977، ج2، ص310.

[3] الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، ط3، الكويت، الضاحية، المكتبة الإسلامية، 2000م، ص775.

[4] ينظر الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط14 بيروت، مج1، 1999، ص26.

(▫)، بعد أن رأته شاعرة من شواعر الجاهلية يُقال إنها رقية بنت نوفل وكنيتها أم قتال[1]. وفي روايات أخرى هي فاطمة بنت مر الخثعمية[2].

وكانت من أجمل النساء وأعفهن[3]، وقد قرأت الكتب. دعت عبد الله ليقع عليها وتعطيه مائة من الإبل، لكنه أبى ذلك وقال[4]:

(الرجز)

أمّـــا الْحَـــرامُ فالْحمـــامُ دُونـــه والحـــلُّ لا حـــلّ فاسْـــتبينه
فكيـــفَ بـــالْأَمر الّـــذي تَبْغينـــه يَحْمـــي الْكَـريمُ عِرْضـــه وَدينـــه؟!

ولكنّ إرادة الله شاءت أن يكون هذا النور، (نور النبوة) لآمنة بنت وهب، دون غيرها من النساء قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

وها هي المرأة تغبط آمنة على حملها، والشرف الذي حازت عليه لا يدانيه شرف وتقول[6]:

(الطويل)

ولمّـا حَـوَتْ مِنْـه أَمينـةُ مـا حَـوَتْ حَـوَتْ مِنْـهُ فَخْـراً مَـا لِـذَلك ثـانِ
ولمّـا قَضَـتْ مِنْـه أَمينـةُ مـاَ قَضَـتْ نَبَـا بَصَـرِي عَنْـهُ وَكـلّ لِسَـانِي

---

[1] السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبي حسن الخثعمي: **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية**، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ج1، 1978م، ص180.

[2] ينظر: السهيلي، أبو القاسم، عبد الرحمن: **الروض الأنف**، ج1، ص180. وينظر: صقر، عبد البديع: **شاعرات العرب**، منشورات المكتب الإسلامي، الدوحة، 1967م، ص303.

[3] فاطمة بنت مر الخثعمية، اشتهرت بالفراسة بين كاهنات العرب وأُثر عنها قول الشعر، قرأت الكتب ومنها الدينية، كانت تقيم بين أهل تبالة، وقيل بمكة توفيت612م، ينظر سكر، عزمي: **معجم الشعراء في تاريخ الطبري**، ط1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1999م، ص330.

[4] السهيلي، أبو القاسم: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ج1، ص180. ابن هشام: **السيرة النبوية**، تح السقا وآخرون، ج1، ص156.

[5] **سورة البقرة**، آيه 117.

[6] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: **أعلام النبوة**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص188. وصقر، عبد البديع: **شاعرات العرب**، مرجع سابق، ص304.

لقد حلّ في جسد آمنه الطاهر نور عظيم، إنه نور النبوة، التي كانت تلك المرأة تبغي الحصول عليه، ولكن بمجرد زواج عبد الله بآمنة غادره ذلك النور، لذلك نراها تغض الطرف عن الزواج به، وتُطلق في ذلك مثلا "قد كان ذلك مرة، أما اليوم فلا "[1].

وقد عبرت المصادر والكتب عن فخر آمنة به وجاء على لسانها، بعد أن قيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة: "أعيذه بالواحد من شر كل حاسد". ثم تسميه محمدا[2].

كما أنها "أي السيدة آمنة" لم تجد مشقة حتى وضعته، ورأت حين وضعته نوراً يخرج معه أضاء قصور الشام[3].

وبمجرد ولادة هذا الطفل اليتيم، أرسلت السيدة آمنة إلى جده عبد المطلب وحدّثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها أن تسميه[4].

وكان من عادة العرب وأشرافهم أن يسترضعوا أولادهم[5]، في البادية، حتى تستقيم أجسامهم، وتصح ألسنتهم، بما تُوفره البادية من هواء نقي، وصفاء في الطبيعة.

- **الأم بالرضاعة:**

خرجت حليمة السعدية[6] مع نسوة من بني سعد تلتمس الرضعاء في سنةٍ لم تبقِ لهم شيئا، فخرجت على أتان ومعها شارف[7]، برفقة زوجها وابن لها صغير[8].

---

[1] ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي البصري: **الطبقات الكبرى**، تح محمد عبد القادر، بيروت، لبنان، ج1، ص77.

[2] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري: **السيرة النبوية**، تح مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1972، ص166.

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص81.

[4] يُنظر: ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي: **البداية والنهاية**، تح احمد أبو ملحم وآخرين، ط1، دار الديار للتراث، 1988، ص246. ويُنظر: ابن سعد **الطبقات الكبرى**، ص82-83. والسهيلي: **الروض الأنف**، ص184.

[5] ابن منظور، جمال الدين بن مكرم: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر. (د.ت)، مادة (رضع). وتعني طلب المرضعة لأولادهم.

[6] بنت ابي ذؤيب عبدالله بن الحارث بن جابر السعدي البكري الهوازني، من أمهات النبي (ﷺ) في الرضاعة كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية.(...-بعد8هـ=...بعد630م) ينظر الزركلي: **الأعلام**، مج2، ص272.

[7] الشارف: الناقة المسنة.

[8] يقال إن اسمه عبد الله بن الحارث، ينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص171.

ولما ذُكر لها محمد (▫)، ورأت النسوة أعرضت عنه – متى عُرف أنه يتيم– ترددت في أخذه، لكن زوجها دعاها أن تأخذه لعلّ الله يجعل لهم فيه الخير والبركة.

وما أن ركبت ناقتها حتى غذت بها الخطى، وابتعدت كثيراً عن صُويحباتها، حتى قلن لها يا حليمةُ ما صنعتِ؟ قالت إنها أخذت خير مولود وأعظمهم بركة[1].

وما أن وضعته السيدة حليمة في حجرها حتى أقبل ثدياها عليه فشرب (▫) حتى روي وشرب معه أخوه، وكان لا ينام من شدّة الجوع.

تُرى ما هي النفحاتِ المباركة التي حملها ذلك اليتيم معه إلى ديار بني سعد؟

أهي بركة الحليب الذي جعله الله مباركًا في صدر مرضعته؟ أم هي في خصب الأرض والماشية التي باركها الله لمنزلة ذلك الطفل المبارك، وحلوله تلك البلاد؟ تقول حليمة: "لما قدمنا منازلنا من بني سعد، ما أعلم أرضًا من أرض الله أجدب منها، وكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شبّاعا لبّنا، فنحلب ونشرب وما يحلب إنسان قطرة لبن ولا يجدها في ضرع. مما دعا القوم أن يسرّوا لرعيانهم: ويْحَكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا"[2].

كانت أمهُ آمنة بنت وهب قد علمت أنها حملت ووضعت خير مولود، وكانت تخشى عليه، فعندما خرجت به حليمة إلى ديار بني سعد جعلت أمه آمنة تُعوذه وتقول[3]:

(الرجز)

أُعِيـــــذهُ بِـــــاللهِ ذِي الْجَـــــلالِ مِـنْ شـرِّ مـا قَـدْ مـرَّ علـى الْجِبـال
حتّـــــى أَراهُ حامِـــــل الْحَـــــلالِ وَيَفْعَـــلُ العُـــرف إلـــى الْمَـــوالي
وغيْرهم مِنْ حَشْوةِ الرِّجال

---

[1] يُنظر السهيلي:**الروض الأنف**،ص185، وابن سعد:**الطبقات الكبرى**.ص90

[2] السهيلي:**الروض الأنف**،ص184–ص185. وينظر ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص90. وابن هشام، **السيرة النبوية**، ص170–171.

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، مصدر سابق، ص90.

تكشف الأبيات حرص الأم وخوفها على وليدها من أي سوء أو مكروه قد يحيط به وهذه التعويذة قديما تُرادف الرقية الشرعية بمفهومها الحالي، وفيها تُعبِّر آمنة بنت وهب عن رغبتها أن يكبرَ غلامها ويصبح أفضل الرجال؛ بما سيمتاز به عن أقرانه من حبٍ للخير ومساعدةٍ للمحتاج، وأمرٍ بالمعروف،وسيادةٍ على قومه.

لم تكن تعلم أمه بما ينتظره في البادية، فعندما بلغ أربع سنين، أتاه ملكان، وشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء وطرحاها وغسلا بطنه، ثم وُزِن بألف من أمته فوزنهم، بعد ذلك أسرع أخوه بالرضاعة يصيح بوالدته حليمة: أدركي أخي القريشي!

ويجدانه منتقع اللون، وتخاف حليمة عليه وترده لأهله في مكة، رغم أنفهم، بعد أن رأت وسمعت الكثير من البركة والخير على يديه في البادية[1].

كان محمد (ﷺ) مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم ،في كلاءة الله وحفظه يُنبته نباتاً حسنا،لما يريد به من كرامته، فلما بلغ (ﷺ) ست سنين، تُوفيت والدته آمنه بالأبواء بين مكة والمدينة، وهي عائدة به إلى مكة[2].

- **عند الجد:**

عبد المطلب[3] هو جد الرسول (ﷺ) كان أحسن قريش وجهًا، وأمدها جسمًا وأحلمها حلمًا وأجودها كفًا، لم يَره ملك قط إلا شفعه[4].

---

[1] ينظر: ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، مصدر سابق، ص90.

[2] ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص168.

[3] اسمه شيبة ولد عام 497م، وعبد المطلب لقبه، وكنيته أبو الحارث، اشتهر بالمروءة والبلاغة نال الرفادة والسقاية، وصار سيد قريش، وبعد أن غدا أبا لثمانية عشر ولدا، اعتقد بإيفاء نذره بذبح ابنه عبد الله، وكان أحب أبنائه إليه، وافتداه بنصيحة العرافة بمئة جمل، قيل إنه أول من خضب شعره بالسواد بين العرب،توفي عام 579م. ينظر سكر، عزمي: **معجم الشعراء في تاريخ الطبري**، مصدر سابق، ص281-282.

[4] البغدادي، محمد بن حبيب: **المنمق في أخبار قريش**، تعليق خورشيد حمد فارق، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1985م، ص22.

وتُقر كتب التاريخ والنسب أن أوثق صلات بني هاشم كانت مع عبد المطلب[1].

لمّا تُوفيت آمنة بنت وهب كفل محمداً (ﷺ) جده عبد المطلب،وضمه ورق عليه رقّة لم يرقها على ولده.

وكان يُقربه ويدنيه منه، وكان يجلس على فراشه ويقول دعوه[2]، وكان يُقبل رأسه وفمه، ويمسح ظهره، ويسّر بكلامه،وما يرى منه[3].

ولا عجب فيما يفعله الجد مع حفيده، إذ سُرّ به كثيراً بعد أن نظر إليه بعد ولادته، مما دعاه إلى حمله إلى الكعبة والدعاء والشكر لله على ما أعطاه قائلاً[4]:

(الرجز)

الْحَمْـــدُ للهِ الّـــذي أَعْطـــانِي ... هـــذَا الْغـــلُام الطيِّـــب الأردان[5]
قَـدْ سَـادَ فـي الْمَهـدِ علـى الْغلمـان ... أُعيـــذه بالبَيـــت ذي الْأَركـــانِ
حتّـــى يَكُـــونَ بُلغـــةَ الْفتيـــانِ ... حتّـــى أَرَاهُ بَـــالِغ الْبُنيَـــانِ
أُعيـــذه مـــنْ كُـــلِّ ذي شَـــنآن ... مِـــنْ حَاسـد مُضـطرِب الْعَنـانِ
ذي همَّـــة لْـــيسَ لَـــهُ عَيْنَـــانِ ... حتَّـــى أَرَاهُ رَافِـــعَ اللِّسَـــانِ
أَنْـتَ الّـذي سَـمّيتَ فِـي الْقُـرآنِ ... فِـــي كُتُـــبٍ ثَابِتَـــة المَثَـــانِي

أَحْمَد مَكْتُوب عَلى اللسان[6]

ويبدو أن الجد قال ما قال خوفًا على صغيره، ودرءًا للشر واتقاءً لأعينِ الحسّاد. فدخل به بيت الله الحرام وأخذ يُعوذه ويدعو له[7]. وإذا أخذنا بما روته كتب السيرة والتاريخ بأن آمنة بنت وهب

---

[1] سعيد، محمد: **النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام**، ط1، بيروت، لبنان، دار الساقي، 2006م، ص400.

[2] العاملي، السيد محسن الأمين: **سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد**، بيروت، دار الفكر العربي، 1968، ص9.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص168.

[4] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص82–83. وينظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ص246. السهيلي: **الروض الأنف**، ص184.

[5] جمع ردن وهو الكم.

[6] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ص264–265. وينظر السهيلي: **الروض الأنف**، بصيغة أخرى (احمد مكتوب على البيان)، ص184. وابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص83.

[7] السهيلي: **الروض الأنف**، ص184.

والدة النبي (ﷺ) قد أخبرت جده بما رأته من البشائر مدّة حملها؛ لا غرابةَ أن نجد أبيات عبد المطلب التي يدعو الله عز وجل فيها بالفطرة تتضمن وما يتفق مع تلك البشائر، بأن يحفظ هذا الوليد ويعلي شأنه[1]، وتتجلى دعوة الجد الصادقة أن يحفظ الله هذا الوليد بعد أن أتت به مرضعته لترده إلى أهله في مكة ويضل عنها ويلتمسه جده ولا يَجده ويقول[2]:

(الرجز)

ربِّ رُدَّ إلـــيّ رَاكِبِـــي مُحَمـــدًا رُدَّه إلـــيّ واصْـطَنِعْ عِنْـدِي يَـدا

وفي رواية أخرى يذكرها البيهقي رحمه الله[3]:

(الرجز)

يَـــا ربِّ إنَّ مُحَمَـــدًا لَـــمْ يُوجَـــدْ فَجَمـــعُ قَـــوْمِي كُلّهـــم مُبَّـــدد

فكأن الجد يُصور ضياع كل القوم وتفرقهم، بضياع هذا الغلام المبارك وعانقه جده وهو يبكي، ونحر عبد المطلب عشرين جروزًا وأطعم أهل مكة[4].

كان عبد المطلب يُؤثر محمدًا، ويخشى عليه بعد وفاته، وقد أوصى بكفالته ابنه أبا طالب وفي ذلك يقول[5]:

(الرجز)

أُوصِـيكَ يـاَ عَبْـدَ مَنَـاف بَعْـدِي بِمُـــوْتِمٍ بَعـــدَ أَبِيـــهِ فَـــرِدِ
فَارَقَـــهُ وَهْـــوَ ضَـــجِيعِ الْمَهْـــدِ فَكُنْـــتُ كَـــالْأُمِ لَـــهُ فِـــي الْوَجْـــدِ

---

[1] حمدان، عاصم علي: من **بواكير شعر المنافحة عن الرسول (ﷺ) والتبشير بالرسالة**، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، مج16، 2008، ص16.

[2] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص90–91.

[3] الهيتمي: احمد بن محمد بن حجر: **المنح الملكية في شرح الهمزية**، تح بسام محمد بارود، ط1، بيروت، دار الحاوي للطباعة والنشر، ج5، 1998، ص253.

[4] الهيتمي، احمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**، مصدر سابق، ص253.

[5] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1994، ص9. وينظر: السهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ص185.

ويَظهر حزن الجد على فراق حفيده، وذلك لشعوره بدنو أجله، وترْكِه هذا اليتيم وحيداً. فقد مات والده وهو في بطن أمه، وقد تركته أمه يتيماً صغيراً، فكان الجد يحنو عليه كما الأم على صغيرها. ولكن لماذا اختار عبد المطلب أبا طالب ليكفل محمداً من بعده دون سائر إخوته؟ لقد توسّم فيه من الرعاية الكافية والاهتمام بمحمد لشدة حبه له، فلقد كان يحبه حبًّا شديداً، لم يحبه لولده، وكان أبو طالب لا ينام إلا إلى جانبه وإذا خرج يُخرجه معه[1].

- **عند العم:**

اسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم[2]، وكنيته أبو طالب، عم النبي (ﷺ)، وشاعر جيد الكلام، وكان عبد الله والد الرسول (ﷺ) وأبو طالب أخوان لأب وأم، وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ[3].

وقد كفل الرسول (ﷺ) بعد وفاة جده، وأحسن تربيته، ويُذكر أنه إذا رأى محمداً بكى وقال: إذا رأيته ذكرتُ أخي فقد كان شديد الحب له والحنو عليه[4].

لقد كان على شدة فقره أنبل إخوته وأكرمهم وأعظمهم مكانةً في قريش، ولقد قام برعاية محمد (ﷺ) أفضل قيام. فكان يخصهُ بالطعام وكان أولاده يصبحون رمصاً شعثاً، ويصبح رسول الله (ﷺ) كحيلاً دهيناً[5].

كان محمد (ﷺ) شديد التعلق بعمه أبي طالب، وكان لا يفارقهُ أبداً، وأراد أبو طالب الخروج للتجارة إلى الشام، ولما تهيأ للمسير صبّ[6] به الرسول (ﷺ)، فرقّ له عمه وكان أن خرج به معه، ومما قاله أبو طالب في ذلك[7]:

---

[1] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص10.

[2] شامي، يحيى: **موسوعة شعراء العرب**، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، 1999م، ج1، ص231.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص164.

[4] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص10.

[5] ابن سعد: **سيرة الرسول**، دار الفكر للجميع، 1968، ص10.

[6] الصبابة: رقة الشوق، يقال صببت بكسر الباء، ينظر: **السيرة النبوية**، ابن هشام، ص165.

[7] السهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ص208. والتنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص87.

(الطويل)

أَلَـمْ تَرَنِـي مِـنْ بَعْـدِ هَـمٍّ هَمَمْتَـه ... بِفُرْقَـةِ حُـرّ الوَالِـدينِ كِـرَام
بِأَحْمَـد لمّـا أَنْ شَـددْتُ مَطِيَّتِـي ... لِتَرْحَـل إِذْ وَدْعتُـه بِسَـلَام
بَكَـى حُزْنًـا والْعِـيسُ قَـدْ فَصَـلَت بِنَـا ... وَأَمْسَـكْتُ بِـالْكَفينِ فَضْـلَ زِمَـام
ذَكَـرْتُ أَبَـاهُ، ثُـمَّ رَقْرَقَـت عَبْـرة ... تَجُـودُ مِـن الْعَينَـينِ ذَات سِـجَام
فَقُلْتُ: تَرُوح مَعَ الْعِيرِ التي رَاحَ أَهْلُهَا ... شَآمي الْهَوى، وَالْأَصلُ غَيرِ شَآمي

ويظهر أبو طالب تعاطفه مع ابن أخيه اليتيم، وتذكره لأخيه عبد الله الذي كان يحنو عليه، ولم يبق إلا هذا الطفل اليتيم من ذكر هذا الأخ الشقيق، الذي تفوق بحبه منزلة أولاده، ويَذكر أنه قال يمدحه وهو صغير[1]:

(الكامل)

إنَّ الأَمِـينَ مُحمـدًا فِـي قَومِـه ... عِنـدي يَفُـوقُ مَنَـازِل الْأَوْلَاد
لمَّـا تَعلَّـق بِالزِمَـامِ ضَـممتُه ... والْعِـيس[2] قَـدْ قَلصـنَ بِـالأَزْوَاد
فَـارْفَضَّ مِـنْ عَينِـي دَمْـعٌ ذَارِفٌ ... مِثْـلَ الْجُمَـانِ مُفـرقٌ بِبِـداد[3]
رَاعَيـتُ فِيـهِ قَرَابَـة مَوْصُـولة ... وَحَفِظـتُ فِيـهِ وَصِـيَّة الْأَجْـدَاد

وهو هنا يشير إلى صفة الرسول في قومه "الأمين" وما حبه وتفضيله له على أبنائه إلا لما كان يمتاز به (ﷺ) ولما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ، فشبّ رسول الله (ﷺ) والله تعالى يحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية. حتى بلغ أن كان رجلاً، أفضل قومه مروءةً وأحسنهم خلقًا وأكرمهم حسبًا، وأحسنهم جوارًا وأعظمهم أمانَة حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين[4].

---

[1] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص38.

[2] العيس: الإبل النشيطة البيضاء إلى كدرة، مفردها أعيس وعيساء، ينظر التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص38.

[3] ارفض: تتابع سيلانه متفرقا. ذارف: سائل. البداد: اللبد تحت السرج والقتب.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص167.

المستوى العام:

هناك أحداث تاريخية ومحطات مهمة عاشها وعاصرها رسولنا الكريم، محمد بن عبد الله (ﷺ) قبل البعثة،كان لها أبلغ الأثر في رسم معالم شخصيته الفذّة، التي فاضت على البشرية بالخير والنور والعطاء[1]، وأهم تلك الأحداث:

أولا: حادثة التحكيم والحجر الأسود[2]:

لمّا بلغ الرسول (ﷺ) خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبناء الكعبة[3]، ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها، حتى بلغ البنيان موضع الركن[4] اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، و تحاوروا وتخالفوا وأعدوا للقتال، وكادت نار الحرب أن تشتعل بين بني عبد الدار وبني عدي، فقربوا جفنة مملوءةً دماً[5] وتعاهدوا على الموت، ودامت الخصومة أربع ليال أو خمسا قبل أن يبادرهم أبو أمية بن المغيرة – وكان أسن قريش عامئذ–، يا معشر قريش اجعلوا بينكم –فيما تختلفون فيه، أول من داخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم، ففعلوا.

وكان أول من دخل عليهم رسول الله (ﷺ)، فلما رأوه قالوا :هذا الأمين، رضينا هذا محمد.

---

[1] الكعبي، عبد الحكيم: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، عصر النبوة وما قبله، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003 م، ص233.

[2] الحجر الأسود: الحجر المنصوب في الركن الشمالي للكعبة المشرفة من الخارج في غطاء من الفضة وهو مبدأ الطواف، ويرتفع عن الأرض الآن، مترا ونصف المتر، وقيل ذراع ما بين الحجر الأسود والأرض ذراعان وثلث ذراع.

[3] بنيت الكعبة خمس مرات، الأولى بناها شيت بن آدم، والثانية حين بناها ابرهيم، والثالثة حين بنتها قريش هذه المرة،وكان ذلك قبل الإسلام بخمس سنين، والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير، فلما قام عبد الملك بن مروان هدمها، لأنه لم يعجب بما فعل ابن الزبير في بنائها وبناه على ما كانت عليه في عهد رسول الله (ﷺ)، ينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص204.

[4] الركن: أي الحجر الأسود، وسمي ركنا لأنه مبني في الركن. ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص209.

[5] جفنة الدم: وتسمى لعقه الدم، ادخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، وتعاهدوا على الموت. يُنظر: **السيرة النبوية**، ص182.

وعندما أخبروه الخبر قال(▫): هلّم إلي ثوبًا، فأُتي به، فأخذ الحجر، ووضعه فيه، وقال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا. ففعلوا: حتى إذا بلغوا موضعه. ووضعه هو بيده الشريفة ثم بنى عليه[1].

يكشف هذا الحدث عن إقرار جماعي من قريش بحكمة الرسول (▫) وسداد رأيه. ورجاحةِ عقله، وفي هذا يقول هُبيرة بن أبي وهب المخزومي[2]:

(الطويل)

تَشاجَرتْ الأحْيَاءُ فِي فَصْلِ خُطةٍ ... جَرَتْ بَيْنَهُم بِالنّحْسِ مِنْ بَعدِ أسْعَد
تَلاقَوا بِها بِالبُغضِ بَعدَ مَودَّةٍ ... وأوقَدَ نَارا بينَهم شَرَّ موقِد
فلمّا رَأَيْنَا الأمْرَ قَدْ جَدّ جِدّه ... وَلَمْ يَبْقَ شَيءٌ غَيرِ سَلِّ المُهنَّد
رضِينَا وَقُلْنَا العَدل أَول طَالِعٍ ... يَجِيءُ من البَطْحاءِ مِنْ غَيرِ مَوْعِد
ففَاجأَنَا هَذا الأَمِينُ مُحمد ... فَقُلنَا رَضِينَا بِالأَمينِ مُحْمد

يصور الشاعر من خلال الأبيات السابقة الحدث بكل مُجرياته، وكيف أرادت كل قبيلة أن تنال الشرف في وضع الحجر الأسود مكانه، وقد وصل الأمر بهم إلى سفك الدماء لولا إرادةُ الله، إذ ظهر النبي محمد (▫) وقد بدا الفرح على وجوههم بظهوره، لأنه كانت له مكانة مرموقة في مكة؛ فقد كان أهلُها يلجأون إليه في حل منازعاتهم، وفي تفسير ما أُخفي وغمّ عليهم من بعض القضايا[3]. هذا الحدث كان له أهمية خاصة عند الرسول (▫) والقبائل العربية وكذلك في قريش تحديداً،لأنه وقع قبل بعثته (▫) بما يقارب خمس سنوات[4] وقد كانت قريش تُسمي رسول الله (▫) بالأمين قبل أن ينزل عليه الوحي[5]، وإلى قضية التحكيم هذه يُشير عمر فروخ في كتابه

---

[1] ينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص182.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص197.

[3] ينظر، ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص197.

[4] الكعبي، عبد الحكيم: **موسوعة التاريخ الإسلامي عصر النبوة** وما قبله، الأردن، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003م، ص238.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص183. وينظر: الأندلسي، أبو الفضل عياض بن عمرو اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح كمال بسيوني زغلول المصري، مؤسسة الكتب الثقافية، 1995، ج1، ص108.

"تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية"[1] بأن هذا التحكيم يدل على أمرين: وجاهة محمد وأسرته في قريش، وعلى مزايا محمد الشخصية التي كانت موضع احترام كبير. لقد ظهر كثير من هذه المزايا لأهل مكة والقبائل المجاورة وقد أتى على كثير منها هبيرة في أبياته السابقة كالعدل والأمانة والحكمة في فض الخلاف، فقد أنقذ محمد (ﷺ) مكة من حرب كادت تنشب بين القبائل وحسم الخلاف الذي كان يهدد وحدتهم، وقد يتساءل البعض ويقول من أين لهذا اليتيم الفقير بهذا الأدب الرفيع؟ وكيف اجتمعت فيه كثير من صفات النبل والأخلاق الحميدة؟ فذلك ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٤ ﴾[2].

ثانيا: حادثة الاستسقاء:

تتابعت على قريش سنون ذهبن بالأموال واشفين على الأنفس، فقالت رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف[3]: سمعت في المنام قائلاً يقول: يا معشر قريش إن هذا النبي المبعوث منكم وهذا إبان خروجه وبه يأتيكم بالحيا والخصب، فانظروا رجلاً من أوسطكم نسباً طوالاً عظاماً، أبيض مقرون الحاجبين فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن، ثم ارقوا إلى أبي قبيس، ثم يقدم هذا الرجل ويستسقي وتؤمنون فإنكم ستسقون وأصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا الصفة، صفة عبد المطلب واجتمعوا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي (ﷺ) وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال:

لا هم[4]، هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك وإماؤك وبنات إمائك قد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشقت على الأنفس فاذهب عنا الجدب، وائتنا بالحيا

---

[1] فروخ، عمر: **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، مرجع سابق، ص51.

[2] سورة **الجمعة**، آية (4).

[3] من الشواعر ذوات الفصاحة والبلاغة، أوردها الطبراني وابن جعفر في الصحابيات، كانت أشد الناس على ابنها مخرمة قبل أن يسلم، ينظر الوائلي عبد الحكيم:**موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين**، ط1، عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، 2001، ص36.

[4] يعني اللهم.

والخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية وبرسول الله سقوا فقالت رقيقه بنت أبي صيفي بن هاشم ابن عبد مناف[1]:

(البسيط)

بِشَـيبَةَ[2] الْحَمـدُ أَسـقى اللهُ بَلـدَتنا وَقَـدْ فَقَـدْنا الْحَيـا واجْلَـوّذ المَطَـرُ
فَجَـادَ بِالْمَـاءِ جُـونِي لَـهُ سُـبُل دَانٍ فَعاشَـت بِـه الْأَنعـامُ والْشَّـجَرُ
مَنَّـا مِـنَ اللهِ بِـالمَيمُونِ طَـائِره وَخَيْـر مَـنْ بَشَّـرتْ يَوْمًـا بِـه مُضَـرُ
مُبـارَكُ الأمْـر[3] يُسْتَسْـقى الغمَـام بِـه مـا فـي الأَنَـام لَـهُ عَـدلٌ وَلاَ خَطَـرُ

وفي هذه الأبيات التي يَرِد فيها الاستسقاء بالرسول (▫) وهو غلام مع جده عبد المطلب وذلك بعد أن أجدبت الأرض وهلك الزرع. مخالفة وقع فيها الكثير، حيث نسبوا بيت أبي طالب[4]:

(الطويل)

وَأبْـيَض يُسْتَسْـقى الغمَـام بوَجْهِـه ثِمـال اليَتَـامى عصْـمةٌ للأَرَامِـل[5]

إلى جده عبد المطلب، وقد أورد ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قوله: "قدمت مكة وهم في سنة قحط فقالت قريش: يا أبا طالب: اقحط الوادي واجدب العيال فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجنة تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب وألصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وانفجر الوادي، وأخصب النادي وقال أبو طالب[6]:

---

[1] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت، دار الجيل، 1974، ج1، ص39.

[2] شيبة: اسم عبد المطلب جد الرسول (▫).

[3] وردت برواية أخرى (مبارك الوجه)، ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص54-55. وكذلك البلاذري، احمد بن يحيى: **أنساب الأشراف**، تح محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف، ص82.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص252. وينظر التنوجي، محمد: **أبو طالب عم النبي**، ص67.

[5] ثمال بكسر المثلثة: الملجأ، والعصمة: الحافظ من الضياع، والأرامل: المساكين رجالا ونساء لكن النساء أكثر استعمالا. ينظر: الهيتمي: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، ص286-287.

[6] الهيتمي، احمد بن محمد بن حجر: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، ص286.

وَأبْـيَض يُسْتَسْـقى الغمَـام بوَجْهـه ثمَـال اليَتَـامى عصْـمةٌ للأَرَامَـل

وهنا يمكن الجمع بين الروايات المختلفة بتكرار الواقعة، إذ إن واقعة أبي طالب كان الاستسقاء به عند الكعبة، وواقعة عبد المطلب كان أولها أنهم أمروا باستلام الركن ثم بعد ذلك رقي جبل أبي قبيس[1].

ولكن بيت أبي طالب الذي يمتدح فيه الرسول (▫)، يمكن القول فيه بأنه قد ذكر هذا البيت إثر هذه الواقعة ومن ثم أكمل قصيدته بعد البعثة النبوية[2].

ومما يعزز قولنا هذا، ويؤكد أن منشىء البيت هو أبو طالب، قول الرسول (▫) عندما استسقى لأهل المدينة: "لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره"، فقال أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله:

وَأبْـيَض يُسْتَسْـقى الغمَـام بوَجْهـه ثمَـال اليَتَـامى عصْـمةٌ للأَرَامَـل

قال: أجل[3].

وقد أورد ابن سلام الجمحي في طبقاته قوله عن أبي طالب: "وكان أبو طالب شاعراً جيد الكلام، أبرع ما قال قصيدته التي امتدح فيها النبي(▫):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه.....، وأضاف أن القصيدة زيد فيها وطولت، ولا يدري أين منتهاها، وقد سأله الأصمعي عنها وقال:" صحيحة جيدة"[4].

وقد اشتهرت قصيدة أبي طالب اللامية في مدح الرسول (▫) وحوطه وحمايته وحقيقة ما جاء به من رسالة خالدة حيث يقول فيها[5]:

---

[1] ينظر: الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، مصدر سابق، ص268.

[2] الهيتمي: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، ص288.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص252.

[4] الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، شرحه محمود محمد شاكر، الرياض وزارة المعارف، 1974، ص245.

[5] عرجون، محمد الصادق إبراهيم: **محمد رسول الله**، ط21، دمشق، دار القلم، 1995، ص314-315، **وديوان ابي طالب** ص72-73.

(الطويل)

فَـلَا زَالَ فـي الـدنْيا جَمـالاً لأهْلهـا وَزَيْنًـــا لمَـــن وَالاهُ رَب المَثَاكـــل
لَقَـدْ عَلمـوا إن ابْنَنـا لاَ مُكَـذب لَـديْنا وَلاَ يُعْنَـــــى بقَـــــوْل الأَبَاطـــــل

إلى أن يقول:

(الطويل)

فأيّـــــدَه رَب العبَـــــاد بنصْـــــره وَأَظْهَـر دينـا حَقـه غَيـر بَاطـل

وهذا يؤكد ما أوردناه سابقًا، بأنه قال بيت الاستسقاء في الرسول (▫) قبل البعثة، ومن ثم أكمل القصيدة بعد الإسلام، حيث تتضح إشارات كثيرة في القصيدة يأتي فيها على ذكر الرسول (▫) والذود عنه وحمايته وكيف أظهر الله الحق على يديه[1].

إذًا فقد كان المستسقى به الرسول (▫) وهو غلامٌ مبارك في الأرض والسماء، وسقى الله به الحياة، قبل البعثة وبعد الإسلام، ولله درّ أبي طالب الذي أجاد في وصفه بأبرع قصيدة وصفها ابن سلام في طبقاته، وقد أدخله في عداد الشعراء، لوجود ديوان شعر يُنسب إليه وقد ورد أكثره في سيرة (ابن اسحق)، واسمه (عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم)[2].

هذه كانت واقعات حياته (▫) قبل البعثة – في طفولته– وفي شبابه، تصوّر لنا أدق تفاصيل حياته، وفي سلوكه وسيرته قبل الرسالة، وتلقي الضوء على كثير من الصفات التي كرمه الله بها كالصدق، والأمانة، التي شهد بها الكثير، ومنهم علي بن أبي طالب في قوله "كان رسول الله (▫) ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم صدقه وأمانته،وقد تأخر في هجرته إلى المدينة لانشغاله برد الودائع التي كانت عند الرسول(▫)"[3]. وحكمته وقدرته على تجاوز المحن؛ فكان الملجأ لأهل مكة وما حولها، وكان (▫) مباركًا، رضيعًا، طفلًا، وشابا، واقتضت حكمة الله أن يصطفيه، وليس لأحد إلا له سبحانه الأمر من قبل ومن بعد.

---

[1] عرجون، محمد الصادق: **مرجع سابق**، ص314–315.

[2] ينظر: علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**. ط1، بيروت، دار العلم للملايين، 1972، ج9، ص697.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص129.

المبحث الثاني

صورته عند الأحبار والرهبان

أولاً: عند اليهود:

عرف العرب في الجاهلية اليهود، وورد ذكرهم في الشعر الجاهلي[1]، ووردت لفظة "لم" في القرآن الكريم في مواضع مختلفة[2]، لكن ما وصل إلينا من شعر يهود الجاهلية قليل جداً لا يعدو بضع قصائد وأبيات مبعثرة في أمهات كتب الأدب العربي[3]. وقد يرجع سبب قلة ما وصل إلينا من شعرهم في الجاهلية إلى ضعف إقبالهم على اعتناق الدين الإسلامي[4]، مقارنةً بالذين اعتنقوا الإسلام وخلدوا مجدهم وآثارهم شعراً.

قد حفلت المصادر الإسلامية بكثير من الاقتباسات والنصوص من كتب اليهود والأحبار[5] الذين أخبروا عن ظهور نبي مصلح في آخر الزمان، وفق ما جاءت به كتبهم تلك[6].

وكانت صفة الرسول (ﷺ) مؤكدة في التوراة والإنجيل، لكن اليهود والنصارى أنكروها بل أضاعوا بعض الأناجيل التي نصت على ذلك[7].

وقد نصت الآيات القرآنية على ظهور اسم الرسول محمد (ﷺ) في كتبهم قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[8].

---

[1] علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، مصدر سابق، ج6، ص511.

[2] وردت في سورة **البقرة** آية 113، 120، وسورة **المائدة** آية 18، 51، 64، 62، وسورة **التوبة** آية 30.

[3] ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1927، ص23.

[4] **السابق**، ص25.

[5] الأحبار: مفردها حبر وهو العالم من اليهود، **لسان العرب**، مادة (حبر).

[6] البيهقي، أحمد بن الحسين: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تح عبد المعطي قلعجي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985، ج1، ص273–284.

[7] النبرواي، فتحية عبد الفتاح: **السيرة النبوية المطهرة وبناء الدولة الإسلامية**، ط1، دار المسيرة للنشروالتوزيع، 2013، ص73. وينظر: رضا، محمد رشيد: **إنجيل برنابا**، ترجمة: خليل سعاده، القاهرة، دار البشير، 1995، ص65.

[8] **سورة الاعراف**، اية 157.

ولقد كان العرب يجهلون الديانة اليهودية، ويقولون لليهود "لكم علم ليس لنا"[1]، لهذا توقفت الباحثة عند حبر من علمائهم (اليهود) هو قيس بن نشبة[2]، وكان قد قرأ الكتب وذكر قصة إسلامه شعراً،فعندما سمع بالنبي (▫) قدم عليه وقال: أنت رسول الله؟ قال: نعم، فقال له: أنت شريف في قومك، وفي بيت النبوة فما تدعو إليه؟ فعرض عليه أمور الإسلام وعرّفه بما يأمر به، وينهى عنه، فقال له: ما أمرت إلاّ بحسن، وما نهيت إلاّ عن قبيح، فأخبرني عن كُحل ما هي؟ قال: السماء. قال: أخبرني عن محل؟ قال: الأرض. قال:فلمن هُما؟ قال:لله. قال: ففي أيهما هو؟ قال: فيهما وله الأمر من قبل ومن بعد. قال: أنت صادق وأشهد أنك رسول الله. وقد سماه الرسول (▫) حبر بني سليم، وإذا افتقده (▫) سأل عنه وقال: أين حبركم؟

ومما قاله قيس بن نشبة في ذلك[3]:

(الكامل)

تَابَعْــتُ ديــنَ مُحمــد وَرَضِــيته كُــلَّ الرِّضَــا لأَمَــانتِي وَلِــديني
ذَاكَ امْــرُؤ نَازَعْتُــه قَــوْلَ العــدى وَعَقــدْتُ فِيــه يَمِينَــه بِيَمِينِــي
قَــدْ كُنْــتُ آملــه وانْظُــر دَهْــره فــاللهِ قــدَّر أنــه يَهْــدِينِي
أَعْنِـي ابْـنَ آمِنَـةَ الْأَمِـين وَمَـنْ بِـهِ أَرْجـو السَّـلاَمَةَ مِـنْ عَـذَابِ الهُـونِ

تكشف الأبيات السابقة عن ترقب وانتظار قيس بن نشبة لهذا النبي الكريم، استطاع بعلمه وقراءته للكتب السماوية أن يهتدي لهذا الدين وبسؤاله رسول الله (▫) وبعد أن تأكد ووثق من الإجابة اطمأنّ قلبه وشرح الله صدره للإسلام، وهذا يعني أن هناك دلائل كثيرة تؤكد بعثة الرسول (▫) لكن اليهود أنكروها، وقد جاء إسلامه بعد طول انتظار لهذه البعثة الشريفة، وقد حرص أن يُذكّر بأمه آمنة بنت وهب التي وضعت خير مولود، الأمين المبارك في الأرض والسماء.

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص201. ويُنظر: ولفنسون، إسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب**، مرجع سابق، ص87.

[2] هو قيس بن نشبة السلمي، حبر بني سليم، كان يقرأ ويكتب في الجاهلية، عرف كثيرا من أخبار الروم وفارس وأشعار العرب والكهان وقال الشعر ولما ظهر الإسلام وفد على النبي (▫) بعد الخندق وسأله عن السماوات وسكانها، وأجابه واسلم وكان الرسول (▫) يسميه (حبر بني سليم). ينظر: الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ط14، لبنان، بيروت، دار العلم للملايين، 1999، ج5، ص209.

[3] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الإصابة في تمييز الصحابة**، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1977، ج5، ص505.

لكن هناك تساؤلاً يدور في ذهن الباحثة وهو: هل كانت صورته (▫) إيجابية عند جميع اليهود قبل الإسلام؟ وهل كان هناك تشابه في ردود الأفعال عندما علموا بظهور النبي محمد وولادته؟

تذكر المصادر وكتب السيرة القديمة أن معظم اليهود كانوا يحملون الحقد والحسد في نفوسهم لظهور النبي (▫) في قريش، وكثيراً ما كانت ترد عبارة "احذر عليه من اليهود"، ففي طبقات ابن سعد تذكر حليمة السعدية مرضعة الرسول (▫) كيف قال لها اليهود عندما رأوا الطفل اليتيم في حجرها "لو كان يتيماً لقتلناه" ولكنها أخفت عنهم أمره وقالت لهم بأنها أمه وهذا أبوه[1].

وعندما بلغ الرسول (▫) اثنتي عشرة سنة من عمره، خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام للتجارة ورآه الراهب بحيرا أوصى عمه أن يعود به من حيث أتى ويحذر عليه اليهود. فما كان من عمه إلا أن أنهى تجارته وعاد به مسرعًا إلى مكة[2].

وكان أبو طالب عم الرسول (▫) قد أتى على ذكر اليهود في قصيدته، وكيف ردّ الراهب وصرف عنه كيدهم في قوله[3]:

(الكامل)

قَــومٌ يَهُــودٌ قَــدْ رَأَوا مَــا قَــدْ رَأَوا ظِّــلَ الغَمَامَــةِ ثَــاغِرِي[5] الأَكْبَــاد
ثــــارُوا لِقَتْــلِ مُحَمــد فَنَهَــاهُمو عَنْــهُ وَجَاهَــد أَحْسَــنَ التِّجْهَــاد
وَثَنَــى[4] بَحِيــرَاءٌ ذُرَيْــرًا فَــانْثَنَى فِــي الْقَــومِ بَعْــدَ تَجــادلٍ[6] وَتَعَــاد
وَنَهــى دُرَيسًــا فَــانْتَهى لَمَّــا نُهــي عَــنْ قَــوْلِ حَبْــرٍ نَــاطِقٍ بِسَــدَاد

---

[1] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج1، مصدر سابق، ص77.

[2] السابق، ج1، ص155. ويُنظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، اعتناء هلموت رينز، فسبادن، دار نشر غرانزشتاينر، 1962، ج1، ص57.

[3] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي** (▫)، ص39.

[4] ثنى: كفّ وصرف.

[5] ثاغر: فاتح.

[6] تجادل: مصاولة في الحرب.

عندما رأى اليهود الرسول قادماً إلى بصرى، تُظله الغمامة، أصروا على قتله بعدما تأكد لهم نبوته،لكن بحيرا الراهب ردّ هؤلاء الثلاثة (زريراً، هماماً، دريساً)[1] وصرف أذاهم عن محمد بعد أن حاورهم وأقنعهم بعدم التعرض له، فصدقوه وانصرفوا عنه.

هذه صورة بسيطة تُذكر بأفعال اليهود تجاه الرسل، وقد كانت قبل ظهور الرسالة وانتشار الإسلام، فكيف كانت الصورة بعد ذلك – هذا ما سنأتي على ذكره في الصفحات القادمة.

ثانيا : الرهبان:

أكد الإسلام من خلال القرآن الكريم على مضامين الكتاب المقدس واحتوائه على إشارات متعددة تؤكد ظهور نبي في آخر الزمان ومنها إشارة سيدنا عيسى عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[2].

وكان من تأثير المسيحية، أن مال بعض العرب إلى الرهبنة وبناء الأديرة[3]، وقد ذكر البيهقي حديثا مطولاً وبطرقٍ متعددة شمل وصفاً لأديرة الرهبان[4] وصوامعهم بما تحويه من صور للأنبياء. ومنها صورة الرسول(ﷺ) شاهدها من اتّصل بهم وزار أديرتهم تلك[5].

---

[1] هم نفر من أهل الكتاب كانوا قد رأوا من رسول الله (ﷺ) ما رآه بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم بحيرا عنه. ينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج1، ص167، **وديوان ابي طالب**، ص39.

[2] **سورة الصف**، آيه 6.

[3] برو، توفيق: **تاريخ العرب القديم**، ط4، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1996م، ص308.

[4] الرهبان: مفردها راهب وقد عرفت شخصية الراهب في العصر الجاهلي وفي القرآن والحديث، ويذكر القرآن الرهبان والقسيسين والأحبار في بعض الأحيان، وأشار الشعراء الجاهليون إلى الراهب في صومعته وذكروا ان المسافر يرى نور هذه الصومعة من بعيد فتثير في ذهنه فكرة المأوى يلوذ به ويستدل على أن لفظ راهب ليس فيه ما يشين ،ينظر ا.جي.بريل، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، 1998، ج16، ص5079.

[5] البيهقي، احمد بن الحسين: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، مصدر سابق، ج1، ص384، ص390.

1- بحيرا الراهب:

عندما خرج أبو طالب في تجارته إلى الشام، وكان أن اخرج معه محمداً (ﷺ) بعد أن تعلّق الأخير بعمه نزل الركب في بصرى[1] بأرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا[2] في صومعة له وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم، ولا يعرض لهم، لكنه هذه المرة صنع لهم طعاماً كثيراً ودعاهم للحضور صغيراً وكبيراً، لكن محمداً (ﷺ) تخلف ولم يحضر وليمة الطعام وقد عرف هذا الراهب بعدم وجوده، فأشار إلى القوم أن يحضروا الغلام الصغير محمداً (ﷺ).

وقام إليه واحتضنه وأجلسه معهم، وإلى تلك الحادثة يشير أبو طالب عم الرسول (ﷺ) إلى الراهب وبصنيعه معهم ويقول[3]:

(الطويل)

فَلمَّـا هَبَطْنَـا أَرْضَ بُصْـرى تَشـوَّفُوا ... لَنَـــا فَـــوقَ دُورٍ يَنْظُـــرون عِظَـــام
فَجَـاءَ بَحِيـرا عِنْـدَ ذَلِـكَ حَاشِـدًا ... لَنَـــا بِشَـــرابٍ طَيِّـــبٍ وَطَعَـــام
فقـالَ:اجْمَعوا أَصْـحَابكم عِنْـدما رَأَى ... فَقُلْنَـا: جَمَعْنَـا الْقَـوم غَيـر غُـلام
يَتِـــيم فَقَـــالَ:ادْعُوه إِنَّ طَعَامَنَـــا ... لَـــهُ دُونَكُـــم مِـــنْ سُـــوقَة وإِمَـــام
فَلَـوْلا الـذي خَبّرتُمـو عَـن مُحمـدٍ ... لَكُنْـتم لَـدَيْنا اليـومَ غَيـر كِـرام

هذا الراهب توسم في رسول الله (ﷺ) النبوة، ورأى الغمامة تظله من بينهم فصنع لهم الطعام ضيافة واستدعاهم[4]، حتى لم يبق منهم حرٌ أو عبدٌ أو كبيرٌ أو صغيرٌ إلا وقد حضر مما جعل القوم يعجبون من فعله ويتساءلون عن شأنه اليوم[5]؟!

---

[1] بصرى: بلد في جنوبي دمشق، كانت محطة للقوافل.

[2] راهب: كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية، لم يزل في تلك الصومعة، إليه يصير علمهم عن كتاب فيما يزعمون يتوارثونه كابر عن كابر (د.ت). يُنظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص165. وابن كثير: **البداية والنهاية**، مج1، ص213.

[3] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، مصدر سابق، ص88. وينظر باختلاف في بعض المفردات، السهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ج1، ص208.

[4] ابن كثير: **البداية والنهاية**، مصدر سابق، مجلد1، ص213.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج1، ص166.

لقد أخذ يلحظ الغلام الصغير ويسأله عن حاله وهيئته وأموره، والرسول يخبره ويُوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته، حتى رأى خاتم النبوة بين كتفيه[1].

لقد تثبَّت بحيرا من محمد، وعرف بما قرأه في الكتب الدينية بأنه رسول الله وخاتم الأنبياء. لهذا أوصى به كثيراً عمه أبا طالب. وقد حذره من اليهود وبطشهم به، وقد أخبره بما هو كائن له من شأن عظيم[2].

تلك الحادثة كانت في طفولة الرسول (ﷺ)، وبصحبة عمه أبي طالب، أما نبوءة الراهب الآخر فذكروا أن اسمه نسطور[3] فقد رأى الرسول (ﷺ) مع ميسرة غلام السيدة خديجة –رضي الله عنها– في ظل شجرة واستدعى ميسرة وسأله عن الرسول (ﷺ) وقال له ميسرة: هذا رجل من قريش وأخبره الراهب: "ما نزلَ تحت هذه الشجرة قط إلا نبي"[4].

2– ورقة بن نوفل[5]:

إن استغراق أهل مكة في عبادة الأوثان التي شملت جميع جوانب الحياة لديهم جعلت بعض الأفراد يضيقون ذرعًا بها، فما كان منهم إلا أن اعتزلوا عبادة قومهم وتوجهوا إلى عبادة الله وحده فكان هناك الأحناف وكان النصارى ومنهم ورقة بن نوفل، حيث أقام على النصرانية،وكان يدعى (القس)[6].

---

[1] ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج1، ص166. وينظر الهيتمي، أحمد بن محمد: **المنح الملكية في شرح الهمزية**، ج1، مصدر سابق، ص289. وينظر النبراوي، فتحية: **السيرة النبوية المطهرة وبناء الدولة الإسلامية**، مرجع سابق، ص62–64.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، مصدر سابق، ص167.

[3] هم المسيحيون النساطرة، سكنت على امتداد طرق التجارة واستقروا بين العرب، وفي شمال الجزيرة العربية كانوا ينتمون للكنيسة النسطورية "في شرق سوريا" ينظر: **دائرة المعارف الإسلامية**، مصدر سابق، ص9902.

[4] يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي، ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد عهد الأنبياء قبل ذلك، ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ص72. وينظر ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج1، ص620.

[5] جده أسد بن عبدالعزى، من قريش، حكيم جاهلي، اعتزل عبادة الأصنام، توفي حوالي 12 قبل الهجرة، وينظر: شامي يحيى: **موسوعة شعراء العرب**، ج1، مصدر سابق، ص189.

[6] البلاذري: **أنساب الأشراف**، مصدر سابق، ص106.

كان ورقة بن نوفل قد كره عبادة الأوثان، وطلب الدين في الآفاق، وقرأ الكتب[1] بالإضافة إلى كونه حكيمًا متدينًا موحدًا؛ كان أيضا شاعرًا بليغًا عاش يلتمس دين التوحيد ويبشر بقرب ظهور نبي من العرب يكون خاتمًا للرسل من قبله.

كان ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة–رضي الله عنها– لذلك نراها تنطلق إليه تخبره بما رأت من كرامات زوجها محمد (ﷺ) وبما كان من أمره (ﷺ) مع غلامها ميسرة وكيف أظلّته الغمامة.

ويُبشرها ورقة بأنه نبي هذه الأمة ويقول في ذلك[2]:

(الوافر)

لَجَجْتُ[3] وَكُنتُ فِي الذِّكْرى لَجُوجَا ... لِأَمرٍ طَالَمَا بُعِثَ النَّشِيجا[4]
وَوَصفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجا
بِمَا خَبرتنَا مِنْ قَوْلِ قِسٍ ... مِنَ الرّهبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
فَيَا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَولهُم وُلُوجَا[5]

تكشف الأبيات السابقة في جيمية ورقة بن نوفل عن التبرم من الوضع الديني والوثني الذي كان موجودًا في مكة قبل الرسالة، وتُعبر عن شوق وانتظار ولهفة كبيرة لظهور هذا النبي كما تُدلل الأبيات على صدق ورقة وإيمانه برسالة محمد.فقد كان متابعًا له وقد عرف من الإرهاصات السابقة وأقوال الأحبار والرهبان ما يثبت صحة نبوءته بمحمد[6]. ويُعبر عن أمنياته أن يكون موجودًا عندما

---

[1] ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج6، مصدر سابق، ص609.

[2] ينظر ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، مجلد2، مصدر سابق، ص10. وينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص192. وينظر أيضا الفجاوي، عمر عبد الله، والمعايطه، ريم فرحان: **شعر ورقة بن نوفل جمع ودراسة**، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل العلوم الإنسانية والإدارية، عدد1، مج10، 2009م، ص4.

[3] لججت: الحييت.

[4] النشيج: البكاء.

[5] ولوج: دخول.

[6] ينظر: حمدان، عاصم علي: **من بواكير شعر المنافحة عن رسول الله (ﷺ) والتبشير بالرسالة**، مصدر سابق، ص17–19.

يُبعث الرسول (ﷺ)، ولئن أدركه هذا اليوم ليجاهد مع الرسول (ﷺ)[1]. ويُذكّر خلال شعره بأن محمد بن عبد الله مرسل إلى العالم أجمع حيث يقول[2]:

(الطويل)

بِـأَنَّ ابْـن عَبْـد الله أَحْمَـد مُرسَـلٌ إِلـى كُـلِّ مَـنْ ضُـمتْ عَلَيـه الأَبَـاطِح
وَظَنِّـي بِـه أَنْ سَـوْفَ يُبعـثُ صَـادقاً كَمـا أُرسِـلَ الْعَبـدَانِ هُـودٌ وَصَـالِح
وَمُوسَـى وَإِبْـرَاهِيم حَتَّـى يُـرَى لَـهُ بَهَـاءٌ وَمَنْشـورٌ مِـنَ الـدَّهْرِ وَاضِـح

وهنا يبين ورقة صدق نبوة محمد (ﷺ) وأنه صادق مرسل من عند الله إلى كل بقاع الأرض، ويأتي على ذكر الأنبياء السابقين – ولا عجب في ذلك– فنحن نعلم أن ورقة بن نوفل قد قرأ الكتب وأخذ من روايات السابقين وأخبارهم ما يؤكد ظهور هذا النبي، وسيكون لدعوته النصر المؤزر والظهور كما حصل مع هولاء الأنبياء السابقين[3].

حتى إنه يتحدث عن أتباع محمد (ﷺ) ومن سيكون منهم، وماذا سيكون مصير دعوته وكيف سينتشر هذا الدين ليعمّ ضياؤه بقاع الأرض، ويذكر خير الناس من يهتدي بدعوته، ويسير على هذا الطريق، وأشرارهم من يقف عثرة ويُعارض دينه فيقول[4]:

(المتقارب)

بِـأَنْ سَـوْفَ يَتْبَعُـه مِـنْ لُـؤيٍ ذَوو الـرَّأي والعِـزّو والأَضْـعَف
فَيَظْهـر فِـي النَّـاسِ مِـنْ بَعْـد حِـين ضِـيَاءٌ لَـهُ سُـبل مُسْـدِف
فَخَيـرُ البَرِيـةِ أَتْبَاعَـه وَشَـرُّ البَرِيـةِ مَـنْ يَصْـدِف

---

[1] ينظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، مصدر سابق، ص10.

[2] ينظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، سابق، ص11. وينظر: الفجاوي، عمر عبد الله، والمعايطة، ريم فرحان: **شعر ورقة بن نوفل جمع ودراسة**، مصدر سابق، ص6.

[3] ينظر: الفجاوي، عمر عبد الله، والمعايطه، ريم فرحان: **شعر ورقة بن نوفل جمع ودراسة**، مصدر سابق، ص13.

[4] ينظر السابق، ص16.

نعم، كان ورقة يُنشد الشعر ويتشوق فيه لإنجاز وعد الله وكريم رحمته، بإرساله رسولاً من العرب يهديهم إلى سواء السبيل[1]، وبالرغم من تضارب الروايات حول وفاته قبل مبعث النبي (▫) أو في بداية الدعوة الإسلامية، فقد كانت له مكانة طيبة في نفس الرسول (▫) تُؤيد ذلك الأحاديث المروية مثل قوله (▫): "لقد رأيتُ القس في الجنة عليه ثياب الحرير". وفي رواياتٍ أُخرى ثياب بيض[2].

بقي أن نشير إلى قضية الشك والانتحال التي تعرض لها الشعر الجاهلي بشكل واسع ودارت حولها مؤلفات كثيرة من المحدثين أمثال: طه حسين (في الشعر الجاهلي) وكذلك إبراهيم النعانعة (في الجاهلية وصدر الإسلام)، فقد أثار الأخير قضية الشك في شعر ورقة بن نوفل حيث اشتملت قصائده على معان وكلمات ورد معظمها في القران الكريم[3] وكذلك ذِكر لأسماء الأنبياء السابقين، والباحثة تَرُد على ذلك بأن ورقة قد قرأ الكتب السماوية السابقة وعَرف منها المرويات والقصص وليس فيها ما يُثير الشك أوالتساؤل،لأنها ببساطة تمتاز بالسهولة والوضوح ولا نجد الغريب من الألفاظ قد اسْتُخدمت بشكل مباشر أو غير مباشر في أي من قصائده[4].

ومما تجدر الإشارة إليه أننا لسنا في هذا المقام لنحكم على النصوص بالقبول أو الرفض لأننا نقبل الشعر الجاهلي كله (الثابت والمشكوك فيه) على انه مصدر من مصادر الحياة في الجاهلية. لأن الذين وضعوا ذلك الشعر حرصوا على تقليد الجاهليين في معانيهم وألفاظهم، وهكذا يبقى الشعر المنحول دالاً على ما يَدل عليه الشعر الثابت[5].

---

[1] خفاجي، محمد عبد المنعم، وعبد الجبار عبد الله: **قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي**، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية (د.ط)، 1980، ص229.

[2] ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تميز الصحابة**، مجلد6، ص608. وينظر الزهري، محمد بن مسلم بن مجيد الله بن شهاب: **المغازي النبوية**، تح، سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، 1981، ص45.

[3] النعانعة، إبراهيم عبد الرحمن: **شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام، جمعاً وتحقيقاً ودراسةً**، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، 2007، ص152-153.

[4] ينظر: القيسي، أيهم عباس حمودي: **ورقة بن نوفل حياته وشعره**، مجلة المورد، ع1، مج17، 1988، ص171.

[5] ينظر: فروخ، عمر: **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، مرجع سابق، ص23.

كانت هذه وقفات قصيرة على صورة الرسول (ﷺ) عند اليهود والنصارى، وقد تراوحت الصورة بينهما.ففي نظر اليهود كانت تحمل كل معاني الحسد والغيرة والحقد وتتمنى الفتك بهذا النبي المنتظر حتى قبل خروجه وبعثته، في حين كانت الصورة إيجابية عند النصارى إلى حد كبير عبر عنها الرهبان ومنهم ورقة بن نوفل، الذي تمنى أن يكون حاضراً وقت ظهور الرسول الكريم وبعثته، ليؤازره ويشد عضده.

وكذلك بحيرا الراهب الذي ما فتئ يُوصي عمه به ويحذره بطش اليهود. وتبقى الصورة غير مكتملة حتى تشمل جانبا آخر وهم الكهان والجن في تلك المرحلة الزمنية.

المبحث الثالث

صورته عند الكهان والجن

الكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان،ويدعي معرفة الأسرار[1]. كانت الكهانة ظاهرة كثيراً في أرض العرب[2] والذين كانوا يؤمنون بوجود الجن والعفاريت،ولهم في ذلك أشعار وأخبار كثيرة[3] حيث وُجدت طائفة تزعم أنها تطّلع على الغيب، أو تعرف مايأتي به الغد،بما يُلقي إليها تابعها من الجن، وكان واحدها يسمى كاهناً، وتابعه الذي يُوحي إليه يُسمى رئِي[4]. يستعين به ويسترق له الأخبار والأسرار من السماء[5]. جاء في كتاب "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، أن غير واحد من الكهان أخبره رئيه من الجن بأسجاع ورجزفيها ذكر مبعث النبي (▫)، وسمع من هواتف الجان من ذلك أشياء كثيرة[6]. لقد كان التنبؤ بالرسالة النبوية الشريفة وبعثة الرسول (▫) من أكثر أمور الغيب انتشاراًونسبةً إلى الجاهليين. إذ ورد على ألسنة الكهنة ورجال الدين والشياطين[7]، وقد أشارت كتب السيرة النبوية والمصادر القديمة إلى غير واحد من كهان العرب الذين تحدثوا بأمر محمد (▫) قبل مبعثه لما تقارب من زمانه[8].

1- الغيطلـة[9]:

امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة،كانت كاهنة في الجاهلية ولها تابع،جاءها في إحدى الليالي وأنقض تحتها وقال: أدر ما أدر، يوم عقر ونحر، فقالت قريش: وما ذاك؟ وما يريد؟ ثم جاء

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (كهن).

[2] ابن تيمية، احمد بن العباس: **النبوات**، بيروت، دار الكتب العلمية، ص400.

[3] البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، دار الجيل، دار نظير عبود، 1989، ص29.

[4] ضيف، شوقي: **العصر الجاهلي**، ط28، القاهرة، دار المعارف، 2008، ص420.

[5] برو، توفيق: **تاريخ العرب القديم**، مرجع سابق، ص290.

[6] الذهبي، شمس الدين بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، تح عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1، ص122.

[7] الديك، إحسان: **الكاهنة الجاهلية: قراءة في مكانتها ولغتها**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة البحرين، 2010، ص9.

[8] الذهبي، شمس الدين: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، مصدر سابق، ج1، ص122.

[9] يُقال في نسبها الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق بن شنوف بن مرة. ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية** ج1، تح طه عبد الرؤف سعد، ص192.

ثانية وقال شعوب[1]، وما شعوب،تُصرع فيه لكعب الجنوب،وقالت قريش وماذا يريد؟ إنّ هذا لأمر كائن ما هو؟ فما عرفوه حتى وقعت بدر وأحد. كانت هذه الكاهنة قد تنبأت بحدوث تلك الوقعات والغزوات بعد ظهور الرسالة المحمدية، لكن قريشاً لم تكن تعلم ما يقصده ذلك التابع إلا بعد حين .وقد ذكرها ابن هشام في معرض حديثه عن إرهاصات النبوة، وكان تابعها على شكل طائر،وقد أخبرها بقرب بعثة النبي، وإنه يحرم الزنا وذكر أنّ ولدها الغيطلة:

لَقَــدْ سَــفهَتْ أَحْــلَامُ قَــومٍ تبَــدلُوا بَنِــي خَلَــفٍ قَيضــا بِنــاَ والْغَيَاطِــل[2]

2- كاهن جنب[3]:

إن القلق الذي كان سببه خبر مجيء نبي بلغ مسامع بني جنب[4]. وكانت جنب بطنا من اليمن، كان لهم كاهن، لما ذ كر أمر الرسول (▫)، وانتشر في العرب قالت له جنب: انظر لنا في أمر هذا الرجل، واجتمعوا أسفل الجبل، نزل إليهم حين طلعت الشمس ووقف متكئاً على قوس له، ورفع رأسه إلى السماء طويلاً وقال: أيها الناس، إن الله أكرم محمداً واصطفاه، وطهر قلبه وحشاه، ومكثه فيكم أيها الناس قليل، ثم اشتد راجعًا من حيث أتى[5]. وما يمكن أن يقال في هذه الرواية عن كاهن جنب أن نبوءة هذا الكاهن تنم عن معرفة تامة بعقائد مختلفة وثقافات متعددة[6]. حيث أشار في عباراته المسجوعة القصيرة،لمعان كبيرة، وهي فترة حياة الرسول القصيرة مقارنةً بالأنبياء السابقين حيث عمروا طويلًا،إضافة إلى حادثة شق الصدر التي حدثت للرسول (▫) في طفولته وهو لايزال في ديار بني سعد عند مرضعته حليمة السعدية،حيث طهر الله قلبه من الأضغان، وملأه بالحكمة والنور والإيمان.

---

[1] شعوب ماشعوب وكعب لجنوب هو كعب بن لؤي والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش معظمهم كعب ابن لؤي، شعوب بضم الشين كأنه جمع شعب، ينظر: **السابق**، ص193.

[2] ابن هشام:**السيرة النبوية**، تح السقا وآخرون،ج1، ص209.

[3] جنب: هم مذحج، بطن من اليمن، سموا جنباً، لانهم جانبوا بني عمهم صداء ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج يُنظر: المحقي، ابراهيم أحمد: **معجم المدن والقبائل اليمنية**، صنعاء، دار الكلمة، 1985م، ص94.

[4] فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة ورندة بعث، بيروت شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007 ص78.

[5] ابن هشام:**السيرة النبوية**، مصدر سابق ج1، تح طه عبد الرؤوف سعد، ص193.

[6] السهيلي: **الروض الأنف**، ج1، مصدر سابق، ص245.

3- فاطمة الخثعمية[1]:

كانت من أجمل النساء وأعفّهن، وكانت تعتاف، وتقرأ الكتب[2]. رأت نور النبوة في وجه عبد الله بن عبد المطلب، وأرادت أن يقع عليها وتعطيه مائة من الإبل، لكنه أبى ذلك وذهب إلى زوجته آمنة بنت وهب، ثم غادر إلى المرأة، لكنها رفضت بعد أن أخبرها وقالت له: إني رأيت في وجهك نوراً ساطعاً وقد ذهب الآن[3]، وقد أردت بأن يكون هذا النور فِيَّ، وأبى الله إلا أن يكون لآمنة بنت وهب وقالت[4]:

(الكامل)

إنـــي رَأَيْـــتُ مَخيلـــةً نَشَـــأتْ ... فَـــتَلأْلأت بِحَنَـــاتِمِ الْقَطْـــرِ[5]

فَلَمأتُهـــا[6] نُـــوراً يُضِـــيءُ بِـــهِ ... مَاحَولـــهُ كَإِضَـــاءَةِ الْفَجْـــرِ

وَرَأَيْتـــه شَـــرَفاً أَبُـــوهُ بِـــهِ ... مَـــا كـــل قَـــادِحٍ زِنْـــده يُـــورِي

للِـــه مَـــا زَهْرِيـــةً سَـــلبَت ... مِنْـكَ الـذي اسْـتَلَبتَ ومَـا تَـدْرِي

لقد عبّرت الكاهنة بلغتها عن نبوءة مستقبلية لبعثة هذا الرسول الكريم، واستطاعت من خلال شِعرها أن تبوح برغبتها بالظفر بهذا الشرف والنسب الكبير، فقد كان لها دورٌ كبيرٌ في الجاهلية، مثلها مِثلُ مثيلاتها الساميات مشهورةً مميزةً من سادة القوم وأشرافِها[7].

---

[1] ورد التعريف بهذه المرأة خلال البحث ينظر ص7.

[2] ينظر، البلاذري: **أنساب الأشراف**، ص79.

[3] السهيلي: **الروض الأنف**، ج1، مصدر سابق، ص180، ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ص78.

[4] السهيلي: **الروض الأنف**، ج1، مصدر سابق، ص180. البلاذري: **أنساب الأشراف**، ص80.

[5] مخيلة: سحابة تخالها ماطرة، حناتم: السحاب الأسود.

[6] لمأتها: أبصرتها.

[7] الديك، إحسان: **الكاهنة الجاهلية: قِراءة في مكانتها ولغتها**، مرجع سابق، ص6.

4- أحاديث شق وسُطيح[1]:

أحاديث شق وسُطيح كثيرة، جمعها غير واحد من الرواة من أهل العلم، وكذلك أخبار غيره من الكهان وأحاديثهم في تفسير رؤيا تُبع اليُمن لارتياعه من أمور ظهرت مع ولادة الرسول الكريم، عندما أرسل كسرى عبد المسيح[2] بن عمرو (وهو خال سُطيح) يُخبره بالأمر، وقد أتى سُطيحا وقد أشفى على الضريح فسلم عليه وكلمه، ولم يرد إليه سُطيح جواباً،فأنشد عبد المسيح يقول[3]:

(الرجز)

أَصـــمٌ أمْ يَسْـــمَعُ غِطْرِيـــفَ الْـــيَمَنْ أمْ فَـــادَ فَـــازَ لَـــم بِـــه شَـــأوَ العَـــنَن[4]

يـــاَ فَاصِـــلَ الخُطـــةِ أَعْيَـــتْ مَـــنْ وَمَـــنْ أَتَـــاكَ شَـــيخُ الحـــيِّ مِـــنْ آلِ سَـــنَن

أبْـــيَضٌ فَضْـــفَاضُ الـــرِّدَاءِ والْبَـــدَن رَسَـــولُ قَيْـــلِ العُجـــمْ يَسْـــرِي لِلوَسَـــن[5]

ولما سمع سُطيح شعره رفع رأسه وقال: عبد المسيح على جمل مشيح، أتى سطيح، وقد أوفى على الضريح، بعثك ملك ساسان لارتجاس الإيوان،وخمود النيران ورؤيا الموبذان، رأى إبلاً

---

[1] *-سَطيح: هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن نُمير بن بني الذئبي من بني مازن من الأزد، كاهن جاهلي غساني حتى إن عبد المطلب رضي به حكماً بينه وبين جماعة من قيس عيلان في خلاف على ماء في الطائف، وهو كاهن من بني ذئب ما كان فيه عظم سوا رأسه، وزاد الزَبيدي: كان أبدا منبسطا منسطحا، وكان يطوى كما تطوى الحصيرة (...-52ق هـ =....572م)، ينظر الزركلي: **الأعلام** ج3، ص14.

*شق: بن صعب بن يشكر بن رهم القصري الأنماري الأزدي، كاهن جاهلي من عجائب المخلوقات ومن معاصري سطيح الكاهن أيضا،وكان يستدعيان احيانا للاستشارة، أو تفسير بعض الأحلام، وعاش شق بعد ولادة النبي (¤) كما يقال، ويذكرون أنه كان نصف انسان له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة (..... نحو 55 ق هـ =...نحو 573م). ينظر الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ج3، ص170.

[2] عبد المسيح: هو عمرو بن قيس بن حيان الحارثي الغساني يدعى بقيلة، وهو ابن اخت سطيح الكاهن، بلغ الإسلام لكنه ظل مسيحياً، عرف بدهائه وحكمته وبصره بالأمور،توفي بعد سنة 14هـ/635 م. يُنظر: شامي يحيى: **موسوعة شعراء العرب**، ص55.

[3] ابن كثير: **البداية والنهاية**، مجلد1، مصدر سابق، ص250.

[4] العنن: الجهد والمشقة.

[5] الوسن: شدة النوم أو النعاس.

صعاباً تقود خيلاً عُراباً..... ياعبد المسيح، إذا كثرت التلاوة، وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة، غاضت بحيرة ساوة وخمدت نار الفرس فليس الشام لسطيح شاماً وقضى مكانه[1].

وقد عبر الأعشى عن صدق نبوءة سُطيح فقال[2]:

(البسيط)

مَـا نَظَـرَتْ ذَات أشـفارٍ[3] كَنَظْرَتِهـا حَقًـا كَمَـا صَـدَق الـذِّئبِي إذ سَـجعا

وإذا عدنا إلى قصة سُطيح وخاله عبد المسيح وتفسيره رؤيا الموبذان، وكيف قطع عبد ح هذه المسافات الطويلة لتفسير هذا الأمر غريب الحدوث وفي تلك الفترة وكيف قضَّ مضاجع الملك والموبذان، عرفنا كيف كان للكاهن شأن خطير في حياة الجاهليين[4]، وكيف كان يتمتع بمنزلة كبيرة، حيث كانوا يعتقدون بأنهم يوحى إليهم، ولعل ذلك ما جعل نفوذهم يتجاوز القبيلة إلى أبعد منها[5].

5- كعب بن لؤي[6]:

هو أول من جمع قومه يوم الجمعة، وكانت قريش تسمي (يوم الجمعة) العروبة ويخطبهم، ويذكرهم بمبعث النبي (ﷺ) ويقول: أما بعد فاسمعوا وتعلموا، وافهموا واعملوا، ليل

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**، مجلد1، مصدر سابق، ص250.

[2] ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، تح طه عبد الرؤوف سعد، ص64. **وديوان الأعشى**، ص105. والأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت: 7هـ): **ديوان الأعشى**، تح فوزي عطوي، ط1، بيروت، لبنان، الشركة اللبنانية للكتاب، 1968، ص105.

[3] يريد زرقاء اليمامة.

[4] الديك، احسان: **الكاهنة قراءة في مكانتها ولغتها**، مرجع سابق، ص3.

[5] ضيف شوقي: **العصر الجاهلي**، ص420-421.

[6] هو كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس بن مضر، يقال إنه أول من قال أما بعد، توفي كعب بن لؤي قبل عام الفيل بخمس وعشرين سنة. ينظر: الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر الجاهلي**، عمان، دار اسامة للنشر والتوزيع، 2001، ص274.

داج ونهار ساج، والأرض مهاد، والسماء بناء، والجبال أوتاد، والنجوم أعلام، هل رأيتم من هالكٍ رجع، أو ميتٍ نشر، فسيأتي له نبأٌ عظيم، وسيخرج منه نبيٌ كريم، ويقول[1]:

(الطويل)

نهـــارٌ وليـــلٌ كـــلَّ يَـــومٍ بِحَـــادِثٍ سَـــوَاءٌ عَلَينـــا لَيْلُهَـــا وَنَهَارُهـــا
يَؤوبـــانِ بِالأَحْـــداثِ حتَـــى تَأَوَّبَـــا وَبِـــالنِّعمِ الضَـــافِي عَلَيْنَـــا سُـــتُورَها
عَلَـــى غَفْلَـــةٍ يَـــأتي النَّبـــيُ مُحَمـــدٍ فَيُخْبِـــرَ أَخْبَـــارَاً صَـــدُوق خَبِيرهـــا

ويقول أيضا[2]:

(البسيط)

يـــالَّيْتَنِي شَـــاهِدٌ نَجْـــواءَ دَعْوتـــهِ حِـينَ العَشِـيرة تَبْغِـي الْحـقَّ خِـذْلاَناً

وهنا يبشر كعب بالنبي (ﷺ) ويتمنى أن يكون موجوداً حين بعثته، حيث ستخذله العشيرة، وتتخلى عنه، وعلى الرغم مما ورد في الكتب القديمة، أنه كان بين موت كعب بن لؤي ومبعث رسول الله (ﷺ) فترة زمنية طويلة[3]، إلا أنه كان ذا علم ونبوءة كبيرة أخبر من خلالها عن صدق محمد، وكيف سيظهر نوره فجأة ليعم البشرية نوراً وهداية.

6- سواد بن قارب الأزدي[4]:

كان كاهناً في الجاهلية وأدرك الإسلام[5]، وعندما وفد على عمر بن الخطاب، نظر إليه عمر وقال: إن هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد،ثم عرف بعد ذلك عن إسلامه، واستغفر عمر –رضي الله عنه–، وسأله عمر عن صاحبه في الجاهلية وما جاء به، فرد سواد: أنه قد جاءه قبل

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ص227. وينظر السهيلي: **الروض الأنف**، ج1، ص52.

[2] المرزباني، أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشعراء**، تح عباس هاني الجراح، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج2، ص285.

[3] ابن كثير: **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ص227.

[4] هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي، وقال غيره هو سدوسي، ينظر ابن هشام: **السيرة النبوية**، تح طه عبد الرؤوف سعد، ج1، مصدر سابق، ص194.

[5] ينظر، شامي يحيى: **موسوعة شعراء العرب**، ج1، مصدر سابق، ص255.

الإسلام بشهر أو نحوه، وقال: ألم تر إلى الجنِ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقِلاص وأحلاسها.

قال ابن هشام: هذا سجع وليس بشعر. وفي روايةٍ أخرى أنه سمع صوت هاتف من داخل عِجل يصيح: يا ذريح، أمر نجيح، رجل يصيح، ويقول: لا إله إلا الله[1]، ومهما يكن مصدر الصوت الهاتف، فقد كانت ثمة أصوات تنطلق من كل حدب وصوب، تنبئ برسالته النبوية[2]. ومما يروى أيضاً في ذكر هواتف الجان[3]:

عَجِبْتُ لِلْجِنِ وَإِبلاَسُها وَشَدّها العَيسُ بِأَحْلاَسِها
تَهْوِي إِلى مَكَةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُو الْجِنِّ كَأَنْجاسِها

وهذا ما أخبر به العباس بن مرداس[4] بعد إسلامه حيث كان لأبيه صنم إسمه ضمار، ولما مات أبوه، جاء العباس إلى الصنم، بعد ظهور أمر الرسول (▫) وسمع صوتاً يقول[5]:

(الكامل)
قُلْ للقَبائِلِ مِنْ سَلِيمٍ كلّها هَلَكَ الأنَيسُ وَعَاشَ أهلُ المَسْجِد
إنّ الذي وَرِثَ النُّبُوة وَالهُدَى بَعْدَ ابنَ مَرْيم مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدي
أوْدَى الضِّمَارُ وكَانَ يُعبَد مَرةً قَبلَ الْكِتَاب إِلَى النَّبِي مُحمَد

هذه القصة تبين العلاقة التي كانت بين الجن والكهان، وكيف كان الجني يخبر من يواليه بما يريد[6]. وأما هتوفهم برسول الله (▫) فهو من الآيات الدالة على نبوته، ومما حكي عن زياد

---

[1] ينظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، تح طه عبد الرؤوف سعد، ص194-195.

[2] فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، مرجع سابق، ص77.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، سابق، ص195.

[4] هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس من بني سليم ينتمي إلى قيس بن عيلان بن مضر ويكنى أبا الهيثم، وهو ابن الخنساء الشاعرة، تماضر بنت عمرو بن الشريد. ينظر: المعلمي، يحيى بن عبد الله: **عقود الجمان شعر وشعراء**، الرياض، دار المعلمي للنشر، 1994، ج1، ص146.

[5] زيدان، جرجي: **تاريخ أداب العربية**، ط2، مصر، مطبعة الهلال، 274/1942،1. وينظر: المعلمي، يحيى بن عبد الله: **عقود الجمان شعر وشعراء**، سابق، ص146.

[6] ينظر: صالح، حليمة خالد رشيد: **الجن في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2005، ص155.

عن ابن جريج عن ابن العباس – رضي الله عنهما – أنه كان يحدث عن رجل من خثعم وكانوا ذات ليلة يتقاضون الى صنم لهم، إذ صاح من داخل الصنم صائح يقول[1]:

(الرجز)

يـــاَ أيُّهـــا الرَّكـــبُ ذُوو الأحكَـــام مَـــا أَنْـــتُم وَطَـــائِش الأَحْـــلَام

وَمُسْندوو الْحُكْمِ إِلى الأَصْنَام

هَـــذَا نَبـــيٌّ سَـــيد الأَنـــاَم يَصْـــدَع بـــالحقِّ وبِالإســـلام

أعْدل ذِي حُكمٍ مِنَ الأحَكَام

وَيتْبـــعُ النُـــور عَلَـــى الأظـــلام سَـــيُعلنْ فِـــي البلَـــدِ الحَـــرام

وَقَد طّهَّر النَّاسَ مِن الآثام

ونخلص القول إلى أن الجن كائنات كانت تعيش في خيال الإنسان، ويتهيأ له أنها تلاحقه أينما ذهب، وترتبط بالخوف والرهبة عندما تُذكر،فكل شيء مخيف أو صوت غريب كان متعلقاً بالجن في بادية العرب[2].

إنّ القوة الهائلة، التي يتمتع بها الكهان، وقوة تأثيرهم في النفوس جعلت من الرسول (▫) يصرح لخديجة بعدما جاءه جبريل – عليه السلام– "خشيت أن أكون كاهنا"[3]، وفي روايةٍ أخرى عندما جاءه بأجياد، لمّا كان يتعبد في غار حراء قبل نزول الوحي،حيث كان الجبل يمثل مصدراً للوحي والإلهام، وإليه لجأ الأنبياء والكهنة،والعرافون واعتكفوا به[4].

ورُسمت صورة للرسول (▫) في غابر الأزمان في أذهان الكهان، وقدعبر كلٌ عن هذه الصورة واستحضارها بلغته الخاصة، وربما احتفظ الكهان لأنفسهم – باعتبارهم مجموعة دينية

---

[1] الماوردي: **أعلام النبوة**، مصدر سابق، ص146.

[2] ينظر: صالح، حليمة خالد رشيد: **الجن في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص235.

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، مصدر سابق، ص194–195.

[4] الديك، احسان: **الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع3، 2003، ص47.

– بلغة منتخبة مخصصة لأغراضهم الدينية[1] لكنها بمجملها تؤكد أنّ العرب كانوا على أبواب مرحلة جديدة لاستقبال الرسالة المحمدية.

[1] الديك، إحسان: **الكاهنة الجاهلية: قراءة في مكانتها ولغتها**، مرجع سابق، ص16.

الفصل الثاني

صورة الرسول (▫) في الشعر بعد الإسلام

المبحث الأول: صورته عند المسلمين.

المبحث الثاني: صورته عند الأعداء.

الفصل الثاني

صورة الرسول (▫) في الشعر بعد الإسلام

تقديم:

أحدث الدين الجديد تغييراً كبيراً على الشعر في صدر الإسلام. فقد استبعدت أغراض شعرية كالهجاء وظهرت أخرى مثل شعر الفتوحات، وكان للمكانة الكبيرة التي فرضها الرسول (▫) في قلوب المسلمين أثرٌكبيرٌ في التغني بمناقبه وسماته في الشعر العربي عامةً، وصدر الإسلام خاصةً[1].

ولمّا كان الشعر مرآةً لذلك العصر، وتصويراً للأحداث والمناسبات بكل دقة وتفصيل ؛نجده في حياة الرسول (▫) يجري على كل لسان[2]، فهذا أبو زيد القرشي يقول: "لم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر وتمثل به"[3]. فهناك الكثير من المسلمين الذين عبروا عن حبهم وولائهم لهذا النبي من خلال قصائد أو مقطوعات قصيرة،كانت بمثابة توثيق وشهادات حيّة على الفترة الزمنية التي عايشها الرسول (▫) بدءاًمن ولادته وحتى بعد وفاته. ولهذا فقد عملت الباحثة على جمع أكبر قدر ممكن من الشعر الذي قيل في الرسول (▫) في تلك الفترة للوقوف على صورته عند الشعراء .ومهما اختلف الشعراء في رسم صورته (▫) من شخص لآخر وتفاوتت أساليبهم ومناهجهم، ستبقى أشعارهم ذات دلالة، وصورة حية معبرة عن حقبة زمنية غيرت مجرى التاريخ،وعن رسول كريم أضاء حياة العرب بعد أن غرقوا في ظلمات الجهل لسنوات طوال. وقد تكشف لنا هذه الأشعار عن زوايا مظلمة لم نتوصل إليها بعد في حياة الرسول (▫)، وعن عمق المشاعر والانفعالات لدى شعراء ذلك العصر.

---

[1] دهش، عقيل جاسم: **البعد الإنساني لشخصية الرسول الأعظم في شعر حسان بن ثابت**، عدد30، مركز دراسات الكوفة 2013، ص31.

[2] ضيف، شوقي: **العصر الإسلامي**، ط7، 1963، ص53.

[3] أبو زيد القرشي، أحمد بن أبي الخطاب (ت: 165هـ): **جمهرة أشعار العرب**، ج1، 1963م ، ص162.

فكيف بدت صورته (▫) عند المسلمين وغير المسلمين؟ وهل تشابهت صورته بعد الإسلام مع الصورة التي رُسمت له قبل الإسلام؟

هذا سيكون مدار البحث في الصفحات القادمة، حيث سأعرض بداية لصورة الرسول (▫)عند المسلمين. وسأقف على أكثر الصور تكراراً في الشعر.

أولاً: صورته عند المسلمين:

ارتبطت صورة الرسول (▫) قبل الإسلام بكثير من القيم الأخلاقية كالسيادة والكرم والشجاعة والأمانة وغيرها، وكان الشعراء ينظمون أشعارهم بالصورة الجاهلية حتى دخلوا في الإسلام، فقد نظموا أشعارهم متأثرين بالقرآن الكريم والدين الجديد[1]، وحاولوا من خلال هذا الشعر أن يُبرزوا صورة الرسول، ويؤكدوا على كمال صفاته المعنوية والمادية.

فما هي أبرز الصور التي أوردها الشعراء للرسول (▫)؟ وفي أي غرض شعري جاءت هذه الصورة؟ وهل اختلفت الصورة بين شاعر وآخر وما مدى تأثرِهم بها؟

<u>أولاً: صورة القائد الشجاع:</u>

هذه الصفة العظيمة امتّاز بها سيدُ المرسلين محمد (▫)، ظهرت بوادرها منذ نعومة أظفاره، حيث كان لتنشئتهِ في البادية الأثر الكبير في صقل معالم هذه الشخصية العظيمة. لما تفْرضه تلك الطبيعة الصحراوية القاسية على الإنسان من القدرة على التحمل وزرع الثقة والقوة في نفوس أبنائها.

إنَّ محمداً (▫) توزَع بين شجاعتين: شجاعة ورثها عن آبائه وأجداده، وقد كانوا من صناديد العرب ورجالاتها، ومن ذوي النجدة والبأس والإقدام، وأخرى اكتسبها من تفانيه في الله،

[1] ينظر: الصمد، واضح: **أدب صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الحمرا، ط1، 1994، ص80.

وشوقه إلى لقائه وقيادته لجمع من المؤمنين، ممن يتبارون للقاء الله، ويتلذذون باقتحام ميادين القتال للفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة[1].

كما أنه (▫) يذكر قصته مع أعمامه في الجاهلية، في طفولته، وكيف كان يرد عنهم النبل ويقول "كنت أنبل على أعمامي أي أردّ عليهم نبل عدوهم إذا رموهم بها"[2].

وكان لتعبده بِغار حراء أيضًا، قبل البعثة الشريفة، من العظمةِ والقوةِ في نفسه، فقد حُببَّ إليه الخلاء، وكان يتخلى بغار حراء من ذوات العدد والليالي وقِيل (شهرًا) في السنة[3].

لكن كيف عبر الشعراء عن قائدهم وشجاعته، وكيف انعكست شجاعة هذا القائد على جنده؟

يقول حسان بن ثابت[4] – رضي الله عنه– يصف جيش المسلمين يتقدمهم الرسول (▫)[5]:

(البسيط)

مُسْتَشْعِري حَلَقَ المَاذِيِّ يَقْدُمُهمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ[6]

مَاضٍ عَلَى الَهْوْلِ ركَّابٌ لِمَا قَطَعُوا إِذْ الْكُمَاةُ تَحَامَوْا فِي الصَّنَادِيدِ[7]

يصف حسان – رضي الله عنه– جيش المسلمين وهم يلبسون الدروع البيضاء يتقدمهم القائد الشجاع محمد رسول الله (▫) الذي لايهاب ولا يخشى شيئا إلا الله، هذا القائد ضرب لهم المثل الأعلى في الشجاعة بتقدمه ومبادرته أولًا، فهو ماضٍ في إقدامه وجرأته، لا يخاف في أشدِّ

---

[1] دهش، عقيل جاسم: **البعد الانساني لشخصية الرسول الأعظم في شعر حسان بن ثابت**، ص34.

[2] السهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ج1، ص319. وابن هشام: **السيرة النبوية**، تح طه عبد الرؤف سعد، ج1، ص170.

[3] الماوردي: **أعلام النبوة**، مصدر سابق، ص223.

[3] حسان بن ثابت الأنصاري بن المنذر أحد المخضرمين الذين عاشوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الاسلام، مدح الرسول (▫) والصحابة والخلفاء وما زال إلى أن استأثر الله به سنة 50هـ. يُنظر: الزركلي: **الأعلام**، مجلد 2، ص175. والبرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، المكتبة التجارية، مصر، ص9

[5] البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان حسان بن ثابت**، ص80–81.

[6] حلق الماذي: يلبسون الدروع، جلد: قوي. – النحيزة: الطبيعة، غير رعديد: غير جبان.

[7] الكماة: جمع كميّ وهو الشجاع، الصناديد: الشجعان.

المواقف ولا يحتمي بغير السلاح ويشهد الغارات والحروب المملوءة بالأبطال والخيل والجياد، والأسلحة المرهفة، يتقدم بشجاعة وحماسة نحو الأعداء[1]. كما يذكرهُ حسان – رضي الله عنه – في موضعٍ آخر، وفيه يرد على عبد الله بن الزبعرى عندما بكى أهل بدر[2]:

(الكامل)

وَذَكَــرْتَ مِنَّــا مَاجِــدًا ذَا هِمَّــةٍ سَــمِحَ الخَلاَئــقِ مَاجِــدَ الإِقْــدَام
أَعْنِــي النَبــيَّ أَخَــا التَكــرُّم والنَّــدَى وَأَبــرَّ مَــنْ يُــولي عَلَــى الأُقســام[3]

فَمِن صور الشجاعة، الإقدام على القتال في حب الموت أو الشهادة في سبيل الله[4]. وهو إذا حلف أبَرَّ بقَسمه، وهذا دليل آخر على مكارم الأخلاق التي تحلى بها الرسول (ﷺ).

أما كعب بن مالك[5] فيذكر بدرًا، ويذكر القائد الذي بثَّ روح النصر والغلبة في نفوس جُندِه المؤمنين فيقول[6]:

(الكامل)

وَبِبِئْــرِ بَــدْرٍ إِذْ يــردّ وُجــوهَهُم جِبْرِيــلُ تَحْــتَ لِوَائِنــا وَمُحَمــد[7]

فهو يذكر إقدام الرسول (ﷺ) ورفعِه راية الحق والتوحيد، وقد أكرمهم الله بالنصر وأنزل معهم ملائكته وعلى رأسهم جبريل ملك الوحي عليه السلام قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾[8].

---

[1] مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الاسلام**، (د.ط)، عمان، دار عمار،1999 ، ص149.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص385.

[3] يولى: يحلف.

[4] مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الاسلام**، مرجع سابق، ص149.

[5] كعب بن مالك بن عمرو الأنصاري السلمي (بفتح السين واللام)، الخزرجي، صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة واشتهر في الجاهلية وكان في الاسلام من شعراء النبي (ﷺ) وشهد أكثر الوقائع (..._50 هـ =..._ 670م). ينظر: الزركلي: **الأعلام**، مج5، ص288.

[6] الأنصاري، كعب بن مالك: **الديوان**، تح مجيد طراد، بيروت، دار صادر، 1997، ص37.

[7] جبريل: الملاك جبرل،ناقل الوحي

[8] **سورة الأنفال**، آية 9.

وكعب بن مالك لا يتوقف عن مدح الرسول (▫) وشجاعته وتصويرها أمام الأعداء ليؤكد لهم أن أحد مظاهر هذه الشجاعة: قوة الرسول القائد وصلابته فيقول[1]:

(الوافر)

رَئيســـهُم النَّبـــيُّ وَكَـــانَ صُـــلبًا نَقـــيَّ الْقلَـــبِ مُصْـــطَبِراً عَزُوفـــاً[2]

إضافة إلى أنه القائد بما يتحلى به من القوة والشدة، فإنه يجمع إلى ذلك صفات أخرى منها طهارة القلب ونقاء السريرة. وقد كان (▫) يتعوذ من الجُبن، الذي هو ضد الشجاعة والإقدام، وكان يقول دُبر كل صلاة "اللّهم إني أعوذُ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أردّ إلى أرذل العمر[3].

ويصف كعب الرسول (▫) بذي الهمة والعزيمة المرتفعة التي لا يحول بينها وبين مرادها ومبتغاها أي شيء، ولا شيء يُثني هذا القائد العظيم عن الوصول لأهدافه فيقول[4]:

(البسيط)

نَجْـدُ المقـدَّمِ مَاضِـي الْهَـمِّ مُعْتـزِمٌ حِـينَ الْقلـوبِ عَلـى رَجْـفٍ مِـنَ الرُّعبِ[5]

فالرعب لم يعرف طريقه إلى قلب رسولنا الكريم، فتوكله على الله دائم، واستشعاره بمراقبته له وطمأنينته دائمًا تسكن قلبه. ولِهذا مدحه رفيقه أبو بكر[6] وهما يختبئان في غار حراء من قريش ورجالاتها بقوله[7]:

---

[1] كعب بن مالك: **الديوان**، ص68.

[2] العزوف: عفيف القلب واللسان.

[3] الإمام مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، ج2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1977م، ص476-477.

[4] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص25.

[5] النجد: العالي المرتفع، ونجد المقدم كناية عن الشجاعة، الهمَّ: الهمة والعزيمة، الرجف: الاضطراب والارتجاف، الرعب: الخوف.

[6] أبو بكر الصديق (51ق.هـ-13هـ=573-634م) هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي، خليفة رسول الله، رافقه في الهجرة وفي الغار، ومناقبه كثيرة جداً ، توفي وهو ابن ثلاث وستين سنه. ينظر: ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج2، ص341.

[7] أبو بكر الصديق: **الديوان**، تح راجي الأسمر، ط1، بيروت، دار صادر، 1997، ص53-54. وابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، ص183.

(البسيط)

قَــالَ النَّبــيُّ ولــمْ أَجْــزَع يُــوقِّرني وَنَحْـنُ فِـي سُـدْفةٍ مِـنْ ظُلْمَـةِ الْغَـارِ[1]

لاَ تَخْــشَ شــيئًا (فــإنَّ اللهَ ثَالِثُنــا) وَقــدْ تَوكَّلْنَــــــا مِنْــهُ بِإظْهَــــارِ[2]

وهذا مذكور في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[3].

فهو خير البرية، وخير خلق الله، وهو مفخرةٌ للعالمين، وقدوةٌ للتابعين، لا تأخذهُ في الله لومة لائم. وقد عبّر مالك بن نمط[4] عن شجاعة الرسول (▫) ووصفه بالسيف قائلاً[5]:

(الطويل)

فَمَــا حَمَلَــتْ نَاقَــةٌ فَــوْقَ رَحْلِهَــا أَشَــدَّ عَلَــى أَعْدَائِــهِ مِــنْ مُحَمَّــدِ

وَأَعْطَى إِذا مَـا طَالِـبُ العُرفِ جَاءَه وَأَمْضَــى بِحَــدِّ الْمَشْــرِفِي الْمُهنَّــد[6]

الشاعر يمتدح شجاعة الرسول (▫) وينفي أن تكون هناك ناقة قد حملت على ظهرها من هو أشدّ من محمد (▫) على الأعداء، ويستخدم اسم التفضيل (أمضى) ليدلل على هذه القوة من خلال تصويره الرسول بالسيف القاطع البّتار.

---

[1] لم أجزع: لم أصبر، وقَّر: جلّل، السدفة: الظلمة.

[2] لا تخشَ: لا تخف، إن الله ثالثنا: هذا رد الرسول (▫) على أبي بكر حين قال: "لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا " فقال: "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما".

[3] **سورة التوبة**، آية 40.

[4] مالك بن نمط بن قيس الهمذاني الأرحبي، أبو ثور، صحابي، شاعر من رؤساء همدان، استعمله النبي (▫) على من أسلم من قومه (سنة 9هـ) كان يلقب بذي المشعار (د.ت)، ينظر **الزركلي: الأعلام**، مج 5، ص267.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص5.

[6] المشرفي: سيف يُجلب من المشارف يُنسب اليها. المهند: السيف المصنوع من حديد بلاد الهند.

وتحدث عن هذه الصورة كعب بن زهير[1] حين مدح الرسول (▫) في لاميته ووصفه أيضًا بالسيف قائلاً[2]:

(البسيط)

إنَّ الرَّسُولَ لَسَيفٌ يُسْتَضاءُ بهِ مُهنَّدٌ مِنْ سُيوفِ اللهِ مَسْلُول

فالسيف رمز للبطولة، وشعار للفروسية، وأكثر ما يشبه بالسيف عند العرب الإنسان، من حيث شجاعته وقوته وبسالته، وكثير من الصفات التي حمدوها في السيف ألبسوها ممدوحهم الإنسان[3].

أما علي بن أبي طالب فلم يكتفِ بصفات الشدّة والصلابة كما ذُكرت عند الشعراء السابقين، بل صورهُ بالليث الذي يدافع عن عرينه بكل ما أُوتي من قوة وجلد فيقول[4]:

(الطويل)

جَوَادٌ تَشظَّى الْخَيلُ عَنْه كَأنَّما يَرَينَ بِه لَيْثًا عَلَيهِنَّ ضَارِيا
مِنَ الْأُسْدِ قَدْ أَحْمَى الْعَرِينَ مَهَابَةً تَفَادى سِبَاعُ الْأَرْضِ مِنْهُ تَفَادِيَا
شَدِيدٌ جَرِيء النَّفْسِ نَهْد مُصْدرٍ هُو الْمَوتُ مَغْدوٌ عَلَيْهِ وَغَادِيا

يقول علي – رضي الله عنه – إن هذا الفارس الجواد تفرقت الخيول عنه وابتعدت وكأنها رأت فيه الليث الضاري، هذا الأسد قد ذاد عن مملكته وقد زرع الرعب في قلوب الأعداء ونتيجة لذلك فإن سباع الأرض تتحاشاه وتبتعد عن طريقه .إذن هي صورة القائد العظيم مرتبطة برمز الليث الضاري والجامع بينهما صفة الشجاعة والقوة.

---

[1] هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر مخضرم، من أهل نجد عالي الطبقة وقد أنشد الرسول (▫) لاميته المشهورة ومطلعها "بانت سعاد" ودافع عن الرسول (▫) بشعره، وله ديوان شعر، ولا يعرف له تاريخ ميلاد، توفي عام 26هـ/645 م، يُنظر، الزركلي: **الأعلام**، مصدر سابق، ج 5، ص266.

[2] كعب بن زهير: **الديوان**، رواية ابي سعيد السكري، بيروت، دار الفكر للجميع، 1968، ص22.

[3] علي، أسامة عبد الحكيم: **دراسة تاريخية للسيف عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، التربية، الإمارات، ع83، 1999، ص32.

[4] علي بن أبي طالب: **الديوان**، جمع وترتيب عبد العزيز مكرم، ط1، 1988م، ص216.

وبرزت صورة الليث مرةً أخرى عند مالك بن عوف[1] إذ يقول[2]:

(الطويل)

وإذَا الْكَتيبَـــةَ عَـــرَّدَتْ أَنْيَابهـــا بالسَّـــمهرِي وَضَـــرْبِ كُـــلّ مُهنَّـــدِ[3]
فَكَأَنَّـــهُ لَيـــثٌ عَلَـــى أشْـــبَالِه وَسْـطَ الْهَبَـاءَةِ خَـادِرٌ فِـي مَرْصَـدِ

صورة حية رسمها الشعراء المسلمون للرسول القائد وسط المعركة وهو يذودعن الصحابة، ويرد عنهم كل ما يؤذيهم، فكأنما هو الأسد الذي تحتمي به أشباله الصغار. وكذاك هم صورة الجند عندما يتوسطهم الرسول محمد (▫) في المعارك والحروب. لكن هناك تساؤلًا يدور في ذهن الباحثة، وهو لماذا وصفَ الشاعُر الأسدَ بالخادر في البيت السابق؟ ومن المعروف أن الخدر للمرأة، فماهي العلاقة التي ربطت الأسد الخادر بالمرأة؟ هذه اللفظة (الخادر) ارتبطت مع امرىء القيس، فقد سبق العرب بأشياء ابتدعها واستحسنتها العرب، ومن ثم اتبعه الشعراء فيها. يقول امرؤ القيس[4]:

(الطويل)

وَيَـوْمَ دَخَلْـتُ الْخِـدْرَ خِـدْرَ عُنَيْـزَةٍ قَالَـتْ لَـكَ الْـوَيلَاتُ إنَّـكَ مُرْجِلِـي

يبدو من المغزى الذي أراده الشاعر بوصفهِ الأسد بالخادر؛ أنه أراد أن يقول لنا أن هذا الأسد لا يستطيع أحد أن يقترب من عرينه، كما هو الحال مع المرأة المخدرة التي لا يقرب دارها مريب؟ ويمكن أيضًا إنه لايعتدي على أحد، وإنما يدافع عن عرينه ويقاوم من يهاجمه وهو رابض فيه.

---

[1] مالك بن عوف بن سعد الأنصاري، صحابي، وشاعر، كان ذا منزلة عالية في قومه، وكان رئيساً للمشركين يوم حنين، قبل أن يُسلم، شهد القادسية، وفتح دمشق (ت: 20هـ): يُنظر: الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص264.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص134. والمرزباني: **معجم الشعراء**، ج1، ص322.

[3] السمهري: الرمح الصليب العود.

[4] الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (1205هـ)، تح أحمد فراج وآخرون، ط1، الكويت، ج1، 1965، ص140، مادة (خدر) وامرؤ القيس: **الديوان**، تح محمد ابو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، 1964، ص11.

وقد رُوي عن شجاعة الرسول قول أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس"[1] كانت تلك صور رسمها شعراء رجال للرسول (▫) وقت الشدائد والحروب، لكن ماذا عن النساء، هل ظهرت هذه الصفة للرسول (▫) في أشعارهن؟ وكيف عبرت النساء عن شجاعته (▫) في صدر الإسلام؟

تقول عاتكة بنت عبد المطلب[2] واصفةً شجاعة الرسول وإقدامه يوم بدر[3]:

(الطويل)

ألاَ بِـــأَبِي يَـــوْمَ اللقَـــاءِ مُحَمَـــدًا إِذَا عَضّ مِـنْ عَـوْنِ الْحـروبِ الْغَـوارِب[4]
مَـرَى السُّـيوفِ الْمُرهَفَـاتِ نُفوسـكم كِفَاحًـا كَمَـا تُمْـرِي السّـحَاب الْجَنَائِـب[5]
فَكَـمْ بَـرَدتْ أَسْـيافُه مِـنْ مَلِيلَـةٍ وَزَعْـزَعَ وِرْد بَعْـدَ ذَلِـك صَـالِب[6]

تصف الشاعرة شجاعة الرسول (▫) في الحرب، فالرسول والمسلمون يقاتلون بالسيوف مواجهة لأنهم لا يهابون الموت، فإما النصر وإما الشهادة، وهنا تأتي على وصف القوم من المشركين والكفار وماحلَّ بِهم من هزيمة وسكون وثائرة[7]. والشاعرة بذلك تشترك مع مالك بن نمط بتصوير الرسول مرَّة أخرى بالسيف القاطع، فقد استدرَّ بسيفه نفوس المشركين كما تستدر الخيول التي لا تركب،المطر النازل عليها. وتنتقل بعد ذلك لتصور قتلى القليب ومافعله ذلك الفارس المغوار عليه أفضل الصلاة والسلام هو وجيشه المقدام بهم فتقول[8]:

---

[1] **صحيح مسلم**، ج2، مصدر سابق، ص321.

[2] عاتكة بنت عبد المطلب بن هاشم، شاعرة لها ديوان في الحماسة، وهي من عمات الرسول "ص"تأخرت في إسلامها والثابت أنها كانت يوم وقعة بدر (2هـ/624م) بمكة ينظر الزركلي: **الأعلام**، مج 3، ص242.

[3] مقابلة، زايد: **عمات الرسول** (▫)، الأردن، عمان، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2008م، ص156.

[4] الحرب العوان: التي قُوتل فيها مرة بعد مرة.

والغوارب: جمع غارب وهو أعلى كل شيء.

[5] المرهفات: جمع مرهف وهو السيف الذي رقت حواشيه، كفاحاً: مواجهة، ليس بينهما حجاب، تمري: تستدر، الجنائب: جمع جنيبة وهي الفرس التي تُقاد ولاتركب.

[6] المليلة: الحر الكامن في الجسد والحمى، والورد: اسم من اسماء الخمس أو يومها إذا أخذت صاحبها لوقت، والزعازع: الشدائد، وصالب: صليت الحمى اشتدت وطالت.

[7] ينظر: مقابلة، زايد: **عمات الرسول** (▫)، مرجع سابق، ص140.

[8] مقابلة، زايد:**عمات الرسول** (▫)، مرجع سابق، ص156.

(الطويل)

فَمَـا بَـالُ قَتْلَـى فِـي الْقلَيـبِ وَمِـثْلهم لَـدى ابْـن أخِـي أسْـرَى لَـهُ مَـا يضـاربُ
فَكَـانوا نِســاءً أمْ أتَــى لِنفوســهمْ مِــنَ اللهِ حِــين سَــاق والْحِــين حَالــبُ
فَكيْــفَ رَأَى عِنْــدَ اللقَــاءِ مُحَمَــدًا بَنُــو عَمِــه والْحَــربُ فِيْهــا الْتَّجَــاربُ
أَلَــمْ يَغْشَــكُم ضَــرْباً يَحَــارُ لِوَقْعِــه الْجَبــان وَتَبْــدو بِالنَّهــارِ الْكَوَاكِــب

لقد أتت عاتكة على ذكر قتلى القليب، وتشبيه المشركين بالنساء، جاء الحين لنفوسهم فأهلكها ثم تأتي ثانية على شجاعة الرسول (▫) وتتساءل كيف رآه بنو عمه، وكيف كان الرسول (▫) والمسلمون يقاتلون المشركين ويضربونهم ضرباً يحار فيه الجبان، ولِدقة براعتها في رسم هذه الصورة العظيمة لهذا القائد العظيم، فإنها تذكر أنّ نجوم الليل وكواكبه قد ظهرت لهم في وضح النهار كنايةً عن قوة وشجاعة هذا القائد وجيشه[1]. إنّ الصورة التي رسمها الشعراء للرسول وشجاعته مستمدة من الطبيعة ومظاهرها، فتصوير الرسول (▫) بالأسد الضاري تارةً وبالسيف الباتر تارةً أخرى؛ لهو التحام كبير بهذه الطبيعة وماحولها .وقد رأينا كيف استحوذت صورة الأسد على منزلة كبيرة من حيث التردد والحضور. هذا الحيوان يُشكل رمزًا لمجموعة من القيم الاجتماعية والنفسية، فإذا كان لهذا الليث القدرة الكبيرة على حماية مملكته، فكيف بنا بالقائد المصطفى مع جيشه؟ فلاعجبَ إن صَوّرهُ الشعراء بالأسد في شدته وبأسه ومنعته.

كانت هذه بعض الصور التي رسمها الشعراء لقائد مسيرتهم المصطفى (▫)، حاولوا ما استطاعوا أن يكون الرسول القائد قدوتهم ومثلهم الأعلى في الشجاعة والإقدام والتضحية في سبيل الله من خلال استحضار المعارك والسيوف الباترة، ومن خلال تصوير الرسول (▫) بالأسد الخادر بين أشباله، استعداداً للنزول للمصاولة والقتال، وأرى بأنهم قد وُفقوا في رسم كثير من ملامح هذه الصورة .

[1] ينظر: مقابلة، زايد: **عمات الرسول** (▫)، مرجع سابق، ص140-141.

ثانياً : صورة الكريم:

صفة ثانية تميَّز بها سيد المرسلين، صفة قديمة حديثة، تجلت في أخلاقه وفي صفاته (ﷺ)، وورثها عن آبائه وأجداده ومدحه سبحانه في كتابه قال تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾[1].

وقد أودع الله هذه الخصلة في نفس النبي الكريم، فكان نعم القدوة والمثل الأعلى في البذل والعطاء. فكان بكرمه المفرط،وسخائه الدائم مدرسة تعلم منها المسلمون الأوائل كيف يكون البذل في سبيل الله وكيف يشترون آخرتهم بدنياهم، وهذا الرسول (ﷺ) قد خُيِّر من قبل فاختار الآخرة، لكن ما هي الصورة التي ظهرت له عند الشعراء؟ وكيف تناولوها في أشعارهم؟

كانت صورة الرسول الكريم قد اتخذت مسارين، الأول الكرم المادي والآخر الكرم المعنوي، وكلاهُما كانا في حياة الرسول (ﷺ) جنبًا إلى جنب، فقد كان (ﷺ) ينفق المال في سبيل الله وتأليفًا على الإسلام و تشريعًا لأمته، وكان جوده وكرمه سببًا في إسلام كثير من المشركين، فقد كان يُعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وما رواه أنس – رضي الله عنه– يُؤكد ذلك حيث قال "ما سُئل رسول الله (ﷺ) شيئًا إلا أعطاه على الإسلام، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: "يا قوم أسلموا، فإن محمدًا يُعطي عطاء من لا يخشى الفاقة"[2].

وكان (ﷺ) يمضي عليه الشهرُ والشهران ولا يُوقد في بيته نار، وبالرغم من شدة حاجته إلا أنه كان دائم العطاء كما ورد عن ابن عباس – رضي الله عنه – " كان رسول الله أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان"[3].

لهذا كان شعراء صدر الإسلام قد أتوا على صورته في الكرم في حياته، وحتى بعد وفاته في أشعارهم – فمما ذكره حسان رضي الله عنه – وامتدح به الرسول في حياته قوله[4]:

---

[1] **سورة الحاقة:** آية 40.

[2] **صحيح مسلم:** ج1، ص324.

[3] **المرجع السابق**، ص321.

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص385.

(الكامل)

أَعْنِــي النَّبِــي أَخَــا التَّكَــرُّمِ والنَّــدَى وَأَبــرَّ مَــنْ يُــولِي عَلَــى الْأَقْسَــام

حسان يخص الرسول (▫) بهذا المدح، ولا أحد يستحق هذا المدح سواه (▫) ولذلك يأتي حسان بقصيدة أخرى ليؤكد على هذه الخصلة ويقول[1]:

(البسيط)

أَعْنِــي الرَّسُــولَ فــإنَّ اللهَ فَضَّــلَهُ عَلَــى البَرِيــةِ بِــالتَّقَوَى وَبِــالْجُود

حسان يُبين منزلة الرسول (▫) ومكانته عند الله، فقد ارتفعت وعلت هذه المنزلة بسبب تقواه وكرمه، لأنه ينفق في سبيل الله، ولأجل مرضاته، لا رياءً أو مباهاةً، أو طلبًا لمركزٍ أو شهرةٍ فهو قدوة المسلمين ومُعلمهم. وهذا ما عبَّر عنه مالك بن عوف[2]، فبعد أن ردَّ الرسول (▫) صبايا هوازن، يسأل عن مالك بن عوف ما فعل؟ فقال قومه: هو بالطائف مع ثقيف، فقال الرسول (▫) أخبروا مالكًا إن أتاني مسلمًا رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فلما جاء بالغ في إكرامه، وردَّ عليه أهله وماله وأسلم مالك وقال[3]:

(الكامل)

مَــا إنْ رَأَيْــتُ ولاَ سَــمِعْتُ بِمِثْلِــهِ فِــي النّــاسِ كُلّهِــم بِمِثْــلِ مُحَمْــد
أَوْفَــى وَأَعْطَــى لِلْجَزِيــلِ إذا اجْتُــدى وَمَتَــى تَشَــأ يُخْبِــرك عَمَّــا فِــي غَــدِ[4]

هذه الصفة (الكريم) جعلت مالكًا بن عوف يقع في حيرة من أمره، ويقف أمام عظمة الرسول (▫) مشدوهًا، فهو لم يسمع عن شخص بهذا الشرف الرفيع من الخلق، ولم يكن في عصره وما دانى طرفيه من قاربه في فضله، ولا داناه في كماله خلقًا وخُلقًا"[5].

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص80.

[2] هو مالك بن عوف بن سعد الأنصاري، صحابي وشاعر، كان ذا منزلة عالية في قومه، كان رئيساً للمشركين يوم حنين، قبل أن يسلم، شهد القادسية، وفتح دمشق (ت: 20هـ). يُنظر الزركلي: **الأعلام**، ج5، ص264.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 4، ص134.

[4] اجتدى: طلب منه الجدوى أي العطية.

[5] الماوردي: **أعلام النبوة**، مصدر سابق، ص201.

ولعلّ كرم الرسول (▫) وعطاءه هو ما شجَّع زهير بن صرد الجشمي[1] لأن يطلب العفو والكرم من الرسول (▫) يوم حنين عن طريق تذكيره برضاعته في بني سعد، ويستعطفه بقوله[2]:

(البسيط)

امْـنُنْ عَلَـى نِسْوةٍ قَدْ كُنتَ تَرْضَعها ... إذْ فُـوكَ يَملـؤه مِـنْ مَحْضِـها الـدّرَر
امْـنُنْ عَلَـى نِسْوةٍ قَدْ كُنتَ تَرْضَعها ... وإذْ يَزِينـكَ مَـا تـأتي وَمَـا تَـذَر
امْـنُنْ عَلَيْنَـا رَسُـول اللهِ فِـي كَـرَمٍ ... فَإِنَّـكَ الْمَـرءُ نَرْجُـوه وَنَنتَظِـر

إنَّ تذكير الجشمي للرسول (▫) بفترة حضانته ورضاعته في البادية، واستعطافه كرمه، كل ذلك لينقذ قومه من الأسر، فماكان من الرسول (▫) إلا أن قال "ماكان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وكذلك قالت قريش والأنصار"[3]. وهكذا فقد كان كرم الرسول سبباً في عودة السبايا من هوازن والغنائم لأصحابها،فعادت فواضله عليهم قديمًا وحديثًا، وقد تأثّر الصحابة بكرم الرسول (▫) وتنازلوا عن حقهم أيضًا.

أما مالك بن نمط[4] فقد وضَّح عطاء الرسول (▫) الذي لا يدانيه أحد فقال[5]:

(الطويل)

وَأَعْطَـى إِذَا مَـا طَالِـبُ العُرفِ جَـاءَهُ ... وَأَمْضَـى بِحَـدِّ المَشْـرِفِي الْمُهَنَّـد

إنّ كرمَ الرسولِ (▫) مشهودٌ له ليس فقط عند مالك بن نمط، فهو الكريم قبل بعثته وبعدها، ومما ورد في صحيح مسلم قول خديجة – رضي الله عنها – عندما أتاه الملك جبريل عليه

---

[1] زهير بن صرد الجشمي: أبو صرد الجشمي السعدي من بني سعد بن بكر ويكنى أبا جرول، كان زهير رئيس قومه وقدم على رسول الله في وفد هوازن (د.ت). يُنظر: الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (260–360هـ): **المعجم الكبير**، ط2، (د.م)، دار إحياء التراث العربي، ج5، ص270.

[2] البهيقي: **دلائل النبوة**، ج5، ص194. وابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص153. وابن كثير: **البداية والنهاية**، مج2، ج3، ص363.

[3] البهيقي: **دلائل النبوة**، ج5، ص194. وابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص153.

[4] مالك بن نمط بن قيس الهمذاني الأرحبي، أبو ثور، صحابي وشاعر، من رؤساء همدان، استعمله النبي (▫) على من أسلم من قومه سنة (ت: 9هـ) كان يُلقب بذي المشعار (د.ت). يُنظر: الزركلي: **الأعلام**، مج5، ص267.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص246.

السلام أول مرة "إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف"[1]. فكرمه (▫) يشمل القريب والبعيد، الفقير والغني، وهذا العباس بن مرداس[2]، يطمع في كرم الرسول (▫) ولا يقبل أن يُفضّل عليه عيينة بن حصن والأقرع بن حابس في العطاء فيقول[3]:

(المتقارب)

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبِيدْ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ
وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا قُدْرَةٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أَمْنَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ

فما كان من الرسول (▫) إلا أن قال " اذهبوا واقطعوا لسانه، فزادوه حتى رضي"[4].

وهذه القصة توضح صورة الكرم عند الرسول (▫) في تأليف القلوب، ولهذا فقد اتسمت الصورة بمعانٍ إسلامية تختلف كلياً عما كانت في الجاهلية، لأنها اتخذت من القرآن الكريم تشريعاً ودستوراً لها " قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢ ﴾ "[5]، وكذلك من سنة الرسول العطرة الدافع الأول للبذل والعطاء . ويأتي محمد ابن بشر بن معاوية[6] – رضي الله عنه – على كرم الرسول (▫) البالغ معهم، ويمتدحه فيقول[7]:

---

[1] **صحيح مسلم**، ج 1، ص79.

[2] العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد بن قيس بن سليم، ويُكنى أبا الهيثم،وهو ابن الخنساء الشاعرة، كان فارساً وسيداً في قومه وقد أدرك الإسلام، ووفد على رسول الله (▫) وحسن إسلامه وروى الحديث. ينظر: المعلمي،يحيى بن عبد الله: **عقود الجمان شعر وشعراء**، (د.ط)، الرياض، دار المعلمي للنشر والتوزيع، ج1، 1994م.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص359. والواقدي: **المغازي**، مصدر سابق، ج3، ص947. والمعلمي: **عقود الجمان**، ص146.

[4] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، مصدر سابق، ج2، ص359. والواقدي: **المغازي**، مصدر سابق، ج3، ص946–947.

[5] **آل عمران**، آية 92.

[6] محمد بن بشر بن معاوية بن ثور البكائي، من بني كلاب بن صعصعة، يُعد في أهل الحجاز قدم هو وأبوه على الرسول (▫) وافدين فدعا لهم بالبركة وأعطاهم أعنزاً. يُنظر ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج6، ص146.

[7] ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج 6، ص146. والسيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الخصائص الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، 1985، ص44.

(الكامل)

وَأبِـي الَّـذي مَسَـح النَّبِـي برأسِـه ... وَدَعَـا لَـهُ بِـالْخَيرِ وَالبرَكَـات
أَعْطَـاهُ أَحْمَـد إذْ أَتَـاهُ أَعْنُـزًا ... عُفـراً ثَواجِـل[1] لَسْـنَ باللُجُبَـات
يَمْـلَأْنَ رِفْـدَ الْحـيِّ كُـلَّ عَشـيّة ... وَيَعُـودُ ذَاكَ الْمَـلء بِالْغَـدَوات
بُـورِكْنَ مِـنْ مِـنَحٍ وَبُـورِكَ مَـانِحٌ ... وَعَلَيْـهِ مِنِّـي مَـا بَقِيـتُ صَـلَاتِي

هذا العطاء المبارك من سيد الخلق المبارك، كان له وقعه في نفس محمد بن بشر، فجاءت أبياته صادقة معبرة عن كرم الرسول (ﷺ) فكان صاحب حظوة، إذ نال من كرم الرسول المعنوي بأن مسح على رأسه ودعا له بالخير والبركة، وكذلك أعطاهم أعنزًا تغدو شباعًا في أثناء عودتها. فكان نعم الكرم المادي من خير خلق الله (ﷺ). أما الصورة عند طالب بن أبي طالب[2]، فكانت أوسع وأبلغ بكثير من الشعراء السابقين، فقد صوَّر الرسول (ﷺ) بالبحر الواسع العطاء فقال[3]:

(الطويل)

فَمَـا إنْ جَنَيْنَـا مِـنْ قُـرَيْشٍ عَظِيمَـة ... سِـوَى أَنْ حَمَيْنَـا خَيْـرَ مَـنْ وَطِـىءَ التُّرْبَـا
أَخَـا ثِقَـةٍ فِـي النّائِبَـات مُـرْزِءاً ... كَرِيمًـا نَثَـاهُ لَا بَخِـيلاً وَلَا ذَرْبَـا
يطِيـفُ بِـهِ الْعـافُونَ يَغْشُـون بَابَـه ... يؤمُّـون بَحْـرًا لَا نَـزُوْرًا وَلَا صَـرْبًا[4]

هذا الرسول كما البحر العظيم في عطائه، يقف السائل ببابه طالباً جوده وكرمه الذي لا يقل ولا ينضب، ولا تشوبه شائبة، كما عرفوه (ﷺ) يلجأون إليه وقت الشدائد ويجدونه.

---

[1] ثواجل: عظام البطون. اللجبات: جمع لجبة وهي الشاة التي قلَّ لبنها.

[2] طالب بن أبي طالب، أخو جعفر وعقيل وعلي وكان أحسن أخوته، مفقوداً في غزوة أحد، وقيل جال به فرسه في البحر وغرق قبل الهجرة بثلاث سنين وليس له عقب، وكان عمره خمسين سنة. يُنظر الأعلمي، محمد بن الحسين الحائري (ت: 1394هـ): **دائرة المعارف او مقتبس الأثر ومجد مادثر**، ط1، بيروت، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي، ج2، 1968، ص27.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص28. السهيلي: **الروض الأنف**، ج5، ص247.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، النزور: القليل التافه، مادة (نزر). وصربا: مادة (صرب) وهو اللبن الحقين الحامض.

والصورة الأجمل في وصف الرسول (▫) بالبدر إذا ما طلع للناس في وقت الشدة، نجدها عند قطن بن حارثة[1] حيث يقول[2]:

(الطويل)

أَغــرّ كــأنَّ الْبَــدْرَ ســنَّةُ وَجْهِــه إِذَا مَـا بَـدَا لِلنَـاسِ فِـي حُلَـلِ الْعصْـبِ
أَقَمْـتَ سَـبِيلَ الْحَـقِّ بَعْـدَ اعْوِجَاجِهـا وَرَشْـتَ الْيَتَـامى فِـي السِّـقَايَةِ وَالْجَـدْبِ

اقترنت صورة الرجل الكريم بالبدر الذي يعم ضوؤه ليشمل الجميع[3]، ولم يجد الشاعر أجمل من صورة البدر يرسمها للرسول (▫) الكريم؛ لأن حاجة العرب للكريم وقت الشدة لا تقل عن حاجتهم إلى القمر في الليالي المظلمة، فقد أصبحت الأيام العصيبة والسنوات القاحلة مقياساً للجود والكرم حيث تكون فيه الحاجة أعظم والإنسان أعوز للمساعدة، ومن هنا لجأ الشعراء للقمر لإبراز مكانة الكريم وإظهار قيمة الكرم والجود كفضيلة تستحق الثناء والمدح[4].

كان تلك صور رُسمت للرسول (▫) في حياته لكن الشعراء لم يتوقفوا عن مدحهم الرسول (▫) ووصفه بالكريم حتى في رثائهم له بعد وفاته، فحسان – رضي الله عنه – يبكي بحرقة على فقد الرسول (▫) ويعرض مكارم خلقه ويقول[5]:

(الطويل)

وَمَـا فَقَـدَ الْمَاضُـونَ مِثْـلَ مُحَمَّـدٍ وَلاَ مِثْلُـهُ حَتَّـى القِيَامَـةِ يُفْقَـدُ
أَعَـفَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً بَعْـدَ ذِمَّـةٍ وَأَقْـرَبَ مِنْـهُ نَـائِلاً لاَ يُنَكَّـدُ[6]
وَأَبْـذَلَ مِنْـهُ لِلطَّرِيـفِ وَتَالِـدٍ إِذَا ضَـنَّ مِعْطَـاءٌ بِمَـا كَـانَ يُتْلِـدُ[7]

---

[1] قطن بن حارثة العليمي من بني عليم بن بكر بن زيدبن اللات بن ثور بن كلب يُنظر: ابن الأثير، عز الدين بن الحسن بن علي بن محمد الجوزي: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط1، تح محمد معوض وعادل عبد الموجود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1994م، ج4، ص389.

[2] المرزباني: **معجم الشعراء**، ص189. ابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج4، ص389.

[3] اشتية، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2010 م، ص168.

[4] يُنظر: اشتية، فؤاد اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، ص82.

[5] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص95.

[6] النائل: ما تناله أي عطاء، والمنكد: النزر وأن لا يهنأه من يعطاه.

[7] الطريف: المال المحدث المستفاد، التالد: والتليد المال القديم الأصلي الذي وُلد عندك أو ورث عن الآباء، يُتلد: يُتخذ من مال.

يذكر حسان أن الماضين في الخلق لم يفقدوا مثل محمد، ولن يفقدوا مثله حتى يوم القيامة. صورة النبي الكريم حتى بعد وفاته بقيت في أذهان الشعراء ولمسوها وعاشوها مع الرسول (▫). فهذه الصفة امتاز بها من بين البشر، فقد كان أجودهم وأكثرهم صدقة في سبيل الله وقد شرع نظام الزكاة وجعلها أحد الأركان الخمسة[1].

وفي مقطوعة أخرى من رثاء حسان بن ثابت للرسول (▫)، يذكر أن النبي أبذل الناس وأكثرهم عطاءً فيقول[2]:

(البسيط)

مُصَـــدِّقًا لِلنَّبيـــين الأُلَـــى سَـــلفُوا وَأَبْـذَلَ النَّـاسِ لِلْمَعْـرُوفِ لِلْجَـادِي[3]

ونلاحظ تكرار المفردات نفسها عند حسان، فقد وردت (أبذل) في الأبيات السابقة، وها هي الآن ترد مرةً أخرى ليؤكد بتكراره المفردة على قمة الكرم والعطاء الذي تحلى به سيد الخلق والمرسلين.

ونجد في رثاء أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – صورة الرسول الكريم فهو نعم الإمام والقائد وفي ذلك يقول الصديق[4]:

(الوافر)

فُجِعْنَـــا بِـــالنَّبِي وَكَـــانَ فِينَـــا إِمَـــام كَرَامَـــةٍ نِعْـــمَ الإِمَـــام

فهو صاحب كرامات وأفضال ولن ننساه وننسى فضله على العالمين. وفي موضعٍ آخر يطلب من عينه أن لا تسأم ببكاء الرسول ويصور الرسول بصاحب المكرمات والأعمال الشريفة ويقول[5]:

---

[1] المباركفوري، صفي الرحمن: **وإنك لعلى خلق عظيم**، دار كنده للإعلام والنشر، ج1، (د.ت)، ص430.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**: ص100.

[3] الجادي: طالب الجدوى وهي العطية.

[4] أبو بكر الصديق: **الديوان**، ص29.

[5] المصدر السابق، ص31، ص32.

(المتقارب)

أَيَــا عَــيْنُ جُــودِي وَلاَ تَسْــأمِي وَحَــقَّ الْبُكَــاءِ عَلَــى السَّــيدِ[1]
عَلَــى ذِي الْفَوَاضِــلِ وَالْمَكْرُمَــاتِ وَمَحْــضِ الضَّــرِيبَةِ وَالْمُحْتَــدِ[2]
فَكَيْــفَ الإِقَامَــةُ بَعْــدَ الْحَبِيــبِ بَــيْنَ الْمَحَافِــلِ وَالْمَشْــهَدِ[3]

إِنَّ أبا بكر إِذْ يطلب من عينيه البكاء وعدم الملل ببكاء الحبيب (ﷺ)، يُعبر عن الأصل الطيب للرسول (ﷺ) ويتذكر فضله وكرمه، فهو صاحب الجود وهو من كان القدوة للمسلمين والمثل الأعلى في البذل والعطاء،وسيكون من الصعب عليه أن يعتاد الحياة الطبيعية دونه.

أمَّا الصورة الإيمانية التي رسمها كعب بن مالك لفقد الرسول (ﷺ) فقد توشحتها الحزن وألهبتها المشاعر[4]. ففي حين كانت الفاجعة بفقد النبي (ﷺ) عظيمة، سكبت عيناه الدموع وراح كعب يصرخ ويقول[5]:

(المتقترب)

يَــا عَــيْنُ فَــابْكِي بِــدَمْعٍ ذَرَى لِخَيْــرِ البَرِيَــةِ وَالْمُصْــطَفَى[6]
وَبْكِــي الرَّسُــول وَحَــقَّ الْبُكَــا عَلَيــهِ لَــدَى الْحَــرب عِنْــدَ اللُقَــا
عَلَــى سَــيِّد مَاجِــدٍ جَحْفَــلٍ وَخَيْــرِ الأَنَــامِ وَخَيْــرِ اللْهَــا[7]

إذن هي صورة السيد الماجد الكريم، خير الخلق، وخير الأنام، فوقت الحروب سنفتقد القائد، ووقت الهبات والكرم سنتذكر هذا العظيم والمانح الذي لا يباريه أحد في كرمه وعطاياه .

---

[1] جودي: اسخي بالدمع، لا تسأمي: لا تملي، حقَّ: وجب، السيد: هو النبي (ﷺ).

[2] ذي الفواضل: صاحب الأعمال الشريفة، المكرمات: جمع مكرمة وهي فعل الكرم، محض الضريبة: خالص الطبيعة، المحتد: الأصل.

[3] المحافل: جمع محفل وهو تجمع الناس، المشهد: محضر الناس وتجمعهم، الحبيب: محمد (ﷺ).

[4] يعقوب، عبد الكريم وأمين أحمد حميدوش: **صورة الإنسان المؤمن في الشعر بين صدر الإسلام والعصر الأموي**، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج31، ع1، 2009 م، ص4.

[5] كعب بن مالك: **الديوان**، ص111.

[6] ذرى: تفرق على الخدين.

[7] جحفل: السيد الكريم الرفيع القدير، اللها: العطاء الذي لا عطاء فوقه.

أما عاتكة بنت المطلب فصورت الرسول صاحب الندى والكرم وهو صاحب السيادة والشرف الرفيع، وفي رثائها له، تطلب له الرحمة من رب العالمين وتقول[1]:

(الكامل)

فَعَلَيْــكَ رَحْمَــةُ رَبِّنَــا وَسَــلَامه يَــا ذَا الْفَوَاضِــل وَالنَّــدَى وَالْسـؤددِ

ففي المدح ظهرت صورة الرجل القائد الكريم، وفي الرثاء لم تغب صورة الرسول الكريم عند الشعراء، وها هي في الاعتذاريات تظهر صورة الرسول الكريم (▫) وفيها يُعبر الشاعر عن ندمه واعتذاره عما بدا منه في الماضي.

ويطلب من الرسول (▫) أن يعفو عنه بعد أن كان قد أهدر دمه، والحديث هنا عن أنس بن زنيم[2] بعد أن أتى الرسول تائباً قال[3]:

(الطويل)

فَمَــا حَمَلَــتْ نَاقَــةٌ فَــوْقَ رَحْلِهَــا أَبــرَّ وَأَوْفَــى ذِمَّــةً مِــنْ مُحَمَّــد
أَحَــثّ عَلَــى خَيــرٍ وَأَسْــبَغ نَــائلًا إِذَا رَاحَ كَالسَّــيفِ الصَّــقِيلِ الْمُهَنْــد[4]
وَأَكْسَــى لِبُــردِ الْخَــالِ قَبْــلَ ابْتِذَالِــه وَأَعْطَــى لِــرَأسِ السَّــابِقِ الْمُتَجــرد[5]

أنس في أبياته يعتذر للرسول (▫) ويمتدح شجاعته وكرمه، هذا الكرم المادي قد شاهده وعرفه أنس بأم عينيه، وها هو الآن أمام كرم الرسول المعنوي طالباً العفو والمغفرة له.

---

[1] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص842–ص942، ومقابلة، زايد: **عمات الرسول** (▫)، **السيرة والشعر**، مرجع سابق، ص 162.

[2] هو أنس بن زنيم بن عمرو الكناني، شاعر من الصحابة، هجا الرسول (▫) فأهدر دمه، أسلم يوم الفتح ومدح الرسول (▫) وعفا عنه، (ت: 60هـ)، يُنظر الزركلي: **الأعلام**، ج2، ص24.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص424، وابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج3، ص4، ص5، والواقدي: **المغازي**، ج2، ص790–791.

[4] في المغازي: وأوسع نائلاً إذا راح يهتز اهتزاز المهند، يُنظر ص790–791.

[5] الخال: ضرب من ضروب اليمن وهو من رفيع الثياب، والسابق الفرس المتجرد: يتجرد من الخيل ويسبقها.

ثالثاً: صورة الصادق:

خصلة الصدق ارتبطت ارتباطًا كبيرًا مع سيدنا محمد (▫) قبل بعثته، كان يُطلق عليه الصادق الأمين، وقد عُرف عند قريش والعرب بهاتين الخصلتين متلازمتين على الدوام، فهل كان لصدق الرسول (▫) صدى وحضورٌ عند الشعراء بعد الإسلام؟ وهل تفاوتَ الشعراء في رسم صورة الصادق عليه السلام في أشعارهم؟

أما مظاهر الصدق في حياة الرسول (▫) فنلخصها في عدة أمور منها: الصدق في الحديث، والصدق في العزم، والصدق في المعاملة والوعد، وجميع هذه الأمور تجلت في رسولنا الكريم، فلم يكن بالأمر الجديد على الشعراء أن يصفوا الرسول بالصادق في أشعارهم بعد الإسلام، وكانت قد تجلت هذه الخصلة في نفسه (▫) قبل بعثته. لقد صوَّر الشعراء الرسول الصادق في حياته وحتى بعد مماته بأبلغ الصور، وقد تباينت المفردات الدالة على الصدق بين الشعراء، فهذا أبو طالب عم الرسول (▫) يشهد بصدق الرسول فيقول[1]:

(الطويل)

لَقَــدْ عَلِمُــوا أنَّ ابْنَنَــا لَا مُكَــذَّبٌ لَــدَيهِم وَلاَ يُعْنَــى بِقَــولِ الأَبَاطِــل

يُذّكر أبو طالب قريشًا بلقب الرسول (▫) في الجاهلية الصادق وهم يعلمون ذلك ولم يجربوا عليه كذبًا من قبل .وفي قصيدة أخرى يأتي أبو طالب على دعوة الرسول له للدخول في الإسلام، وبرغم عدم إسلامه ظلَّ يدافع ويُحامي عن محمد (▫) من قريش والمشركين ويقول[2]:

(الكامل)

وَاللهِ لَــنْ يَصِــلُوا إِلَيْــكَ بِجَمْعِهِــم حَتَّــى أُوَسَّــدَ فِــي الْتُّــرابِ دَفِينَــا
وَدعَــوْتَنِي وَزَعَمْــتَ أَنَّــكَ نَاصِــحٌ وَلَقَــدْ صَــدَقْتَ وَكُنْــتَ ثَــمَّ أَمِينَــا

[1] التنوجي، محمد: **أبو طالب عم النبي (▫)**، ص73.

[2] المرجع السابق، ص91.

أبو طالب يمتدح الرسول ويَذكر صدقه (ﷺ)، وهذه شهادة كبيرة للرسول (ﷺ) ليس لأن عمه قالها؛ بل لأن أبا طالب معروف بسيادته في قريش، وقوته، ودفاعه عن محمد. وهو أيضًا كما قريش يعرف صدقه ولكن دعوات الرسول بهداية الله له، لم تؤتِ ثمارها.

فقريش وأهل مكة يشهدون بصدق الرسول، لكن تكذيبهم له كان لأجل الدعوة والدخول في الدين الإسلامي ومما يرويه ابن عباس – رضي الله عنه – قول الرسول (ﷺ) حين دعا قريشًا للإسلام (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تُغير عليكم أكنتم مصدِّقي؟ قالوا نعم، ما جربنا عليك كذباً)[1].

وها هو الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد أن هداه الله للإسلام امتدح النبي فقال[2]:

(البسيط)

نَبِـيٌّ صِـدْقٍ أَتَـى بـالْحَقَّ مِـنْ ثِقَـةٍ وَافَـى الْأَمَانَـةَ مَـا فِـي عـوُدِه خَـورُ

هذه شهادة المؤمن الحق عبَّر فيها ابن الخطاب عن النبي (ﷺ) بالصدق وقد جاء بالحق،وهو كلام رب العالمين وقد عَرف النبي (ﷺ)، وشَهِد له بصدق الحديث.

وحسان بن ثابت لا يبتعد عن وصف عمر بن الخطاب للرسول بالصادق فيقول في مدح النبي (ﷺ)[3]:

(الوافر)

وَقَـالَ اللهُ قَـدْ أَرْسَـلْتُ عَبْـدًا يَقُـولُ الْحَـقُّ إِنْ نَفَـعَ الْـبَلَاءُ[4]

شَـهِدْتُ بِـهِ فَقُومُـوا صَـدِّقُوه فَقُلْـتُم لَا نَقُـومُ وَلَا نَشَـاءُ[5]

---

[1] **صحيح مسلم**: ج1، ص109.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص348.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص6.

[4] عبداً: يعني رسول الله (ﷺ)، البلاء: الامتحان في الخير والشر.

[5] شهدت: آمنت وصدقت.

حسان – رضي الله عنه – يروي عن الله سبحانه وتعالى حقيقة محمد، وما بُلِّغ به وأُلقي عليه من أمر التكليف بقوله (أرسلت عبدًا)[1]، وحسان يشهد بالصدق لمحمد لكن قومه أَبوا تصديقه ووقفوا للنبي بالمرصاد.

وفي قصيدة أخرى يذكر حسان تصديقهم للرسول وبما جاء به من الوحي فيقول[2]:

(المتقارب)

رَسُـــول نُصَـــدِّقُ مَـــا جَـــاءه مِـــنَ الْـــوَحِي كَـــانَ سِـــرَاجًا مُنِيـــرًا

وهنا تصديق حسان والصحابة للوعد الذي جاء به الرسول هادياً ومنيراً لهم ظلمات الجهل والضلال.

وأبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أول من صدق بدعوة الرسول وآمن بها، فلُقب بالصديق، عبَّر عن الحال التي عايشها مع الرسول الصادق فقال[3]:

(الطويل)

مُحَمَّـــدُ المُخْتَـــارُ أَكْـــرَم مُرْسَـــلٍ وَأَصْـــدَقُ مَبْعُـــوث لِأَكْـــرَمِ بَاعِـــث
مُصَـــدِّقٌ كُتُـــبَ الأَنْبِيَـــاءِ وَرَاءه فَكَذَّبَـــهُ أَبْنَـــاءُ تِلْـــكَ الطَّوَامِـــث[4]

صورة الرسول الصادق عند أبي بكر يُعبر عنها باسم التفضيل (أصدق) من بُعث على هذا الكون ومحمد مصدق لما جاء به الأنبياء ممن سبقوه – لكن التكذيب جاء من قومه، مما حدا بأبي بكر لأن يُطلق عليهم صفة النساء الطوامث تحقيراً واستهزاءً بهم.

وفي أبيات أخرى يكني عن الرسول (أحمد) ويصفه بالصادق فيقول[5]:

---

[1] الحبوبي، علي محمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**، آداب الرافدين، العراق، ع13 ،1981، ص397.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص213.

[3] أبو بكر الصديق: **الديوان**، ص47.

[4] الطوامث: مفردها طامث وهي المرأة الحائض وهي هنا كناية عن المشركين.

[5] أبو بكر الصديق: **الديوان**، ص47.

(الطويل)

بِـــأَنَّ رَسُـــولَ اللهِ أَحْمَـــد صَـــادِقٌ لَأَرْسَـــــلَهُ الـــــرَّحْمَنُ أَكْـــــرَم وَارِثْ

وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يشهد بصدق المصطفى، كيف لا؟ وقد عاش في بيت النبوة، وتشربَّ من أخلاق الرسول وصفاته الكثير، فيُكنِّيه بوالدته آمنة – رضي الله عنها – فيقول[1]:

(الكامل)

إنَّ ابْـــنَ آمِنَـــة النَّبِـــيَّ مُحَمَّـــدًا رَجُـــلٌ صَـــدُوقٌ قَـــالَ عَـــنْ جِبْرِيـــل

وعلي إذْ يشهد بصدق القول للرسول، وصدق تبليغه الرسالة عن طريق الوحي جبريل عليه السلام؛ يتأثر بذلك، فمما يُروى أنه عندما أراد الهجرة إلى المدينة المنورة، قال له العباس إن محمداً ما خرج إلا خفيةً وقد طلبته قريش أشدَّ الطلب وأنت تخرج جهاراً؟ فقال علي هذا البيت ضمن قصيدة امتدح فيها الرسول (ﷺ) الصادق الذي لا يخشى إلا الله، لأنه على طريق الحق والعدل[2] وهو قدوة الصحابة ومثلهم الأعلى.

وكعب بن مالك يعبر عن منهج الرسول وطريقه فيقول[3]:

(البسيط)

الْحَـــقُّ مَنْطِقُـــهُ وَالْعَـــدلُ سِـــيرَتُهُ فَمَـــنْ يُجِبْـــهُ إِلَيْـــهِ يَـــنْجُ مِـــنْ تَبَـــبِ[4]

هذا الرسول لا يقول إلا حقا، وسيرته العطرة تشهد بذلك، وهو يجمع الصدق والعدل في آن واحد، ويقول إن من يجب دعوته ويصدق بها ينج بنفسه من الهلاك. كما يمتدح كعب صدق الرسول (▫) في قصيدة يرد فيها على ضرار بن الخطاب يوم الخندق يقول[5]:

---

[1] علي بن أبي طالب: **الديوان**، ص146.

[2] كعب بن مالك: **الديوان**، ص25.

[3] المصدر السابق، ص25.

[4] تبب: الهلاك والخسارة.

[5] كعب بن مالك: **الديوان**، ص105.

(الوافر)

وَكَــانَ لَنَــا النَّبِــيُّ وَزِيــرَ صِــدْقٍ بِـــهِ نَعْلُـــو الْبَرِيَّـــةَ أَجْمَعِينَـــا[1]

صورة الرسول عند كعب، هي صورة الأخ المؤازر الصادق الذي يحمل مع الناس أثقالهم وهموهم، وكعب يتأثر بالقرآن ولذلك يقتبس من الآية ﴿ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ ﴾[2].

ويفتخر كعب مرّة أخرى بصدق الرسول، وأنهم صدقوا دعوته وهو قائدهم وإمامهم فيقول[3]:

(الطويل)

لَنَــا حَومَــةٌ لاَ تُسْــتَطاعُ يَقُودهــا نَبِــيٌّ أَتَــى بَــالْحَقِّ عَــف مُصَــدَّق

ويتابع في مدحه المصطفى (ﷺ) ويصوره بالبدر المنير الذي لا يعرف الكذب أبدًا ويقول[4]:

(البسيط)

يَمْضِـي وَيَـذْمُرُنَا عَـنْ غَيـرِ مَعْصِـيةٍ كَأَنَّـهُ البَـدْرُ لَـمْ يُطْبَـعْ عَلـى الْكَـذِبِ[5]
بَـــدَا لَنَـــا فَاتَّبَعْنَـــاهُ نُصَـــدِّقُهُ وَكَـــذَّبُوهُ فَكُنَّـــا أَسْـــعَدَ الْعَـــرَبِ

لكن ما العلاقة التي ربطت بين تصوير كعب الرسول (ﷺ) والبدر؟ وهل البدر يكذب؟ لا بد أن الشاعر قد لفت نظره البدر كما سائر الشعراء الجاهليين فأثارَ دهشته، وسحره بنفسه وجماله، وهيمن على إحساسه ومشاعره، وفجّر في نفسه مشاعر غامضة، وتعامل معه باعتباره جزءًا هامًا من الطبيعة ومكونًا أساسيًا من مكوناتها، لهذا لم يجد كعب أقرب من صورة البدر حين يطلع في أوانه مكتملاً كما هو (ﷺ) الصادق في حديثه ووعوده[6]. فلم يُعرف عن الرسول (ﷺ) لا في الجاهلية ولا بعد الإسلام إلا قول الحق والصدق حتى مزاحه (ﷺ) كان حقًا، ومما ورد عنه في ذلك أن امرأةً جاءته ليحملها على جمل فقال (ﷺ) احملك على ولد الناقة،

---

[1] الوزير: المؤازر والمساعد لأنه يحمل عن الناس أوزارهم وأثقالهم، البرية: الناس.

[2] **سورة طه:** آية 29.

[3] كعب بن مالك: **الديوان**، ص53.

[4] السابق، ص12.

[5] يذمرنا: يحضنا ويذكرنا.

[6] يُنظر: اشتية، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، ص57.

فقالت لا يطيقني، فأصرّ الرسول (▫) على حملها على ولد الناقة، إلا أنه قال لها: وهل الجمل إلا ولد الناقة.

وفي روايةٍ، أن أمرأةً أخرى جاءت إليه تشكو أن زوجها مريضٌ، ويدعو الرسول إليه فقال لها لعل زوجها الذي في عينيه بياض، فانطلقت تبحث في عيني زوجها حتى قال لها الزوج: وهل أحدٌ الإ في عينيه بياض. وثالثة أتت الرسول (▫) تطلب أن يدعو الله أن يدخلها الجنة فقال ممازحًا لها لا تدخل الجنة وهي عجوز[1] فانطلقت تبكي حتى أخبروها أن الله يقول﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾[2].

فقد جمع كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال، وقد افتخرت عاتكة بنت المطلب بابن أخيها فقالت[3]:

(الطويل)

أَتَــاكُم بِمَــا جَــاءَ النَّبِيــون قَبْلَــه وَمَـا ابْـنُ أَخِـي الْبـرَ الصَّـدُوق بِشَـاعِر

وردت أبيات عاتكة التي منها هذا البيت بعد هزيمة قريش يوم بدر، وهي هنا تُصور الرسول الصدوق الذي لم يُعرف عنه الكذب قط، وتنفي أن يكون شاعراً كما اتهمه قومه،والشاعر كما هو معروف يستطيع أن يتحايل على اللغة ويكذب ليصل إلى غرضه والهدف الذي يطمح إليه.

وفي سيرة ابن هشام يتحدث مالك بن نمط للرسول (▫)، ويصفه بأنه مُصدَّق من رب العالمين ويقول[4]:

(الطويل)

ذَكَـرتُ رَسُـولَ اللهِ فِـي فَحْمَـةِ الـدُّجَى وَنَحْــنُ بِــأَعْلَى رَحْرَحَــانِ وَصَــلْدَد[5]

بِــأَنّ رَسُــولَ اللهِ فِينَــا مُصَــدَّقٌ رَسُـولٌ أَتَـى مِـنْ عِنْـدِ ذِي الْعَـرْشِ مُهْتَـد

---

[1] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (209-279هـ): **الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية**، ط3، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ص233. والصفدي، صلاح الدين بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج1، ص70.

[2] **سورة الواقعة**، آية 35-36.

[3] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، ص143. ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫)**، **السيرة والشعر**، ص163.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج5، ص299.

[5] رحرحان، جبل قرب عكاظ، صلدد، جبل قرب ذي الحليفة.

وهذا ظبيان بن كدادة[1] الإيادي يشهد بصدق الرسول وفعله وصدق معاملته، ويقول[2]:

(الطويل)

فَأَشْـهَدُ بِالْبَيـتِ الْعَتِيـقِ وَبِالصَّـفَا شَـهَادةَ مَـنْ إحسَـانه مُتَقَبْـل
بِأَنَّـكَ مَحْمُـودٌ لَـدَيْنَا مُبَـارَكٌ وَفِـيٌّ أَمِـينٌ صَـادِقَ الْقَـوْلِ مُرْسَـل

هذه الصفات خَلعها ظبيان على ممدوحه (▫)، ويشهد فيها بالبيت العتيق وبمشعر الصفا وكلها أماكن مقدسة، جعلها دليل صدق على قوله في الرسول ويجمع صفاته بأنه محمود ومبارك ووفي وأمين وصادق في قوله، وهذا مما يُلاحظ على شعراء صدر الإسلام، إذ يكثرون من إيراد الصفات في البيت الواحد أو القصيدة الواحدة، وينقلون الصفة عارية من التصوير متداخلة مع غيرها من الصفات في أغلب القصائد، غير مهتمين بتفصيل جزئياتها، لتشكل بعد ذلك كلًا متكاملًا[3]، وفي رثاء الرسول (▫) تُبرز صفية بنت المطلب[4] مقدار الأسى والتفجع بفقد الرسول (▫) وتبرز صفاته التي ترد في المديح لنجدها في الرثاء وتقول[5]:

(الطويل)

أَلاَ يَـا رَسُـولَ اللهِ كُنْـتَ رَجَاءَنَـا وَكُنْـتَ بِنَـا بَـرًا وَلَـمْ تَـكُ جَافِيًـا
وَكُنْـتَ رَحِيمًـا هَادِيًـا وَمُعَلِّمًـا لِيَبْـكِ عَلَيْـكَ الْيَـومَ مَـنْ كَـانَ بَاكِيًـا
صَـدَقْتَ وَبَلَّغْـتَ الرِّسَـالَةَ صَـادِقًا وَمُـتَّ صَـلِيبَ الْعُـودِ أَبْلَـجَ صَـافِيًا

تشهد صفية بصدق الرسول وبصدق عزمه في تبليغ الأمانة التي حملها للناس كافة.

---

[1] صحابي قدم على رسول الله (▫)، وأقطعه قطعة من بلاده، وله في ذلك شعر (د.ت). يُنظر: عبد الرحمن، عفيف: **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي**، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص20.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج5، ص167.

[3] يُنظر: الحربي، منور بن محمد بن صالح: **شخصية الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام**، جامعة مؤتة، 2009م، ص147.

[4] هي صفية بنت المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية عمة الرسول (▫) وهي أم الزبير بن العوام، كانت في الجاهلية تحت الحارث بن حرب بن عبد شمس ثم هلك وتزوجها العوام وعاشت طويلاً توفيت في خلافة عمر، يُنظر: مقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫)**، **السيرة والشعر**، ص24.

[5] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص248، ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫)**، **السيرة والشعر**، ص94.

وحسان في رثائه للرسول (▫) يصفه بالمعلم الصادق، فالذي يسير على هديه يسعد وينجو في الآخرة وتراه يقول[1]:

(الطويل)

إِمَـامٌ لَهُـمْ يَهْـديهم الْحَـقَّ جَاهِـدًا مُعَلِـمَ صِـدْقٍ إِنْ يُطِيعُـوا يَسْـعَدُوا

وفي الاعتذاريات تظهر صورة الرسول الصادق عند ابن الزبعرى[2]، بعد أن شهد بصدق الرسول وصدق ما جاء به فيقول[3]:

(الخفيف)

إنَّ مَـا جِئْتَنَـا بِـهِ حَـقَّ صِـدْقٍ سَـاطِعٌ نُـورُه مُضِـيءٌ مُنِيـر
جِئْتَنَـا بِـالْيَقِينِ وَالْبَـر وَالْصِّـدْقِ وَفِـي الصِّـدقِ وَالْيَقِـينِ سُـرُور

لقد برزت صورة الرسول الصادق عند معظم الشعراء ومهما اختلفت مفرداتها، إلا انها عبرت عن قيمة هذه الفضيلة عند الرسول وقد برع الشعراء في إظهارها في مختلف الأغراض الشعرية، وأظهرت الأثر الذي تركته في نفوس المسلمين باقتدائهم بالرسول الصادق، وما صاحبه من تغيير على القيم الجاهلية.

رابعاً : صورة الأمين:

ارتبط هذا اللقب مع سيدنا محمد (▫) قبل نبوته، وقد أوردت كتب السيرة والتاريخ عن أمانته قصصًا عِدة. هذا الخُلق الرفيع تحلى به سيد الأنبياء والمرسلين، وشَهِد بذلك عمه أبو طالب في أشعاره، وفي صغره، يذكر أبو طالب الرسول محمد الأمين وبه عُرف عند قومه فيقول[4]:

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص92.

[2] هو عبد الله بن الزبعرى، بكسر الزاء، بن قيس بن عدي بن سهم القرشي، وكان من أشد الناس على الرسول (▫) وعلى أصحابه بلسانه ونفسه وكان من أشعرهم في الجاهلية، أسلم بعد الفتح وشهد ما بعدها من المشاهد، يُنظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، مصدر سابق، ج4، ص353-354.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج5، ص53.

[4] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي (▫)**، ص38.

(الكامل)

إنَّ الأَمِـــينَ مُحَمَّـــدًا فِـــي قَوْمِـــهِ عِنْـــدِي يَفُـــوقُ مَنَـــازِلَ الْأَوْلَادِ
لَمَّـــا تَعَلَّـــقَ بِالزِّمَـــامِ ضَـــمَمْتُهُ وَالْعَـــيْسُ قَـــدْ قَلَصْـــنَ بِـــالْأَزْوَادِ

تلك هي صورة محمد (الأمين) قبل الإسلام، امتدحه بها أبو طالب وذكر لنا أنه كان مضرب المثل في الأمانة عند قومه، وقصة الحجر الأسود خير شاهدٍ على هذا الحديث، فحين نزل الجميع على تحكيم الرسول (ﷺ) في الخلاف الذي وقع إثر ذلك قالوا "رضينا هذا الأمين محمد"[1]. أما بعد الإسلام فقد عبَّر أبو طالب عن حبه لمحمد وذكر صدقه وأمانته فقال[2]:

(الكامل)

وَدَعَـــوْتَنِي وَزَعَمْـــتَ أَنَّـــكَ نَاصِـــحٌ وَلَقَـــدْ صَـــدَقْتَ وَكُنْـــتَ ثَـــمَّ أَمِينَـــا
وَعَرَضْـــتَ دِينًـــا قَـــدْ عَلِمْـــتُ بِأَنَّـــهُ مِـــنْ خَيْـــرِ أَدْيَـــانِ الْبَرِيَّـــةِ دِينَـــا

هذه الشهادة من أبي طالب لم تتغير بالرغم من عدم إسلامه، فقد ذكر أمانة الرسول (ﷺ) وصدق لسانه، وهذا يؤكد صورة الأمين في قومه، فقد تعددت صورة الأمانة عند الرسول (ﷺ) فكان منها الأمانة على الذكر، والأمانة على حاجات الآخر، والأمانة على الأمة، وقد ذكرت المصادر أن الرسولَ (ﷺ) خلفَّ علياً في مكة بعد هجرته إلى المدينة ليرد الودائع لأصحابها[3]، فمن المعروف أن كفار قريش، بالرغم من عدم إسلامهم، الإ أنهم كانوا يثقون بالرسول ويأتمنونه على حاجاتهم.

وشهادة السيدة خديجة – رضي الله عنها – بأمانة الرسول دليل آخر على مكارم الخلق التي تحلى بها المصطفى، فعندما جاءه الوحي هدأت من روعه وقالت له[4]: "إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث" وظبيان بن كدادة عرف أمانة الرسول (ﷺ) فامتدحه قائلًا[5]:

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص182، وينظر ص15 من البحث.

[2] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي** (ﷺ)، ص91.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص129، وينظر ص20 من البحث، الفصل الأول.

[4] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج1، ص194، ص195.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج5، ص167.

(الطويل)

فأَشْـهَدُ بِالْبيـتِ الْعَتيـقِ وَبِالصَّـفَا شَـهَادَةَ مَـنْ إِحْسَـانه مُتَقَبْـل
بِأَنَّـكَ مَحْمُـودٌ لَـدَيْنَا مُبَـارَكٌ وَفِـيٌّ أَمِـينٌ صَـادِقَ الْقَـولِ مُرْسَـل

صورة الرسول الأمين على حاجات الآخر؛ رسمها ظبيان بعد أن أقطعه قطعه من بلاده، فكانت الصورة معبرة وصادقة من هذا الشاعر الذي تأثَّر بأمانة الرسول (▫) فقال ما قال.

أما الصورة عند حسان بن ثابت فجاءت مغايرة تماماً، فحسان – رضي الله عنه– يعرف الرسول حق المعرفة ولكنه يُفاجأ كيف أن الأنصار قد أُقصوا عن المكانة التي يستحقونها حين يُقدم الرسول (▫) بني سليم عليهم يوم فتح مكة فتثور شاعريته[1] ويقول[2]:

(البسيط)

وَأْتِ الرَّسُـولَ فَقُـلْ يَـا خَيْـرَ مُـؤْتَمَنٍ لِلْمُـؤمِنينَ إِذَا مَـا عُـدِّل الْبَشَـرُ

فالرسول عند حسان بن ثابت هو خير مؤتمن على الأمة، وعلى حقوقها، ويُدرك ذلك بعد أن يعرف مغزى الرسول (▫) وهو يعرف فضل الأنصار وقدرهم عنده (▫).

وحسان في رده على أبي سفيان قبل فتح مكة – وكان أبو سفيان هجا الرسول (▫)– يقول في قصيدته الهمزية[3]:

(الوافر)

هَجَـوْتَ مُبَارَكًـا بَـرًا حَنِيفًـا أَمِـين اللهِ شِـيمَتُه الْوَفَـاء

الرسول (▫) هو أمين الله على الأمة، والوفاء من الشِّيم التي اختصه الله بها. ويُصور حسان الرسول المبارك الحنيف المائل عن الضلال، وكلها صفات لا يُجاريه فيها أحد.

أما أمانته على الذكر فيأتي العباس بن مرداس على ذلك ويقول[4]:

---

[1] حسان الثائر لكرامة الأنصار: مجلة البحوث الاسلامية ع2،ج 2، 1396هـ، ص232.
www.alifta.net/fatawa details

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص199.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص66، حسان بن ثابت: **الديوان**، ص8.

[4] أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، ط2، تح سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ج14، ص297.

(الطويل)

نَبِـيٌّ أَتَانَـا بَعْـدَ عِيسَـى بِنَـاطِقٍ مِـنَ الْحَـقِّ فِيـهِ الْفَضْـلُ مِنْـهُ كَـذَلِكَا
أَمِيْنًـا عَلَـى الْفُرْقَـانِ أَوَّل شَـافِعٍ وَآخِـر مَبْعُـوثٍ يُجِيـبُ الْمَلاَئِكَـا

هذه صورة النبي العظيم الذي اصطفاه الله للرسالة وهداية الأمة، وصورة الأمين على كل ما جاء في القرآن الكريم، الحريص على تبليغ أمر الله بكل دقة وتفصيل.

وعلي بن أبي طالب هو الآخر يؤكد قول العباس بن مرداس، ويأتي على أمانة الرسول في أداء الرسالة فيقول[1]:

(الطويل)

أَمِـينٌ عَلَـى مَـا اسْـتَوْدَعَ اللهُ قَلْبَـه وإِنْ قَـالَ قَـوْلًا كَـانَ فِيـهِ مُسَـدداً

فالرسول أمين على كلام الله، يبلغه للناس كما جاء به الوحي عليه السلام وكما أمرهُ الله به، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾[2].

ويبدو أنَّ العباس قد تأثَّر بالآية السابقة، فقول الرسول (ﷺ) هو كلام حق والله قد تكفل بعصمته ونزاهته عن كل ما هو باطل.

والفاروق عمر – رضي الله عنه – في شعره يشهد بأن الرسول أدّى الأمانة على أكمل وجه، ولم يتوانَ للحظة أو يُقصر في سبيل ذلك ويقول[3]:

(البسيط)

نَبِـيٌّ صِـدْقٍ أَتَـى بِـالْحَقِّ مِـنْ ثِقَـةٍ وَافَـى الْأَمَانَـةَ مَـا فِـي عُـودِه خَـوَرُ

---

[1] علي بن أبي طالب: **الديوان**، ص40.

[2] **سورة المائدة**، آية 67.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص348.

صورة الرسول الأمين عند الفاروق، صورة اكتملت محاسنها لهذا الأمين الذي شَهِد له الصحابة بأداء الأمانة العُظمى وهي الرسالة السماوية، وتكبد المشاق في سبيل ذلك،وصبر وتحمل الأذى ولم يَضعف ولم تُثنه أي وسيلة عن القيام بواجبه في الدعوة.

وها هو أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يذكر صفة الأمانة وينعت النبي بالأمين المصطفى الذي اختاره الله لخير الأمة ويقول[1]:

(الوافر)

أَمِـــينٌ مُصْـــطَفَى بِـــالْخَيرِ يَـــدْعُو كَضَـــوْءِ الْبَـــدْرِ زَايَلَـــهُ الظَّـــلَام

صورة الرسول الأمين جاء بالخير والهداية للعالمين وكان خير حافظ وأمين لهذه الرسالة، وقد انقشعت ظُلمات الجهل والضلال بنور وجهه العظيم، كما البدر حين يُزيل الظلام. أما كعب بن مالك فيرد على ابن الزبعرى عندما تطاول وهجا الرسول (▫) وذلك قبل إسلامه يقول[2]:

(المتقارب)

تَبَجَّسْـــتَ تَهْجُـــو رَسُـــولَ الْمَلِيـــكِ قَاتلَـــــكَ اللهُ جَلْفًـــــا لَعِينًـــــا[3]

تَقُـــولُ الْخَنـــا ثُـــمَّ تَرْمِـــي بِـــهِ نَقِـــيَّ الثِّيَـــابِ تَقِيًـــا أَمِينًـــا[4]

صورة الرسول (▫) يرسمها كعب بن مالك صورة النقي الطاهر الأمين على الأمة وعلى الرسالة، ليوضح لابن الزبعرى حقيقة هذا الرسول (▫)، وهم يعلمون تمام العلم خُلقه وأمانته قبل البعثة، ولكن العداوة اشتدت بهم على رسول الله ولهذا يأتي كعب على الصفات السلبية (كالجلف واللعين) وينعت ابن الزبعرى بها.

وفي مقابل ذلك يُظهر الصورة الإيجابية، الصورة المشرفة التي تحلى بها صلوات الله وسلامه عليه، من نقاء السريرة وأمانة الخلق، فقد كان (▫) مستكملاً للصفات التي لا غنى عنها في إنجاح كل رسالة عظيمة وكان خير إنسان لبني الإنسان[5].

---

[1] أبو بكر الصديق: **الديوان**، ص30، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج1، ص64.

[2] ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص169، وكعب بن مالك، الديوان، ص 277.

[3] تبجست: نطقتَ وأكثرت كما يتبجس الماء إذا سال وانفجر، جلفا: الجافي.

[4] الخنا: الكلام الذي فيه فحش.

[5] يُنظر: الحبوبي، علي محمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**، مرجع سابق، ص2.

ونلحظ من كل ما سبق أن الرسول (▫) كان يمتاز بالتكافؤ الخُلقي؛ ذلك أن أخلاقه (▫) كلها تنبُع من فطرته بنسبٍ مُتفقة، فشجاعته مثل صبره، وصبره مثل كرمه، وكرمه مثل أمانته .... ولا نجد له في خلق أو موضع يزيد أو ينقص على خُلقٍ آخر. بل تجتمع متكافئة في شخصية الرسول (▫) وهذا هو سر الإعجاز الإنساني في حياته (▫)، فكان وجوده أعظم معجزة للإنسان في الحياة[1].

*** الصورة الدينية للرسول (▫):**

اهتم شعراء صدر الإسلام بالناحية الدينية في تصوير الرسول (▫) من خلال استخدامهم الألفاظ والأساليب والتشبيهات في أشعارهم، وبدا واضحًا الأثر الكبير الذي تركه القرآن الكريم في الشعر، وهذا يدل على الثقافة العربية الإسلامية التي سيطرت على تلك الفترة، فاقتبس الشعراء الكثير من المعاني والأفكار التي تضمنها كتاب الله عز وجل، وقد تراوحت صورة الرسول (▫) الدينية عند الشعراء فمنهم،من وصفه بالمبارك، ومنهم من أكثر من إيراد صفة الرسول أو النبي في شعره ووصفِه بالمصطفى، وقد اقتبس بعض الشعراء صفة الهادي والمهدي ونعتَ بها الرسول (▫)، وكان بعض الشعراء قد وصف الرسول بذي الشفاعة وخاتم النبيين وغير ذلك. فنحن أمام صفات وعلاقات تأخذ نصيبها المفروض وحصتها المقررة من الحديث تبعًا لمواقف القائلين، وتكوينهم الثقافي وطبيعة ارتباطهم بالرسول (▫)[2].

1- صورة المبارك:

هذه الصورة رسمتها وفتقت أبوابها رقيقة بنت أبي صيفي حين قالت[3]:

(البسيط)

مَبَـارَكُ الأَمْـر يُسْتَسْـقى الْغَمَـامُ بِـهِ مَـا فِـي الأَنَـامِ لُـهُ عَـدْلٌ ولاَ خَطَـرُ

---

[1] يُنظر: عرجون، محمد الصادق: **محمد رسول الله**، ص211.

[2] يُنظر: الحبوبي، علي محمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**، مرجع سابق، ص376.

[3] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، مصدر سابق، ص39، وينظر ص18، الفصل الأول من الدراسة.

كانت هذه صورة الرسول الطفل المبارك قبل أن يبعث رسولًا لهذه الأمة، لكننا نرى أن الصورة قد اتسعت أبعادها ووظفها الشعراء في صدر الإسلام كثيراً في أشعارهم، فها هو حسان بن ثابت – رضي الله عنه – يذكر صورة الرسول المبارك في أكثر من موضع فيقول[1]:

(الكامل)

يَــا بِكْــرَ آمِنَــةَ الْمُبَــارِكُ بِكْرُهــا وَلَدَتْــهُ مُحْصَــنَة بِسَــعْدِ الْأَسْــعَدِ

يمتدح حسان الرسول (ﷺ) عن طريق والدته آمنة الطاهرة وينعته بالمبارك الذي تحفه اليمن والبركة. ويتابع حسان في مدحه ويكتسب بُعداً دينياً، ليصف الرسول بأحمد المبارك حيث يقول[2]:

(الكامل)

صَــلى الْإِلَــهُ وَمَــنْ يَحُــف بِعَرْشِــهِ وَالطَّيبُــونَ عَلَــى المُبَــارَكِ أَحْمَــدِ

يتأثر حسان بن ثابت بالآية القرآنية في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦ ﴾[3]، ونحن المسلمون حين نذكُر الرسول (ﷺ) نُصلي عليه، نَذكر في قولنا " اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد " هذه البركة عمت الوجود والخير الذي بدا لنا برسولنا الكريم؛ فقد أضاء لنا الكون،وقد عبَّر عن ذلك حسان بقوله[4]:

(الكامل)

نُــوراً أَضَــاءَ عَلَــى الْبَرِيَّــةِ كُلِّهَــا مَــنْ يَهْــدِ للنُّــورِ الْمُبَــارَكِ يَهْتَــدِي

صورة الرسول عند حسان هي صورة النور والضياء المبارك الذي جلا ظلمات الجهل وأنارَ سبيل الحق والعدل للبرية جمعاء عن طريق الهداية من هذا النبي الهادي.

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص98.

[2] المصدر السابق، ص99.

[3] **سورة الأحزاب**، آية 56.

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص98.

وفي الرثاء لا تغيب صورة الرسول المبارك عن ذهن حسان فيقول[1]:

(البسيط)

مَـنْ الَّـذِي كَـانَ فِينَـا يُسْتَضَـاءُ بِـهِ مُبَـــارَكُ الْأَمْـــرِ ذَا عَـــدْلٍ وَإِرْشَـــادِ

هذا النور عبّر حسان عن فقده وغيابه بالاستفهام في بداية البيت السابق ب (مَنْ)، ليأتي الجواب في الشطر الثاني مُبارك الأمر، وهو رسولنا (▫).

وما كان بكاء حسان – رضي الله عنه – على فقد المصطفى سوى صورة مكملة لمدائحة ومطابقة لِما ورد فيها من حميد الصفات وجميلها[2] حيث قال في مرثيته الدَّالية[3]:

(الطويل)

فَبُورِكْـتَ يَـا قَبْـرَ الرَّسُـولِ وَبُورِكَـتْ بِـلَادٌ ثَـوَى فِيهَـا الرَّشِـيدُ المُسِـدَّد

هذه البركة عمّت قبر الرسول (▫)، وحتى البلاد المباركة التي دُفن فيها هذا النبي الذي وفقه الله للصواب في القول والعمل، والبركة لم تنقطع بوفاته (▫).

وفي الهجاء أيضًا نجد حسان بن ثابت في معرض رده على أبي سفيان،حين هجا الرسول (▫) يذكر هذه الصفة ويقول[4]:

(الوافر)

هَجَـــوْتَ مُبَارَكًـــا بَـــرًا حَنِيفًـــا أَمِـــينُ اللهِ شِـــيمَتهُ الْوَفَـــاء

نجد الشاعر يوشح البيت بمجموعة من الصفات الدينية يكثفها في سياق واحد، معيارها مشهد المبارك والبر والحنيف[5] والأمين والوفاء من طبعه، وكلها صفات تنبع من الفطرة ولا تملك

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص99.

[2] اخليف، مي يوسف: **شخصية الرسول في شعر مدرسة المدينة المنورة**، الدارة، السعودية، ع40، ج1، 2013، ص132.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص91.

[4] المصدر السابق، ص8.

[5] اخليف، مي يوسف: **شخصية الرسول في شعر مدرسة المدينة المنورة**، مرجع سابق، ص129.

أي مؤثرات طارئة على تغييره بل يتغلب هذا الخُلق الأصيل على الظواهر الاجتماعية، ويُوجهها نحو الفضيلة[1].

أما الصورة عند العباس بن مرداس فتُظهر القوة الإيمانية التي تحلى بها الشاعر ويشهد على ذلك متابعته لدين المبارك عليه السلام فيقول[2]:

(الطويل)

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْو مَكَّة قَاصِدًا وَتَابَعْتُ بَيْنَ الْأَخْشَبيْنِ الْمُبَارَكَا

وكذلك ظبيان بن كدادة الذي شَهد بخُلق الرسول الكريم وصدْقِ قولهِ فجاء في شعره قائلاً[3]:

(الطويل)

بِأَنَّكَ مَحْمُودٌ لَدَيْنَا مُبَارَكٌ وَفِيٌّ أَمِينٌ صَادِقَ الْقَولِ مُرْسَل

هذه البركة عرفها الشعراء والصحابة ممن عايشوا الرسول (◘)، وظهر لهم الكثير على يديه فمما يُروى عن جابر – رضي الله عنه – أنهم كانوا مع الرسول (◘) يوم الخندق وكانت عنده شُويهة، فقال لامرأته لو صنعنا طعامًا لرسول الله (◘)، وأمر زوجته وطحنت شيئًا من شعير، وصنعت خبزًا وذبح الشاة، فلما أمسى قال جابر لرسول الله (◘) لقد صنعنا لك شاةً وشيئًا من خبز الشعير وأحب أن تتصرف معي، فما كان من رسول الله (◘) إلا أن أمر صارخًا بالناس أن انصرفوا مع رسول الله (◘) إلى بيت جابر وأقبل رسول الله والناس معه وجلس وأخرجوا الشاة له فبرك وسما الله، ثم أكل وتواردها الناس حتى صدر عن أهل الخندق جميعا[4]. وقد مرَّ سابقًا عِظم البركة من سيد الخلق المبارك، الذي أعطى محمد بن بشر وجده أعنزًا وبارك لهم فيها وفي ذلك يقول[5]:

---

[1] يُنظر: عرجون، محمد الصادق: **محمد رسول الله**، مصدر سابق، ج1، ص212.

[2] العباس بن مرداس: **ديوانه**، ص120، وأبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، ط1، مصدر سابق، ص297.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج5، ص167.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص218–219.

[5] العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج6، ص146.

(الكامل)

أَعْطَـــاهُ أَحْمَـــدُ إِذْ أَتَـــاهُ أَعْنُـــزًا عُفْـــرًا ثَوَاجِـــلَ لَسْـــنَ بِاللُّجُبَـــاتِ[1]

بُـــورِكنَ مِـــنْ مِـــنَحٍ وَبُـــورِكَ مَـــانِحٌ وَعَلَيْـــهِ مِنِّـــي مَـــا بَقِيـــتُ صَـــلَاتِي

هذه البركة من المُعطي ومن العطاء نفسه عبَّر عنها الشاعر لمَّا رأى أثرها ؛حيث كانت ترد هذه الأعنز في المساء شباعًا لُبنًا ببركةهذا النبي المبارك.

ويشهد ببركة الرسول أبو أيوب الأنصاري ومما رُوي قوله" كنا نصنع لرسول الله العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا ردَّ علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة"[2].

وعاتكة بنت المطلب في رثائها الرسول (▫) تبكي المبارك وتأتي على صفاته وتقول[3]:

(الكامل)

فَـابْكِي الْمُبَـارَكَ وَالْمُوَفَـقَ ذَا التُّقَـى حَـامِي الْحَقِيقَـةَ ذَا الرَّشَـادِ الْمُرْشِـدِ

2- صورة خاتم النبيين:

الرسول محمد (▫) خاتم الأنبياء والمرسلين به ختم الله عز وجل الرسل والأنبياء وختم بشريعته جميع الشرائع السماوية ولهذا جاء في محكم كتابه، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾[4]، وتأثر شعراء صدر الإسلام بصورة خاتم الرسل والأنبياء فمنهم من عبَّر عن ذلك معنويًا كما جاء في شعر العباس بن مرداس[5]:

---

[1] الثواجل: عظام البطون.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص499.

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص842 _ ص942، ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، مرجع سابق، ص162.

[4] **سورة الأحزاب**، آية 40.

[5] العباس بن مرداس: **الديوان**، ص 122.

(البسيط)

يَــا خَــاتمَ النُّبَــاءِ إِنَّــكَ مُرْسَــلٌ بِــالْحَقِّ كُــلّ هُــدَى السَّــبِيلِ هُــدَاكَا
إِنَّ الإِلَــهَ بَنَــى عَلَيْــكَ مَحَبَّــةً فِــي خَلْقِــهِ وَمُحَمَّــدًا سَــمَّاكَا

صورة الرسول عند العباس هو خاتم الأنبياء أرسله الله بالحق والهدى لخير البشرية. وكذلك الصورة عند فاطمة الزهراء في رثائها للرسول (▫) كانت تحمل بُعدا معنوياً تجلت بالصلاة عليه من الله مُنزل الفرقان فقالت[1]:

(البسيط)

يَــا خَــاتَمَ الرُّسُــلِ المُبَــارك ضَــوْءُه صَــلَى عَلَيْــكَ مُنَــزِلَ الفُرْقَــانِ

إن الصورة التي رسمتها فاطمة الزهراء للرسول (▫) بمناداتها له (يا خاتم الرسل) جمعت فيها الأثر الديني بوصفها له بالمبارك، وبالصلاة عليه من الله الذي أنزل الكتاب على رسوله المصطفى وجاءت الصورة حية معبرة ببركة النور الذي ظلَّ منتشراً على العالم حتى بعد وفاته (▫). وقد تحمل الصورة التي رُسمت لخاتم الأنبياء والرسل بُعداً مادياً عبَّر عنه ابن الزبعرى في اعتذاريته للرسول (▫) بعد أن أسلم فقال[2]:

(الكامل)

وَعَلَيْــكَ مِــنْ سِــمَةِ الْمَلِيــكِ عَلَامَــةٌ نُــــورٌ أَغَــــرُّ وَخَــــاتمٌ مَخْتُــــوم
أَعْطَــــاكَ بَعْــــدَ مَحَبّــــةٍ بُرهَانــــه شَــــرَفًا وَبُرهَــــانِ الإِلَــــهِ عَظِــــيم

صورة خاتم النبوة عبارة عن كتلة كبيضة الحمامة بين كتفيه علامة على نبوته وصدقه (▫)، وأنه رسول من عند الله، فهي برهان من رب العالمين،وشرف عظيم لهذا الرسول وقد جاءت صورته وأوصافه من قبل في الكتب السماوية السابقة وجاءت هذه العلامة (ختم النبوة) تصديقاً لمبعثه.

---

[1] السهيلي: **الروض الأنف**، ج4، ص183. وابن سيد الناس:**عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**،ج1، ص340.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419، وابن الزبعرى: **الديوان**، مصدر سابق، ص45–46. والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص243. ومسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، تح عريف الدين معروف، القاهرة، دار الحديث، 2005 م، ص168، ص169.

كما أن حسان بن ثابت عبَّر هو الآخر عن صورة ختم النبوة، وأنَّ كل من رآهُ عَرفَ بنبوته وقال حسان[1]:

(الطويل)

أَغـــرُّ عَلَيْـــهِ لِلنُبـــوَّةِ خَـــاتَمٌ مِـــنَ اللهِ مَشْـــهُود يَلُـــوحُ وَيَشْـــهَدُ

صورة الرسول الأغر الذي تلوح في وجهه بشائر النبوة،إضافة إلى الخاتم الذي هو عبارة عن شامة خضراء أو سوداء محتفرة في اللحم،وقيل كغدةعند غضروف كتفه الأيسر[2] يلوح ويُشاهد،كما رُوي عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه – عندما كَشف له الرسول رداءه وقال انظر إلى ما أمرت به، فرأى خاتم النبوة بين كتفيه كبيضة الحمامة[3].

3- صورة صاحب الشفاعة:

الرسول (ﷺ) أكرمه الله بشفاعتة للناس يوم القيامة عند القضاء والحساب وليس لأحدٍ إلا لهُ صلوات الله وسلامه عليه. والشفاعة هي المقام المحمود كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[4].

فغاية مأمول المسلمين أن يحصلوا على شفاعته (ﷺ)، يبتغون رضوان الله، ولهذا كانت أشعارهم تحمل صورة النبي الشفيع الذي اختصه الله بهذه الخصلة، فقد روى أبو هريرة _ رضي الله عنه _ قال، قال رسول الله (ﷺ) لكل نبي دعوة وأردت إن شاء الله أن أختبىء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"[5]، لهذا عبَّر حسان بن ثابت عن ذلك بقوله[6]:

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص78.

[2] المصدر السابق، ص78.

[3] يُنظر: البيهقي: **دلائل النبوة**، ج2، ص529، ص531، وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص220، ص221، وابن سيد الناس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**،ج1، ص338.

[4] **سورة الإسراء**، آية 79.

[5] **صحيح مسلم**، ج1، ص 106.

[6] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص 254.

(الطويل)

لِأَنَّهُـــم يَرْجُـــونَ مِنْـــهُ شَـــفَاعَةً إِذَا لَـــمْ يَكُـــنْ إِلاَّ النَّبِيـــينَ شَـــافِعُ

فالرسول هو صاحب الشفاعة، وهو رجاء كل مسلم عند الله أن ينال من شفاعته ولا يُحرم منها، ولهذا جاء في قول آخر لحسان بن ثابت تأكيد على هذه الشفاعة وأن الرسول هو ناصرهم بقدرة الله فيقول[1]:

(الطويل)

أَمَـــامَ رَسُـــولِ اللهِ لاَ يَخْـــذُ لُونَـــهُ لَهُـــمْ نَاصِـــرٌ مِـــنْ رَبِّهِـــم وَشَـــفِيع

عبَّر حسان عن التفاف المسلمين يوم أحد حول الرسول (¤) ودفاعهم عنه، لأنهم يرجون شفاعته يوم القيامة ولا يبغون أي مكسبٍ دنيوي أو شهرةٍ أو مالٍ.

ولعلّ هذا ما نلحظه في التغيير الذي طرأ على الشعر في صدر الإسلام، إذ بدا واضحًا بعد دراسة كم هائل من هذا الشعر، النزعة الدينية التي طغت في أشعارهم وصورهم، وتأثرهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية العطرة؛ وما ذاك إلا ابتغاء مرضاة الله ودفاعاً عن رسوله المصطفى (¤).

وهذا عبد الله بن رواحة[2] – رضي الله عنه – يشهد أنه النبي (¤) وهو الذي بقدرة الله سيشفع للناس يوم القيامة فيقول[3]:

(البسيط)

أَنـــتَ النَّبِـــيٌّ وَمَـــنْ يُحْـــرَمْ شَـــفَاعَتُه يَـــومَ الْحِسَـــابِ فَقَـــدْ أَزْرَى بِـــهِ الْقَـــدَرُ

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص258.

[2] عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس من بني الحارث في يثرب،كان يُكنى بأبي محمد أو أبي رواحة وكان يقرأ ويكتب، قرض الشعر صغيراً، هاجر مع الرسول (¤) إلى يثرب وآخى الرسول بين الهاجرين والأنصار، وآخى بين عبد الله ابن رواحة والمقداد بن عمرو. استشهد يوم مؤتة. يُنظر: العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج2، ص306–307.

[3] عبد الله بن رواحة: **الديوان**، ص84.

يؤكد عبد الله على أنه النبي بمخاطبته بضمير الخطاب (أنتَ) هو صاحب الشفاعة، بدليل قوله من يُحرم شفاعته فقد خسر يوم القيامة. وكذلك يأتي العباس بن مرداس على شفاعة الرسول يوم الدين فيقول[1]:

(الطويل)

أَمِينًــا عَلــى الْفُرقــانِ أَوَّل شَــافِعٍ وَآخِــر مَبْعُــوثٍ يُجِيــبُ الْمَلائِكَــا

صورة الرسول (▫) عند العباس بن مرداس هو الأمين على الكتاب، وهو أول شافع للمؤمنين يوم الحساب، وتظهر صورة الرسول الدينية باختيار الشاعر المعاني الإسلامية بما يخدم الإسلام ويوسع دائرته، ومعظم المفردات السابقة معانيها مأخوذة من كتاب الله الكريم، وبهذا يختلف الشاعر الإسلامي في صوره عن الشاعر الجاهلي؛ فشعره مسَّخر لخدمة العقيدة الإسلامية والرسول (▫)، ويتضمن هذا الحديث قول مازن بن الغضوبة[2] في قوله[3]:

(الطويل)

إِلَيْــكَ رَسُــول اللهِ خَبَّــت مَطِيَّتِــي تَجُـوب الْفَيَـافِي مِـنْ عَمَّـانَ إِلَـى العَـرَج
لِتَشْـفَعَ لِـي يَـاخَيْر مَـنْ وَطِـىءَ الْحَصَـا فَيَغْفِــرَ لِــي ذَنْبِــي وَأَرْجِــعَ بِــالْفَلَجِ[4]

فانظر إلى صورة الرسول عند مازن، هي صورة الشفيع للأمة الذي يتمنى كل إنسان مؤمن أن يحظى بهذه الشفاعة من هذا النبي العظيم .

4- صورة الهادي:

الهادي هو اسم من اسماء الله الحسنى، وتغيَّر مفهوم هذه المفردة بعد انتشار الدين الإسلامي في الجزيرة العربية، فقد كانت تعني قديمًا (الهادي) أي الدليل والمرشد في الطريق، لكنها

---

[1] العباس بن مرداس: **الديوان**، ص120-122.

[2] مازن بن الغضوبة بن عراب بن بشر بن خطامه بن سعد بن ثعلبة بن طيىء علي الطائي،ثم النبهاني ذكره البيهقي في الدلائل وذكر حديثا طويلا فيه: ... فكسرت الأصنام وقدمت على رسول الله وأسلمت يُنظر العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج5، ص704.

[3] البيهقي: **دلائل النبوة**، ج2، ص257.

[4] الفلج: الظفر.

اتخذت أبعاداً دينية وأصبحت تعني الرسول (ﷺ) بكل ما تعنيه المفردة من معانٍ وآثار إسلامية. وكان توظيف الشعراء في صدر الإسلام لها بارزاً في أشعارهم، فهذا حسان في رثائه يمتدح الرسول (ﷺ) ويوضح في شعره صورة الرسول (الهادي) الذي لم تحمل أو تنجب أي امرأة في هذا الكون كما رسولنا (ﷺ) فيقول[1]:

(البسيط)

تَـاللهِ مَـا حَمَلَـتْ أُنْثَـى وَلاَ وَضَـعَتْ مِثْـلَ الرَّسُـولِ نَبِـيَّ الأُمَّـةِ الهَـادِي

يتضح من قَسم حسان بن ثابت أنه أراد أن يبين صورة الرسول (ﷺ) الذي حمل الهداية للناس جميعاً، حيث اختصه الله بها، هذا الرسول هو نبي الأمة وهاديها إلى طريق الحق.

وفي قصيدة أخرى تتضح معاني الهداية عند حسان من خلال تصوير الرسول (الهادي)، والمقابلة بين حال الضَّالين والمهتدين فيقول[2]:

(الطويل)

هَـدَاهُم بِـهِ بَعْـدَ الضَّـلالةِ ربُّهُـم وَأَرْشَـدَهُم وَمَـنْ يَتَّبِـعِ الْحَـقَّ يرْشِـد
وَهَـلْ يَسْـتَوِي ضُـلّالُ قَـومٍ تَسَـفْهُوا عَمًـى وَهُـدَاةٌ يَهْتَـدُون بِمُهْتَـدِ

يبين حسان صورة الرسول المنقذ والمخلص للناس بعد أن غرقوا في ظلمات الجهل والكفر، ويُقابل في البيت الثاني بين من بقي على ضلاله وكفره وعناده ومن اهتدى بهدي الرسول (ﷺ) فلا مجال للمقارنة بينهما.

ويأتي العباس بن مرداس بعد دخوله في الإسلام، وانضمامه إلى طريق الرسول الهادي فيقول[3]:

(الطويل)

وَأَنَـا مَـعَ الْهَـادِي دِينَ النَّبِـيِّ مُحَمّـد وَفَينَـا وَلَـمْ يَسَـتوْفِهَا مَعْشَـر أَلْفَـا

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص99.

[2] السابق، ص88.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص112، والعباس بن مرداس: **الديوان**، ص115.

وقد تتنوع مفردات الهداية ومشتقاتها، ونجد تباين الشعراء في استخدامهم لها، فتارة يعبرون باسم الفاعل (الهادي) وأخرى باسم المفعول (المهدي)، وثالثة تأتي مضافة (نبي الهدى).

وهذا ضرار بن الخطاب الفهري[1] اعتذر للرسول (ﷺ) يوم فتح مكة وأقَّر بنبوته وقال[2]:

(الخفيف)

يَـــا نَبِـــيَّ الْهُـــدَى إِلَيْـــكَ لَجَـــا حَـــيٌّ قُـــرَيْشٍ وَلَاتَ حِـــين لَجَـــاء
حِـــينَ ضَـــاقَتْ عَلَـــيْهِم سِـــعَةُ الأَرْ ضِ وَعَـــادَاهُم إِلَـــهُ السَّـــمَاءِ

صورة الرسول عند ضرار جاءت مقترنة بالنبوة (نبي الهدى) فهو النبي والهادي والمرشد للناس جميعاً، وتظهر صورة الرسول مؤثرة، حيث يستغيث ضرار بالرسول ويقول إنَّ قريشًا قد لجأت إليه اليوم ولا ملجأ لهم سواه، بعد أن ضاقت الأرض بهم وتخوفوا عذاب الله.

هذا الخوف والندم جاء أيضًا على لسان أبي سفيان[3]، وقد كان هجا الرسول (ﷺ) قبل إسلامه فها هو يُعبر باعتذارية هو الآخر ويصف حالته قبل أن يتبع الهادي ويقول[4]:

(الطويل)

لَعَمْـــرُكَ إِنِّـــي يَـــومَ أَحْمِـــلُ رَايَـــة لِتَغْلِـــبَ خَيْـــلُ الـــلَاتِ خَيْـــلَ مُحَمَّـــدِ
لَكَالْمُـــدْلِجِ الْحَيْـــرَانَ أَظْلَـــمَ لَيْلُـــهُ بَعِيـــدًا أَرجِـــى حِـــينَ أُهْـــدَى وَأَهْتَـــدِي
هَـــدَانِي هَـــادٍ غَيْـــرُ نَفْسِـــي وَقَـــادَنِي إِلَـــى اللهِ مَـــنْ طَـــرَّدْتُ كُـــلّ مُطَـــرَّدِ

---

[1] ضرار بن الخطاب الفهري: فارس، وشاعر، صحابي من القادة، قاتل المسلمين يوم أحد والخندق أشد قتال وأسلم يوم فتح مكة لم يكن في قريش أشعر منه، وله أخبار في فتح الشام واستشهد يوم وقعة أجنادين (...–13 هـ =....– 643م)، يُنظر، الزركلي: **الأعلام**، مصدر سابق، مج3، ص215.

[2] ضرار بن الخطاب الفهري: **الديوان**، جمع وتح وشرح فاروق سليم بن أحمد، ط1، بيروت، دارصادر للطباعة والنشر، 1996م، ص43–45، والعسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج3، ص485.

[3] أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف واسمه المغيره، وأسلم يوم الفتح وحسن إسلامه، وأتى النبي ينشده ويعتذر له عما كان منه، يُنظر: المرزباني: **معجم الشعراء**، مج1، ص334.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج2، ص401، والطبري: **تاريخ الأمم والملوك** ج2، ص329. والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ص96، وحسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص6.

صورة الرسول (ﷺ) الهادي والمرشد للطريق الذي انتشل أبا سفيان من ظلامه، صورة قريبة من المعنى القديم للهادي؛ ذلك أن أبا سفيان حديث العهد بالإسلام، لكنّه يعبر أن هذا الهادي والمرشد هو من غيّر نفسه وقاده إلى بر الأمان، وعرَّفه طريق الله عز وجل.

وأنشد المرزباني في معجمه للطفيل بن عمرو[1] يخاطب قريشًا، وكانوا هدَّدوه لمّا أسلم فقال[2]:

(الوافر)

بِـــأنَّ اللهَ رَبَّ النـــاسِ فَـــردٌ تَعَـــالَى جـــدُّهُ عَـــنْ كُـــلِّ نـــدِّ
وَأَنَّ مُحَمَّـــدًا عَبْـــدٌ رَسُـــولٌ دَلِيـلُ هُـدىً وَمُوضِـحَ كُـلَّ رُشْـدِ

يصور الرسول محمد (ﷺ) هو عبد الله ورسوله دليل هدى أنار الطريق للمسلمين، ووضح لهم سُبل النجاة من عذاب الله. وفي ذلك أيضًا يُبين مالك بن نمط أن هذا الرسول مُهتد، مرسل لهم من رب العرش جاءهم بالهداية فقال[3]:

(الطويل)

حَلَفْـتُ بِـربِّ الرَاقِصَـاتِ إِلَـى مِنَـى صَـوادِرَ بِالرُّكْبَـانِ مِـنْ هَضْـبِ قَـرْدد[4]
بِـــأنَّ رَسُـــولَ اللهِ فِينَـــا مُصَـــدَّقٌ رَسُولٌ أَتَـى مِـنْ عِنْـدِ ذِي الْعَـرْشِ مُهْتَـد

هذا الرسول الصادق أتى من رب العرش العظيم هدايةً للبشرية جمعاء، والحق وحده يحمله في نفسه دليل صدقه وهذا يرجح نوازع الهداية على غيره، وبرهان يعين على تصديق الحق ومجانبة الباطل[5]، وكثير من الشعراء من جاءت صورة الرسول (ﷺ) معبرةً عن عاطفة صادقة، وتصور

---

[1] الطفيل بن عمرو بن طريف بن ثعلبة بن سليم بن دوس، كان سيداً من سادة العرب وسيد قبيلة دوس في الجاهلية،قدم إلى مكة للحج، واستقبلته قريش ولقي الرسول (ﷺ) وأسلم على يديه وشهد مع الرسول الخندق وفتح مكة. يُنظر: العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في** تمييز **الصحابة**، ج12، ص215. والذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: **سير أعلام النبلاء**، ج1، ص344.

[2] ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج3، ص523. والصفدي، صلاح الدين بن خليل أيبك: **الوافي بالوفيات**، ج16، ص264.

[3] ابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج5، ص754.

[4] صوادر: رواجع، قردد: ما ارتفع من الأرض

[5] يُنظر: أبو زهرة، محمد: **خاتم النبيين** (ﷺ)، تح عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، (د.ط)، قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، ج1، ص417.

هداية الله لهم على يد الرسول الهادي صلوات الله وسلامه عليه، كما جاء على لسان عمرو بن الجموح[1] حين أسلم وعرف من الله ما عرف فقال[2]:

(الرجز)

الْحَمْـــدُ للهِ الْعَلِـــيِّ ذِي المِـــنَنْ الْوَاهِـــبْ الـــرَّزَاق دَيَّـــان الـــدِّيَن
هُـوَ الَّـذِي أَنْقَـذَنِي مِـنْ قَبْـل أَنْ أَكُـونَ فِـي ظُلْمَـةِ الْقَبْـرِ مُـرْتَهِن
بِأَحْمَدَ الْمَهْدِي النَّبِيِّ الْمُرْتَهِن

الشاعر يشكر الله على أن أنقذه من الضلال والعمى الذي كان يَتخبط فيه، ويتضح الصدق الفني الذي عبر به الشاعر عن صورته قبل أن يجتمع في قبر موحش مع ظلام الكفر، وظلام القبر، وتشتد الصورة وأثرها في نفسه حتى يأتي أحمد المهدي (▫) فينقذه من هذه الظلمة الموحشة.

وهذا يُشير إلى إيمان صادق وعقيدة صحيحة مؤمنة بالله ومصدقه برسوله الهادي. ولا يبتعد النابغة الجعدي[3] عن باقي الشعراء، سوى أنه يُصور الرسول (▫)، بمن جاء بالهدى وهو يُعرب عن متابعته له وتأييده، فيقول[4]:

(الطويل)

تَبِعْـتُ رَسُـولَ اللهِ إِذْ جَـاءَ بِالْهُـدَى وَيَتْلُـــو كِتَابًـــا كَـــالْمَجَرَّةِ نَيِّـــرًا

---

[1] عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن آل الخزرج الأنصاري السلمي، كان سيد بني سلمة أسلم متأخراً ولم يشهد بدراً، وكان أعرج ولمّا خرجوا يوم أحد منعه بنوه، فأتى الرسول (▫) ورخص له الرسول لعل الله يرزقه الشهادة وقاتل حتى قتل. يُنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج1، ص253-255.

[2] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج4، ص413.

[3] النابغة الجعدي: هو أبو ليلى عبد الله بن قيس بن عدس بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس بن عيلان، صحابي شاعر، قصائده متميزة بالروح الإسلامية، أنشد النبي وقال له الرسول: "لايفضض الله فاك "ويُقال عاش مائة وعشرين سنة وقيل ثمانين سنة وقيل أكثر ولقب بالنابغة لأنه سكت عن الشعر ثلاثين سنة ثم نبغ في قوله في الإسلام (670م-50هـ). يُنظر: الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ج3، ص178.

[4] النابغة الجعدي: **شعره**، ط1، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، ص36.

فالرسول (▫) هو من حمل لواء الهداية، وهو من صبَّر وتحمل لأجل تبليغ الرسالة وقد عزَّزه الله بدليل ساقه في دعوته هو القرآن الكريم. وهو واضح وضوح الأجرام والكواكب النيرة في السماء الذي فاق بيانه كل بيان وعلا أن يتسامى إليه إنسان[1].

وفي رثاء الرسول (▫) يَفتقد الشعراء هذا النبي الهادي، وتختلط صفات الممدوح بالمرثي كما جاء على لسان صفية بنت المطلب في قولها[2]:

(الطويل)

أَلاَ يَــا رَسُــول الله كُنْــتَ رَجَاءَنَــا وَكُنْــتَ بِنَــا بَــرًّا وَلَــمْ تَــكُ جَافِيًــا
وَكُنْــتَ رَحِيمًــا هَادِيًــا وَمُعَلِمًــا لِيبكِ عليك اليوم من كان باكيا

من الصفات والصور التي رسمتها لابن أخيها محمد (▫)، صورة المعلم الهادي، الذي استطاع بصبره ولين جانبه أن يجمع الأمة على كلمة الحق والإسلام، فالهداية والدعوة لا تكون إلا فيمن اجتمعت فيه صفات الرسول (▫)، وكانت صفية مثال المرأة المؤمنة التي عبرت بشعرها ورسمت أنصع صورها وأصدقها من خلال وجودها الفاعل في المجتمع كامرأة مسلمة[3].

ويُكرر الزبرقان بن بدر[4] في رثائه الرسول، صورة الرسول الهادي أكثر من مرة في شعره فيقول[5]:

(السريع)

آلَيْــتُ لاَ أَبْكِــي عَلَــى هَالِــكٍ بَعْــدَ رَسُــولِ الله خَيْــرِ الأَنَــام
بَعْــدَ الَّــذِي كَــانَ لَنَــا هَادِيًــا مِــنْ حِيْــرَةٍ كَانَــتْ وَبَــدْرِ الظَّــلاَم

---

[1] يُنظر: أبو زهرة: محمد، **خاتم النبيين** (▫)، تح عبد الله بن ابراهيم الأنصاري، مرجع سابق، ص416.

[2] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص248، ومقابلة، زايد: **عمات الرسول** (▫) **السيرة والشعر**، ص94.

[3] يُنظر: يعقوب، عبد الكريم، وأمين أحمد حميدوش: **صورة الإنسان المؤمن في الشعر بين صدر الإسلام والعصر الأموي**، مرجع سابق، ص13.

[4] الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن تميم البهدلي التميمي السعدي، يُكنى أبا عياش وقيل أبا شذرة وفد على الرسول (▫) في قومه وكان أحد سادتهم فأسلموا سنة تسع وولاه رسول الله (▫) صدقات قومه والزبرقان لقب له والزبرقان القمر وقيل اسمه بدر، يُنظر: العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج1، ص543، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج14، ص173–174.

[5] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج14، ص174.

يَـــا مُبَلِّـــغ الأَخْبَـــارِ عَـــنْ رَبِّـــهِ فِينَـــا وَيـــاَ مُحْيِـــي لَيـــلَ التَّمَـــام
وَهَـــادِي النَّـــاسِ إِلـــىَ رُشْـــدِهِم وَشَـــارِعَ الحِـــلَّ لَهُـــمْ وَالْحَـــرام
أَنْـــتَ الَّـــذِي اسْـــتَنقَذْتَنا بَعْـــدَمَا كُنَّـــا عَلَـــى مَهْـــوَاةِ جُـــرْفٍ قِيَـــام

يظهر من الأبيات تفجع الشاعر وتحسره على فقد الحبيب المصطفى (▫)؛ فقد أقسم ألا يبكي على أحد بعد رسول الله (▫) وهو خير الأنام، فهو الذي كان هاديهم ومرشدهم وهو الذي كالبدر في نوره عليهم، بدَّد ظلماتهم وأشرق بنور الإسلام والهدى وشرع لهم الحِلّ والحرام ودخل نور الهدى نفوسهم وساروا على نهجه. والصورة عند الزبرقان تبلغ ذروتها في تصوير الهادي، المنقذ لهم في آخر بيت حيث أنقذهم من الهلاك بعدما كانوا على شفا حفرة منها. لذلك نراه يتأثر بالآية، قال تعالى:﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ﴿١٠٣﴾﴾[1].

5- صورة النبي والرسول:

تردَّد ذكر النبي والرسول في أشعار صدر الإسلام كثيراً، وتحول الشعراء من الفخر بالأسماء والأنساب كما كانوا في الجاهلية إلى الفخر بالرسول العظيم، صاحب الرسالة السماوية، وبدا هذا التحول من خلال وصف الرسول وإحاطته بهالة من التقديس والإجلال؛ ذلك أنهم رأوا فيه المُنقذ والمُخلص من براثن الكفر والضلال. وكانت مفردة الرسول أخص من النبي، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه والعمل به، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً[2]، ومما يجدر قوله هنا، إنَّ الله سبحانه وتعالى خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم فقال تعالى: يا نوح، يا آدم، يا موسى، يا عيسى ... ولم يخاطب محمد (▫) إلا بقوله: " يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المدثر ... فكيف بدت صورة الرسول أو النبي الدينية عند شعراء تلك الفترة؟

---

[1] **سورة آل عمران**، آية 103.

[2] ينظر: ابن تيمية، أحمد بن العباس: **النبوات**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982، ص184. وينظر: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مج 1، باب الرسل، 28 ذو الحجة 1427، (2007/10/18)

تراوح استخدام الشعراء لهاتين المفردتين، فبعضهم استخدم (النبي) كثيراً كما جاء في شعر العباس بن مرداس[1]:

(الوافر)

فَهُنَــاكَ إِذْ نُصِــرَ النَّبِــيُّ بِأَلْفِنَــا عَقَــدَ النَّبِــيُّ لَنَــا لِــوَاءً يَلْمَــعُ
وَغَـدَاةَ نَحْـنُ مَـعَ النَّبِـيِّ جَنَاحُـهُ بِبِطَــاحِ مَكَــةَ وَالْقَنَــا يَتَهَــزَّعُ[2]

يؤكد العباس على صورة (النبي) الدينية، فذكرها ثلاث مرات في البيتين السابقين، وأراد باستخدامه (النبي) أن يُظهر صورة النبي صاحب الرسالة وتأييد المسلمين له والتفافهم حول جناح راية الإسلام.

وأما عبد الله بن الزبعرى فقد عبَّر عن إيمانه الصادق بهذا النبي العظيم فقال[3]:

(الكامل)

فَــالْيَومَ آمَــن بِــالنَّبِيِّ مُحَمَّــدٍ قَلْبِــي وَمُخْطِــئٌ هَــذِه مَحْــرُوم

اختار عبد الله (النبي محمداً) ليعبر عن الندم العميق عما بدر منه في الأيام الماضية وهو إذ يعلن توبته أمام الرسول (▫) يُعرب عن إيمان قلبه وجوارحه بالنبي، والمحروم من حُرم هذا ولم يهتد.

وبهذا المعنى يقول أبو طالب عم الرسول (▫)[4]:

(الطويل)

أَلَــمْ تَعْلَمُــوا أَنَّــا وَجَــدْنَا مُحَمَّــدًا نَبِيًــا كَمُوسَــى خُــطَّ فِــي أَوَّلِ الْكُتُــبِ

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص104، والعباس بن مرداس: **ديوانه**، ص77.

[2] القنا: جمع قناة وهو الرمح، يتهزع: من (هزع) اهتزَّ وتكسر.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419، ومسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، مرجع سابق ص168، ص169، وابن الزبعرى: **الديوان**، ص45، ص46. والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**،ج1، ص243.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص378. والتنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي (▫)**، ص27.

صورة محمد (النبي) عند أبي طالب كباقي الأنبياء السابقين من أمثال موسى عليه السلام وعيسى وغيرهما، هذا النبي ذُكر وكتب في كُتب الأنبياء السابقين ولهذا يُذكّر أبو طالب قريشًا بعاقبة عدوانهم له وإنكارهم لنبوته.

وهو النبي صاحب الشفاعة، خصَّه الله بها دون سائر الأنبياء في قول عبد الله بن رواحه[1]:

(البسيط)

إِنِّـي تَفَرَّسْـتُ فِيـكَ الْخَيـرَ أَعْرِفُـهُ وَاللهُ يَعْلَـمُ أَنْ مَاخَـانَنِي الْبَصَـرُ
أَنْـتَ النَّبِـيُّ وَمَـنْ يُحْـرَمْ شَـفَاعَتُهُ يَـومَ الْحِسَـابِ فَقَـد أَزْرَى بِـهِ الْقَـدَرُ

وهو النبي المؤيد من رب العالمين في عُرف كعب بن مالك[2]:

(الوافر)

أَرَى اللهُ النَّبِـيَّ بِـرَأيٍ صِـدْقٍ وَكَـانَ اللهُ يَحْكُـمُ لاَ يَجُـور

الصورة التي رسمها كعب للرسول (▫) هي صورة النبي الموحى إليه من ربه، والمكلف بتنفيذ أوامره سبحانه، وهنا القصة تدور حول مقتل كعب بن الأشرف الذي كان يحرض على الرسول ويشبب بنساء المسلمين، حتى نزل حكم الله فيه، وقضى النبي بما أمره الله به[3].

وهذا لا يعني عدم استخدام الشعراء لمفردة الرسول، بل وجدت الباحثة أن توظيف كلمة الرسول كان أكثر شيوعًا من النبي من خلال استقراء الشعر في صدر الإسلام في مختلف الأغراض الشعرية، فهذا أبو طالب في معْرض مَدحه الرسول (▫) يقول[4]:

(البسيط)

أَنْـتَ الرسُـولُ رَسُـول اللهِ نَعْلَمُـهُ عَلَيْـكَ نُـزِّلَ مِـنْ ذِي الْعِـزَّةِ الْكُتُـبِ

---

[1] عبد الله بن رواحة: **الديوان**، ص84.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 3، ص209، ص210، وكعب بن مالك: **الديوان**، ص45.

[3] يُنظر: مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، ج2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1977، ص106.

[4] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص21.

يخص أبو طالب محمداً بالرسالة، ويخاطبه ويؤكد بقوله له أنه الرسول المنزل عليه الكتاب من صاحب العزة والجلالة.

وحسان بن ثابت يوظف مفردة الرسول في أشعاره كثيراً ويقول[1]:

(البسيط)

فِينَـا الرَّسُـولُ وَفِينـا الْحَـقُّ نَتَّبِعـه حَتَّـى الْمَمـاَت وَنَصْـرٌ غَيْـر مَحْـدُود

صورة الرسول عند حسان صورة الحق والبرهان، اصطفاه الله من أوسطهم لحمل الأمانة، فهم يتبعونه حتى الممات وينصرونه على الدوام.

والصورة عند كعب بن مالك – رضي الله عنه – كما هي عند حسان، لكن الرسول هو شهاب مضيء له فضل على الشهب كما يقول[2]:

(البسيط)

فِينـاَ الرَّسُـولُ شِـهَابٌ ثَـم يَتْبَعَـهُ نُـورٌ مُضِـيءٌ لَـهُ فَضْـلٌ عَلَـى الشُّـهُبِ

يمتدح كعب بن مالك صورة الرسول ويصوره بالشهاب الذي يتبعه نور يغطي على باقي الكواكب، والصورة عند كعب شديدة التأثر بمعاني القرآن الكريم. وتعبر صفية بنت المطلب في رثائها ابن أخيها الرسول (▫) عن حزنها الذي خلفه فقده وتقول[3]:

(الطويل)

لِفَقْـدِ رَسُـولِ اللهِ إِذْ حَـانَ يَوْمُـهُ فَيـا عَـيْنُ جُـودِي بِالـدُّمُوعِ السَّـوَاجِمِ[4]

صورة غياب وفقد الرسول (▫) عند صفية بنت المطلب،صورة حزينة إذْ جاء الأجل وغيَّب الحبيب المصطفى.

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص81.

[2] كعب بن مالك: **الديوان**، ص25.

[3] العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج8، ص215. ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، ص91.

[4] الدموع السَّواجم: سجمت العين الدمع: أسالته وصبَّته.

ودار اسم رسول الله في كثير من قصائد الشعراء، فهذا أنس بن زنيم يذكر رسول الله في اعتذاريته ويكررها فيقول[1]:

(الطويل)

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهَ أَنَّكَ مُدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ
تَعَلَّمْ رَسُولَ اللهِ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِنٍ وَمُنْجِدِ[2]

إنَّ أنس بن زنيم يخص الرسول، ويُضيف إليه لفظ الجلالة تقديراً وإجلالاً له، فالمقام يستوجب من أنس أن يستعطف الرسول ويؤكد له إقراره بحقيقة قدرته الوصول إليه أينما كان.

وفي ذات السياق يُعبر ابن الزبعرى هو الآخر عن توبته الصادقة، ويُقر بما اقترف لسانه في حق الرسول (▫) والمسلمين فيقول[3]:

(الخفيف)

يَا رَسُولَ اللهِ إنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ
إِذْ أُبَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَّي وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

فلماذا لم يقلْ الشاعر يا نبي الله؟ لقد اختار أن يبدأ اعتذاره باسم "رسول الله" لِما لذلك وقعٌ وتأثير في النفس خاصةً عند الرسول (▫)، فسرعان ما يندمج عبد الله بن الزبعرى في الحياة الإسلامية ويفهم الدين الجديد ومعانيه[4]، لذلك يختار أن يضمن أبياته المفردات والتعابير الإسلامية مثل (رسول الله).

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص424. والعسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج3، ص4–5. والواقدي: **المغازي**، ج2، ص790–791.

[2] في المغازي ترد بصيغة آخرى: تعلم رسول الله أنك قادرٌ على كل سكن من تهام ومنجد.
وصرم: بيوت مجتمعة، متهمن: ساكنين في التهام وهي المنخفض من الأرض، والمنجد: من يسكن النجد وهو المرتفع، يُنظر: الواقدي: **المغازي**، ج2، ص790–791.

[3] العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج4، ص88. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419. وابن الزبعرى: **الديوان**، ص35–36. مع الاختلاف في هذين المصدرين: يارسول المليك.

[4] يُنظر، عبد الله بن الزبعرى: **الديوان**، مصدر سابق، ص18.

وهذا كعب بن زهير بعد أن دخل الإسلام قلبه، نراه يتأثر بصورة الرسول ويظهر ذلك في شعره قائلاً[1]:

(الطويل)

وَفِينَـــا رَسُـــولُ اللهِ نَتَّبِـــعْ أَمْـــرَهُ إِذَا قَـــالَ فَينَـــا الْقَـــول لاَ نَتَطلَّـــعُ
وَقَـــالَ رَسُـــولُ اللهِ لَمَّـــا بَـــدَوا لَنَـــاَ ذَرُوا عَـنْكُم هَـوْلَ الْمَنِيَّـاتِ وَاجْمَعُـوا

الصورة عند كعب بن زهير مرتبطة بلفظ الجلالة فالرسول هو "رسول الله" البشير والنذير من عند الله للأمة جمعاء، ونجد الكثير من الشعراء وظف هذا التركيب ليدلل على ارتباط المسلمين بطاعته وامتثالهم لأوامره خاصة أولئك الشعراء ممن وقفوا منه موقف العداء قبل أن يستقر الإيمان في قلوبهم.

وقد عبَّر الشعراء عن صورة الرسول با قترانها بصورة (المليك) كما فعل حسان في قوله[2]:

(المتقارب)

فَلَمَّـــا أَتَانَـــا رَسُـــولَ الْمَلِيـــك بِـــالنُّورِ وَالْحَـــقِّ بَعْـــدَ الظَّلَـــم
وَقُلْنَـــا صَـــدَقْتَ رَسُـــولَ الْمَلِيـــك هَلُـــمَّ إِلَيْنَـــا وَفِينَـــا أَقِـــم

اتسمت صورة الرسول (▫) عند حسان بالطابع الديني إلى حدٍ كبيرٍ، فهو رسول المليك وهو الله، المرسل بالحق والنور لهداية الناس. لهذا يكرر العبارة في البيت الثاني ويُعرب عن تصديقهم للرسول (▫) وترحيبهم بإقامته فيهم.

كذلك يتحدث كعب بن مالك ويوجه الحديث إلى ابن الزبعرى الذي هجا الرسول (▫) ويقول[3]:

(المتقارب)

تَبَجَّسْـــتَ تَهْجُـــو رَسُـــولَ الْمَلِيـــك قَاتلَـــكَ الله جَلفًـــا لَعِينًـــا[4]

---

[1] كعب بن زهير: **الديوان**، مصدر سابق، ص224. ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص140–141.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص375.

[3] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص277. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص169.

[4] تَبَجَّستَ: انفجرت، جلفًا: فظًاغليظًا قاسيًا جافيًا.

ففي هجاء كعب لابن الزبعرى يُصور كعب الرسول (▫) رسول المليك المُنزه عن كل فحش وباطل، ويتوعد ابن الزبعرى بعقابٍ شديد من الله.

إن النعوت التي نقع عليها لمحمد (▫)، كثيرة وتختلف باختلاف القائلين والمواقف الداعية لهم، كما في أحمد والمصطفى والهادي والنبي المرسل ورسول المليك، لكن أحفل النعوت كما يؤكد الحبوبي بالرعاية والذكر هُما نعتا الرسول ورسول الله، فهما من المأثور الذي لا مناص من ذكره، فضلاً عن شيوعهما لدى الشعراء، واجتماع كثير من الناس على توظيفهما لبيان صورة الرسول الدينية على أكمل وجه، كما أرادها الخالق جلّ وعلا[1].

*** الصورة الشخصية للرسول (▫):**

كان الحديث عن صورة الرسول (▫) عند المسلمين في السابق قد توقف عند الصورة الدينية للمصطفى (▫)، ولاستكمال هذه الصورة وَجب التوقف عند صورته (▫) من ناحية مادية، فصورة الرسول الشخصية عند المسلمين لمْ تظهر في الشعر كما بدت الصورة المعنوية، ولعلّ ذلك مردّه أسباب منها أنَّ الله سبحانه وتعالى أراد لنا أن نبقى على هيبةٍ واحترام وإجلال لهذا النبي الكريم، فلا نقترب من ملامحه الخاصة إلاّ بمقدار، بل إنَّ القرآن الكريم لم يتطرق لهذه الملامح الشكلية في آياته، واكتفى أن أرشدنا إلى كثيرٍ من صفاته المعنوية كالصدق والأمانة وغيرها، لكن هذا لا يعني أنه لم تكن هناك صورةٌ رسمها الشعراء ممن عاصروا الرسول (▫) لملامحه وهيئته بشكل عام، فقد ظهرت صورة الرسول (▫) الشخصية من خلال وصفه بالأغرَّ، والأزهر، والأبيض، وكذلك صورة البدر التي استرعت انتباه الباحثة، فكان لِزاماً أن يكون لها نصيب من الدراسة والبحث في الصفحات القادمة. إنَّ الصورة الجمالية التي وصلتنا عن طريق كتب السيرة والتاريخ، وما رواه الصحابة، تَعْرِض في أكثرها لصورة وجه الرسول (▫) من خلال وصفهِ بالوضاءة والنور وغيرها، وهذا الطفيل – رضي الله عنه – يقول: " كان رسول الله (▫) أبيض مليح الوجه"[2]، وكذلك ما رواه أنس بن مالك – رضي الله عنه –: "كان رسول الله (▫)

---

[1] يُنظر: الحبوبي، علي محمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**، مرجع سابق، ص378.

[2] **صحيح مسلم**، ج2، مصدر سابق، ص331.

ليس بالطويل البائن ولا بالقصير، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم، ولا بالجعد القطط ولا بالسبط"[1]. ولعّل النسَّاء أكثر دقةً وبراعةً في تصوير الشكل، ونقل الصورة بشفافية عالية؛ كما نقلتها أم معبد لنا حين سألها زوجها أن تصفَ الرجل الذي بارك في عنزته وحلب وشرب وأسقاهم ولم يكن إذْ ذاك موجوداً قالت: "رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، حسن الخلق، مليح الوجه، لم تُعِبْه تجلة[2] ولم تُزْرِ به صعلة[3]، قسيم وسيم[4]، في عينيه دعج وفي أشفاره وطف[5]، أكحل أزج أقرن[6]، إذا صمت عليه الوقار، وإذا تكلم سما، وعلاه البهاء،حلو المنطق، فصل لا نزر، ولا هذر[7] منطقه خرزات نظم يتحدرن، أبهى الناس وأجملهم من بعيد، وأحسنهم من قريب، له رفقاء يحفون به، إن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، فقال بعلها: هذا والله صاحب قريش الذي تطلب[8].

أ- صورة الأغر، الأزهر، الأبيض:

الصورة التي رسمت للرسول (ﷺ) تنحصر في صفاتٍ ثلاث، وكلها تدور في فلك واحد يؤدي معنى الإشراق والوضوح، فكان تصوير الرسول (ﷺ) بالضياء والنور هو المحور الرئيس الذي دارت معظم قصائد الشعراء حوله، حيث كان الضوء والصوت هو أهم ما لفت نظر الإنسان قديمًا وحظيا باهتمامه[9]، لقد فتح أبو طالب باب الحديث عن محمد (ﷺ) وصفاته وطبيعة العلاقة به، فصوّره بالأبيض المبارك في قوله[10]:

---

[1] **صحيح مسلم**، ج2، مصدر سابق، ص333.

[2] الوضاءة: الحُسن والنظافة والبهجة التجلة: ضخامة البطن.

[3] الصعلة: صِغر الرأس.

[4] قسيم وسيم: القسامة والحسن.

[5] دعج: شدة سواد العين وشدة بياضه.الأشفار: منبت شعر الأجفان. الوطف: الطول، أي في شعر أجفانه طول.

[6] أزج: تقوس في الحاجب مع طول في طرفه. أقرن: مقرون الحاجبين.

[7] المنطق: الكلام. فصل: يفصل بين كلامه، وكلامه ظاهر بيِّن. نزر: قليل. هذر: كثير رديء.

[8] **صحيح مسلم**،ج2، مصدر سابق، ص331-333. وأبو زهرة، محمد: **خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم**، مصدر سابق، ص630.

[9] البغدادي، مريم: **ظاهرة الضوء جمالياً في الشعر الجاهلي**، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الآداب والعلوم الإنسانية)، ع9، 1414هـ، ص364.

[10] الهيتمي، محمد: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، ص286. والتنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم الرسول** (ﷺ)، ص67.

(الطويل)

وَأَبْـيَض يُسْتَسْـقَى الْغَمَـام بِوَجْهِـهِ ثِمَـالَ اليَتَامضـى عِصْـمَةٌ لْلأَرَامِـل

كانت الصورة قد رُسمت للرسول (▫) قبل الإسلام، وها هو أبو طالب يصوره بالأغّر مخاطبًا عليًا ابنه الذي كان يبيت في فراش الرسول خوفًا على حياته ويقول[1]:

(الخفيف)

لِفِـــدَاءِ الأَغَـــرّ ذِي الْحَسَـــبِ الثَّاقِـبِ والْبَـاعِ والْفِنَـاءِ الرَّحِيـبِ

وظهرت الصورة أيضًا عند قطن بن حارثة الذي صوره بالبدر الأغرّ فقال[2]:

(الطويل)

أَغَـرٌّ كَـأَنَّ الْبَـدْرَ سِـنَّةُ وَجْهِـهِ إِذَا مَـا بَدَا لِلنَّـاسِ فِـي حُلَلِ الْعُصَبِ

حيث ارتبطت صورة البدر الأغرّ مع صورة الكريم الذي يحتاجه الناس وقت الشدائد كما البدر في الليالي المظلمة[3].

ويأتي عبد الله بن الزبعرى على علامات نُبوة الرسول (▫) فيصوره بالنور الأغر فيقول[4]:

(الكامل)

وَعَلَيْـكَ مِـنْ سِـمَةِ الْمَلِيـكِ عَلاَمَـةٌ نُـــورٌ أَغَـــرٌّ وَخَـــاتَمٌ مَخْتُـــوم

يلاحظ على الشعراء السابقين رصدهم درجة نور القمر ولونه ووصفه بالأغرّ، كذلك وصفوا الرسول (▫) بالأزهر، جاء ذلك على لسان كعب بن مالك في قوله[5]:

---

[1] علي بن أبي طالب: **الديوان**، ص125–126.

[2] المرزباني: **معجم الشعراء**، ص189. وابن الأثير: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج4، ص389.

[3] وقفت الباحثة على شرح هذا البيت في عرضها لصورة الرسول (▫) الكريم، يُنظر الفصل الثاني من الدراسة، ص56.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص420. ومسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، مصدر سابق، ص169. وابن الزبعرى: **الديوان**، مصدر سابق، ص45–46، والجمحي ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص243.

[5] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص28.

(الكامل)

وَمَــوَاعِظٌ مِــنْ رَبِّنَــا تَهْــدِي بِهَــا بِلِسَـــان أَزْهَـــرَ طَيِّـــبَ الْأَثْـــوَاب[1]

يصف كعب الرسول (ﷺ) بالأزهر أي الأبيض، وقد ذكرنا سابقًا كيف رسم أبو طالب هذه الصورة للرسول وسار على نهجه الشعراء باستخدامهم المعنى نفسه، وإن كان هناك اختلاف في اللفظ أحيانًا وكل ذلك دلالة على بياض بشرة الرسول (ﷺ) وهذا يؤكده الطفيل – رضي الله عنه – بقوله " كان رسول الله (ﷺ) أبيض مليح الوجه"[2].

حتى عاتكة بنت المطلب في رثائها النبي (ﷺ) تُصوره بالأزهر، المنزه عن كل عيب أو نقص فتقول[3]:

(البسيط)

مِنْ فَقْدِ أَزْهَرَ صَافِي الْخَلْقِ ذِي فَخَرٍ صَافٍ مِنَ الْعَيْبِ وَالعَاهَاتِ وَالزَّوَرِ

فهي تُسبغ عليه جملة من الصفات التي منها الأزهر صافي الخلق، هذا البياض عبرت عنه الشاعرة بعد وفاة الرسول (ﷺ)؛ كناية عن طهارة ابن أخيها الرسول العظيم ونقائه، ولجأت إلى استخدام صورة الأزهر لما تُوحيه المفردة من الكمال والوضوح والبياض وكأنَّها بغيابه وفقده فقدت الضوء والنور.

وورد وصف النبي (ﷺ) بالأبلج (مُشرق الوجه) في قول عمرو بن مرة الجهني[4] عندما وفد إليه مع قومه يريدون الإسلام فقال[5]:

---

[1] الأزهر: الأبيض اللون، طيب الأثواب: كناية عن عفةِ لسان النبي (ﷺ).

[2] صحيح مسلم، ج2، ص331.

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص 842، وزايد، مقابلة: **عمات الرسول** (ﷺ)، **السيرة والشعر**، ص164.

[4] عمرو بن مرة الجهني، بن عبس بن مالك بن الحارث بن رفاعة بن قيس بن جهنة، وكنيته أبا مريم صاحب الرسول (ﷺ) ومات بالشام يُنظر: المزي،يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف:**تُحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، تح عبد الصمد شرف الدين، المكتبة الإسلامية والدار القيمة، ط2، 1982 م، ج10، ص22.

[5] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج2، ص353.

(الطويل)

تَــبَلَّجَ مِنْــهُ اللَّــونُ وازْدَادَ وَجْهُــهُ كَمِثْــلِ ضِــيَاءِ الْبَــدْرِ بَــينَ الزَّوَاهِــر

صورة وجه الرسول (▫) مشرق منير على الكون، وشبهه الشاعر بالبدر بين الكواكب الذي غطى نوره ضوءها.

هذه الصورة تَقودنا إلى القسم الثاني وهو صورة البدر التي ظهرت عند كثير من الشعراء كما سيأتي.

ب- صورة البدر:

تعددت وتنوعت دون أن تخرج من طبيعة القصيدة ونطاقها؛ ذلك أن الشاعر يرسم صورة للقمر من خلال عناصر الطبيعة المحيطة وواقع حياته اليومية والبيئية، لذلك نرى القمر مصدراً لكثير من الصور الشعرية التي تنطوي على دلالات حملت مكنونات الشاعر النفسية وأحساسيه الداخلية وعبر عنها بشعره في شتى المجالات[1]. فهذا العباس بن عبد المطلب[2] يفتخر بنصرهم الرسول (▫) في غزوة حنين، ويشبهه بالبدر وهم من حوله يحيطون به كالنجوم ويقول[3]:

(الطويل)

نَصَــرْنَا رَسُــولَ اللهِ كَالْبَــدْرِ تِسْــعَةً وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْــهُ وَأَقْشَعُوا[4]

حَنَــوْتُ إِلَيْــهِ حِــينَ لاَ يَحْنَــأُ امْــرؤٌ عَلَــى بَكْــرِهِ وَالْمَــوتُ فِــي الْقَــومِ مُقْنِــعُ

ونجد كثيراً من التقارب ما بين صورة العباس وصورة علي بن أبي طالب الذي صَوَّر فيها الرسول بينهم بالبدر فقال[5]:

---

[1] يُنظر: اشتية، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص144.

[2] العباس بن عبد المطلب، أبو الفضل عم الرسول (▫) من معددوي خطباء قريش وبلغائهم، وذوي الفضل منهم، وقد ولد قبل ولادة الرسول (▫) بسنتين ومات في أواخر خلافة عثمان – رضي الله عنه – وله يوم حنين حيث أبلى بلاءً حسناً مع رسول الله (▫) (ت: 32هـ). ينظر، المرزباني: **معجم الشعراء**، مج1، ص146.

[3] المرزباني: **معجم الشعراء**، مج1، ص146.

[4] أقشعوا: تفرقوا عن المكان.

[5] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص114.

(الطويل)

وَهَــذَا رَسُــولُ اللهِ كَالْبَــدْرِ بَيْنَنَــا بِــهِ كَشَــفَ اللهُ الْعِــدَى بِالتَّنَــاكِس

ومن يقرأ ديوان الصدِّيق – رضي الله عنه – يجد صورة للرسول (▫) أشدَّ وضوحًا وجمالًا من سابقيه فيقول[1]:

(الكامل)

وَاللهُ يَنْصُــرُنَا وَأَحْمَــدُ وَسْــطَنَا كَالْبَـدْرِ أَنْصَـفَ وَهْـوَ لَـيْسَ بِكَاسِـف

إنَّ صورة الرسول عند أبي بكر الصديق كصورة البدر مكتملاً وسط السماء وبين النجوم والكواكب، لا يعتريه الكسوف ولا يصيبه. وهكذا كانت صورته ما بين المسلمين وقت المعارك والحروب، فكان النصر حليفهم بإذن الله وهو معهم.

وهذا عمرو بن سالم الخزاعي[2] يُعبر عن شجاعة الرسول (▫) ونصرِه لهم ويصفه قائلاً[3]:

(الرجز)

فِــيهِم رَسُــولُ اللهِ قَــدْ تَجَــرَّدَا أَبْـيَضَ مِثْـلُ الْبَـدْرِ يَنْمِــي صُــعدًا

صورة الرسول عند عمرو الخزاعي أبيض لامع كالبدر وسط السماء، وقد ارتبطت صورة البدر في فكر الشاعر– لعلها– ببعض ما ترسبت في أذهان القدماء من معتقدمات وأساطير وخرافات أفرزها العقل البدائي حول قدرة القمر القيام بأعمال خارقة[4]، لهذا لم يجد الشاعر أمامه من وصف أدق من القمر ويصف الرسول (▫) به، بعد أن لبّى نداءهم ونصرهم على بني بكر.

---

[1] أبو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص20.

[2] عمرو بن سالم: ذكره ابن منده،قال وقيل عمرو بن سالم وهو وافد خزاعة، ثم ذكر النبي (▫) فأنشده الأبيات "اللهم إني ناشد محمداً"، قال ابو نعيم كذا أخرجه ولم يختلف في أنه عمرو يعني بفتح العين وقال ابن الأثير: قول أبي نعيم صحيح. وقول ابن منده وهم وتصحيف (د.ت) ينظر: العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج 5، ص285.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص325.

[4] اشتية، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص157.

أما صورة الرسول (▫) عند حسان بن ثابت فقد تعددت التشبيهات،فتارة يصوره بالبدر وأخرى بالقمر وثالثة بالهلال، لكنهَّا في نهاية المطاف تؤكد على صورة الحُسن والهيئة التي كان عليها الرسول (▫) فيقول حسان[1]:

(البسيط)

وَافٍ وَمَـاضٍ شِـهَابٌ يُسْتَضَـاءُ بِـهِ بَــدْرٌ أَنَــارَ عَلَــى كُــلِّ الْأَمَاجِيــدِ

الصورة اكتملت عند حسان بِروعتها إذْ جعل من الرسول (▫) النور الذي يُستضاء به، وهو كما البدر الذي أضاء الحياة وكشف الظلام، فما بالك بسيد المرسلين الذي تأثيره عمَّ الكون وأحدث فاعليةً كبرى في الحياة جميعًا لا تقل عن أهمية البدر وفاعليته[2].

حسان بن ثابت لا يكتفي بهذه الصورة، بل يُبارك في صورته وفي الضياء الذي ينبعث منها ويقول[3]:

(البسيط)

مُبــَارَكٌ كَضِــيَاءِ الْبَــدْرِ صُــورَتُهُ مَـا قَـالَ كَـانَ قَضَـاءً غَيْـرُ مَـرْدُود

وفي صورة أخرى يرسمها للرسول (▫)، يذكر فيها غزوة بني قريظة، وكيف أتاهم الرسول (▫) بجيشه المغوار فيقول[4]:

(الوافر)

غَــدَاةَ أَتَــاهُم يَهْــوِي إِلَــيْهِم رَسُــولَ اللهِ كَــالْقَمَرِ الْمُنِيــرِ

هنا الصورة فيها من العظمة والرفعة التي أراد أن يبرزها حسان – رضي الله عنه – للرسول (▫) عن طريق تشبيهه بالقمر المنير، وهذا التشابه ينطلق من تصور قديم يرى في العظيم صفات علوية تؤهله لأنه يحظى بمنزلة الأجرام العلوية السماوية سواء بسواء، ويقرن

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص81.

[2] يُنظر: البغدادي، مريم: **ظاهرة الضوء جمالياً في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص401

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص82.

[4] المصدر السابق، ص223.

الإضاءة والنور بذكر شِيم هذا الرسول الممدوح مع التركيز على صفاته، التي منها السيادة والشجاعة والنخوة وغيرها مما تؤهله لأن يكون شمساً أو قمراً ينعكس سناؤه على غيره[1].

وقد يأتي الشعراء برديف القمر أو البدر كالهلال مثلاً، الذي يُسمى به القمر أول ما يُرى وكذلك يكون لثلاث ليال ثم يسمى قمراً إلى أن يبهر ضوؤه سواد الليل[2] كما فعل حسان في وصف الرسول بقوله[3]:

(الكامل)

مِثْــلَ الْهِــلَالِ مُبَارَكًــا ذَا رَحْمَــةٍ سَــمِحَ الْخَلِيقَــةِ طَيِّــبَ الْأَعْــوَادِ

يُلاحظ الفرق في أبيات حسان في وصفه الرسول (▫) بالبدر والقمر، ووصفه بالهلال حيث جعل سماحته وطيب أصله مع صورة الهلال الذي يكون أول ما يطلع، بينما جعل قوله الحق وشجاعته مع صورة القمر والبدر حين يكون مكتملاً وفيه اكتمال عطائه ومكانته بين المسلمين.

وفي وصف أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – مايكشف صورة البدر المضيء فيقول[4]:

(الوافر)

أَمِــينٌ مُصْــطَفى بِــالْخَيْرِ يَــدْعُو كَضَــوْءِ الْبَــدْرِ زَايَلُــهُ الْظَّــلَامَ

صورة الرسول (▫) وهو يدعو إلى الحق وإلى ترك عبادة الأصنام؛ كصورة البدر المضيء الذي يكشف الظلام المخيم على المكان، هكذا إذن كانت صورة الرسول (▫) عند أبي بكر حيث استحوذت ظاهرة الضوء على جزء كبير من الانبهار والتعجب لدى الشعراء، وهذا ما وُجد عند كثير من شعراء الجاهلية[5]، فشدة عشقهم للضوء الأبيض جعلهم مشدوددين على الدوام إلى وجه ممدوحهم، ومن هنا كان تصويرهم بالقمر أو البدر لما فيه من تميز وجمال واستمرارية.

---

[1] يُنظر: البغدادي، مريم: **ظاهرة الضوء جمالياً في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص401.

[2] المرجع السابق، ص395.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص82.

[4] أبو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص30.

[5] يُنظر: البغدادي، مريم: **ظاهرة الضوء جمالياً في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص381.

وكعب بن مالك يأتي على صورة الرسول (▫) ويصفه بالبدر الذي لا يعرف الكذب أبدًا فيقول[1]:

(البسيط)

يَمْضِي وَيَذْمُرُنَا عَنْ غَيرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِبِ

صورة مثالية رسمها كعب بتشبيه الرسول (▫) بالبدر الصادق الذي لا يكذب في طلعته ووقته، وهذا يؤكد كما يذكر "السواح" سيطرته على الزمن، فقد كانوا ينظرون إلى القمر كخالق وسيد للزمن أو رب للفصول التي هي نتاج دورته الشهرية[2]. ولم يبقَ في النهاية إلاّ أن نذكر قدوم الرسول (▫) على المدينة المنورة وكيف خرج أهلها لاستقباله منشدين[3]:

(مجزوء الرمل)

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاع
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لله دَاع
أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاع
جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَة مَرْحَبًا يَا خَيْرَ دَاع

صورة البدر عند المسلمين أيضًا صورة لها أثرها في النفس، تجعل القارىء يُثير تساؤلاتٍ عدة، لماذا البدر مثلاً؟ وهل هناك آثار قديمة بقيت في نفوس المسلمين حتى بعد الإسلام لصورة القمر الجاهلية؟

الكل يعرف كيف هيمن القمر على مجمع الآلهة الجاهلي، وقد تفوقت عبادته على عبادة أشهر الآلهة في الجاهلية " مناة واللات والعزى " لكن هل بقيت آثار عبادة القمر على قلة انتشارها بعد الإسلام قائمة؟ هناك بعض الآثار مثل الهلال حيث اتُخذ شعاراً للمسلمين على المآذن، وهو

---

[1] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص25. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص161.

[2] السواح، فراس: **لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ط6، دمشق، دار علاء الدين، 1996، ص82.

[3] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص29. ويُختلف أين أنشدت هذه الأنشودة ويعتقد انها عند قدومه من غزوة تبوك كما قال الحافظ بن حجر، يُنظر: **فتح الباري**، ج7، ص262، ولكن الرواية الأكثر شيوعاً كما قال الإمام البهيقي حدثت عند استكمال الهجرة قادماً من مكة 622 م، يُنظر: ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج5، ص29.

رمز جاهلي إسلامي[1] حتى القرآن الكريم أتى على عبادة القمر في الجاهلية قال تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2].

وكانت عبادة الإنسان للقمر منذ القدم قد بلغت درجة من التعظيم، لأنه لا يستمر على حال،يبدأ هلالاً ثم يأخذ بالامتلاء والاكتمال، ويتوسط السماء بدراً جميلًا إلى أن يختفي في نهاية الشهر[3] وقد قاد تفكير الإنسان في القديم أنّ تتابع الفصول نتيجة دورة القمر يؤدي إلى اكتمال الدورة الزراعية، حيث تتوج بحركتها فصل الربيع الذي يحيي الأرض بعد موتها[4]، فهل كانت صورته (▫) امتداداً لهذه الصورة، فالرسول جاء لإحياء العقول والقلوب وإنارتها.

أرى أن تأثير وحضور صورة القمر في الشعر الإسلامي كان واسعًا وجديراً بالدراسة والبحث ولا يتسع المجال لطرح ومناقشة ذلك، لكن ما يمكن قوله، والوصول إليه في النهاية أن الضوء اللافت والنور هما أكثر ما شدَّ الشعراء لرسم صورة البدر للمصطفى (▫)، ولعل البدر أقرب عنصر بيئي إلى أذهانهم في تلك الفترة من الزمن استوحى الشعراء منه الصور ولوَّنوا به لوحاتهم.

---

[1] يُنظر: اشتية، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي**، مرجع سابق، ص52– ص53.

[2] **سورة فصلت**، آية 37.

[3] السواح، فراس: **لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ص64.

[4] الديك، إحسان: **الوعل صدى تموز**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، 2002 م، ص37.

المبحث الثاني

صورته عند الأعداء

أ- عند قريش وما حولها:

بعد أن صدع الرسول (ﷺ) بدعوته، ودعا قومه للدخول في الإسلام، صدَّقه عدد منهم ودخلوا في دينه، وقام فريق آخر بتكذيبه وصدِّ من يحاول الدخول في الإسلام والإيمان بالبعث والحساب، وعند دراسة موضوع الأعداء زمن الرسول (ﷺ)؛ يواجه الباحث صعوبة في قلة أخبار هؤلاء الأعداء؛ حيث إن المصادر لا تنقل صورة الأعداء ووجهة نظرهم الخاصة[1] بالإضافة إلى أن الإسلام نهى عن رواية أشعارهم في هجاء الرسول (ﷺ) والمسلمين، فكثير منهم قد دخل في الإسلام، وتغلغل الإيمان في قلوبهم، وعملوا على إزالة كل ما بدا منهم قبل إسلامهم[2].

فمن هم أولئك الذين وقفوا ضد الرسول (ﷺ) والإسلام؟ وكيف برزت صورة الرسول (ﷺ) في أشعارهم؟ كانت مجموعة من الشعراء الذين رثوا قتلى المشركين وهجُّوا النبي (ﷺ) والمهاجرين والأنصار أكثرهم من أهل مكة ولهذا نجد أسماءهم مروية في سيرة ابن هشام والمصنفات القديمة ومنهم عبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب[3] غير أننا لا نجد أشعارهم تلك؛ ذلك أنهم أسلموا، وعبروا عن ندمهم على ما فرطوا في سابق عهدهم، وهذا لا يمنع أن نجد ردَّ الشعراء المسلمين لنكشف عن صورة الرسول (ﷺ) المقابلة لأشعار الكفار وإبراز تلك الصورة من شعراء نافحوا عن الرسول والدين ابتغاء مرضاة الله، فهذا حسان بن ثابت يرد على أبي سفيان بعد أن هجا الرسول (ﷺ) ويقول[4]:

---

[1] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2010 م، ص6.

[2] الصمد، واضح: **أدب صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص137.

[3] نالينو، كارلو: **تاريخ الأداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية**، تقديم طه حسين، ط2، مصر، دار المعارف، ص108.

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص7-8. وابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج4، ص95. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ص153.

(الوافر)

هَجَـــوْتَ مُحَمَّـــدًا فَأَجَبْـــتُ عَنْـــهُ ... وَعِنْـــــدَ اللهِ فـــــي ذَاكَ الْجَـــزَاءُ
أَتَهْجُـــوهُ وَلَسْـــتَ لَـــهُ بِكُـــفْءٍ ... فَشَـــــرُّكُما لِخَيْرِكُمَـــــا الْفِـــــدَاءُ
هَجَـــوْتَ مُبَارَكًـــا بَـــرًّا حَنِيفًـــا ... أَمِـــــينَ اللهِ شَـــــيمَتُهُ الْوَفَـــــاءُ
فَمَـــن يهجـــو رســـول اللهِ مِـــنكُم ... وَيَمْدَحَـــــهُ وَيَنْصُـــــرُه سَـــــوَاءُ

يتضح من الصورة التي يرد فيها حسان على أبي سفيان إظهار صورة الرسول المبارك البَّر الحنيف، ويجيء بأكثر من صفة في البيت الواحد غير مهتم بتفصيل كل منها[1] لتشكل بمجموعها صورة المتكامل الذي لا يعتريه نقص أو شائبة.

لكن الصورة تختلف بعد إسلام أبي سفيان واعتذاره للرسول (▫) في قوله[2]:

(الطويل)

لَعَمْـــرُكَ إِنِّـــي يَـــوْمَ أَحْمِـــلُ رَايَـــةً ... لِتَغْلِـــبَ خَيْـــلُ الـــلَاتِ خَيْـــلَ مُحَمَّـــدِ[3]
لَكَالْمُـــدْلِجِ الْحَيْـــرَانَ أَظْلَـــمَ لَيْلُـــهُ ... فَهَـــذَا أَوَانِـــي حِـــينَ أَهْـــدِى وَأَهْتَـــدِي[4]
هَـــدَانِي هَـــادٍ غَيْـــرُ نَفْسِـــي وَدَلَّنِـــي ... إِلَـــى اللهِ مَـــنْ طَـــرَّدْتُ كُـــلَّ مُطَـــرَّدِ
أَصُـــدُّ وَأَنْـــأَى جَاهِـــدًا عَـــنْ مُحَمَّـــدٍ ... وَأَدْعَـــى (وَإِنْ لَـــمْ أَنْتَسِـــبْ) مِـــنْ مُحَمَّـــدِ[5]

إنّ الصورة التي رسمها أبو سفيان لمحمد (▫) بعد إسلامه جديرة بالتوقف أمام صورة الهادي الذي كشف ظلام الجهل والكفر لهذا الشاعر، فنحن أمام صورة رسمها أبو سفيان أيام شركه وضلاله كالمتخبط في ظلمة الليل الذي لا يهتدي طريقه، لكن لماذا يذكر الليل في تصويره هنا؟ إنَّ إحساسنا بالليل شيء طبيعي، ومن ثم يكون إدراكنا له، وتصورنا لما قد يتركه في نفوسنا، فالليل يُقبل على الأشياء جميعًا؛ لكن قيمته ليس في ذلك، بل في وجدانيته وترنمه بالتعبير عن

---

[1] الحربي، منور: **شخصية الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص147.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج2، ص401. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص329. والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ص96. وحسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص6.

[3] أحمل راية: أقود الناس للحرب، خيل اللات: جيوش الكفر، اللات: صنم من أصنام العرب.

[4] المدلج: الذي يسير بالليل.

[5] أنأى: ابتعد.

واقع النفس[1] لذلك يستطرد بقوله (هداني هاد) وهو هنا رسول الله (▫)، هذه صورة للرسول قبل إسلام أبي سفيان وبعده، لكننا لم نعثر على شعرٍ له في هجاء الرسول (▫)، بل كانت صورة معاكسة، صورة إيجابية، رسمها حسان بن ثابت في رده عليه وكثير من شعراء قريش ممن هجوا الرسول (▫) أسلموا بعد فتح مكة ومدحوا الرسول (▫).

وهذا يؤكد ما قاله السهيلي عن عدم رواية أشعار الكفار وممن هجوا الرسول ثم أسلموا "وقد شرطنا الإضراب عن شرح شعر الكفرة والمفاخرين بقتال النبي (▫) إلا من آمن منهم"[2].

وفي تَتَبعنا للمصادر وكتب التاريخ نجد أن معظم أعداء محمد من أهل مكة ينتمي إلى قبيلة قريش التي ينحدر منها (▫)[3] وإذا كان الأعداء هم الأقارب فماذا يمكن لنا أن نجد من الغرباء. ومن جهة الانتماء العشائري فقريش من أقوى العشائر وأكثرها ثراءً[4] وكان هؤلاء الأعداء من سادة مكة الذين يجمعون بين الوجاهة الاجتماعية والثراء المادي[5].

وكان لمحمد (▫) ببعض أعدائه علاقة قرابة قوية، وأقربهم له على الإطلاق عمه أبو لهب، فعندما كان الرسول (▫) يدعو للإسلام، كان خلفه رجل له غديرتان فإذا فرغ رسول الله (▫) من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل : يابَنِي فُلان إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم..."[6].

والقرآن الكريم جاء على ذكر أبي لهب وزوجته، قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤

---

[1] الزوواي، خالد محمد، أحمد: **الصورة الفنية عند النابغة**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، 1991 م، ص521.

[2] السهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ج6، ص132.

[3] يُنظر: البلاذري: **جمل من أنساب الأشراف**، ج6، ص140.

[4] البلاذري: **جمل من أنساب الأشراف**،ج1،ص150.

[5] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ص18.

[6] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص33.

فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾[1] نزلت الآيات في عمه أبي لهب وزوجته أم جميل[2] التي كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق الرسول حيث يمر[3]. وقد ردّ الله كيدها عن الرسول حين جاءت إليه وهو جالس عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر[4] من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن الرسول فلا ترى إلا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة وقالت[5]:

(مجزوء الرجز)

مُـــــذمَّمًا عَصَـــــيْنَا وَأَمْـــــــرهُ أَبَيْنَـــــــا

وَدِينهُ قَلَيْنَا

وانصرفت، فقال أبو بكر للرسول (ﷺ): أما تراها رأتك؟ فقال الرسول ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني، وكان ابن اسحق يقول: إنَّ قريشًا كانت تسمي الرسول (ﷺ) مذممًا ثم يسبُّونه وكان الرسول يقول ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش، يسبُّون ويهجون مذممًا وأنا محمد[6].

إنّ الصورة التي تظهر لنا من الشعر السابق، تكشف الوجه الحقيقي لعداء أقارب الرسول (ﷺ) لشخصه الكريم ولدعوته السماوية، فالرسول (ﷺ) نزَّهَهُ الله واصطفاه دون سائر البشر وسماه محمدًا ليكون محمودًا في السماء والأرض، فهذه الصورة مردودة عليهم لأنها بطبيعتها هي إنعكاس لأخلاقهم ومبادئهم، ولهذا رأوا في آيات القرآن التي تعرضت لهم ولآلهتم هجاء كما يعلق محمد حسين "نحن لا نأتي بجديد ولا ندعي شيئًا خطيرًا حين نقول إن في القرآن هجاء"[7] كذلك أمية

---

[1] **سورة المسد**، آية 1-5.

[2] أم جميل بنت حرب، هي العوراء بنت حرب أخت سفيان بن حرب وزوج أبي لهب بن عبد المطلب، وكانت أشد الناس عداوة ومعارضة للدعوة الإسلامية وأكثرهم إيذاءً للرسول (ﷺ) حتى لعنها الله في كتابه هي وزوجها (د.ت) يُنظر، الوائلي، عبد الحكيم: **موسوعة شاعرات العرب**، مرجع سابق، ص103.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج1، ص355، ص356.

[4] الفهر: حجر على مقدار ملء الكف.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص355، ص356.

[6] يُنظر: ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص356.

[7] حسين، محمد محمد:**الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، ط9، بيروت، دار النهضة العربية، 1917م، ص193.

بن خلف كان يؤذي الرسول (▫) وإذا رآه همزه ولمزه فأنزل الله فيه، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ ﴾[1].

إن القرشيين ظلموا الرسول (▫) في يوم الخندق عندما ساروا بجمعهم إليه وألَّبوا أهل البوادي والحواضر عليه، كانت هذه الصورة حاضرة في ذهن حسان الذي نقلها لنا في قوله[2]:

(الكامل)

وَاشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الإِلهِ وَمَا تَرى ... مِنْ مَعْشَرٍ مُتَأَلِبينَ غِضَابِ[3]

أَمُّوا بِغَزْوِهِم الرَّسُولَ وَأَلَّبُوا ... أَهْلَ الْقُرَى وَبَوَادِيَ الْأَعْرَابِ[4]

وكعب بن مالك ينقل هو الآخر ما نزل بالنبي (▫) من قريش من بذيء الكلام والجهر بالعداوة له بقوله[5]:

(المتقارب)

رَمَتْهُ مَعَدٌّ بِعَوْرِ الْكَلاَم ... وَنَبْلِ الْعَدَاوَةِ لاَ تَأْتَلِي[6]

ليس فقط الكلام الفاحش سلطته قريش على الرسول (▫) وأصحابه، وإنما كانت سهامها وسيوفها مسلطة أيضًا على رقاب كل من آمن بمحمد ودعوته، لهذا انبرى شعراء الرسول ومنهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة ينصرونه بألسنتهم كما هو الحال بأسلحتهم[7] وقد اعتبر الرسول (▫) أن الشاعر حين يُناجز المشركين ويحامي عن الدين، إنما يكون مجاهدًا في سبيل الله لأن الكلمة الشعرية أنفذ وأمضى وأبلغ وقعًا من السهام الجارحة[8] وهو

---

[1] **سورة الهمزة**، آية 1-2.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص270. وحسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص11.

[3] متألبين: مجتمعين يُقال ألب عليك القوم: أتوك من كل جانب، وألبت الجيش عليه: إذا جمعته وتألبوا: تجمعوا.

[4] أمَّوا: قصدوا، وألبسوا: أي خلطوا وشبهوا.

[5] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص172، وكعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص254.

[6] تأتلي: تُقصِّر.

[7] يُنظر: العاني، سامي مكي: **الإسلام والشعر**، الكويت، عالم المعرفة، 1996 م، ص54.

[8] مغنية، حبيب يوسف: **الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، دراسة وصفية نقدية**، بيروت، دار ومكتبة الهلال، 1995، ص82.

أسرع فيهم من نضح النبل[1]. وقد مرَّ سابقًا رد كعب بن مالك على ابن الزبعرى قبل أن يسلم وذلك في معرض هجائه الرسول (▫) وتوبيخه له بقوله[2]:

(المتقارب)

تَبَجَّسْتَ تَهْجُو رَسُولَ الْمَلِيكِ ... قَاتَلَكَ اللهُ جَلْفًا لَعِينًا
تَقُولُ الْخَنَا ثُمَّ تَرْمِي بِهِ ... نَقِيَّ الثِّيَابِ تَقِيًّا أَمِينًا

هذا يدل على فاحش الكلام الذي أكثر منه هؤلاء الشعراء في هجاء الرسول الكريم مع أنَّ الإسلام حرّم الهجاء وها نحن لا نجد أشعار عبد الله بن الزبعرى، لكن ردَّ كعب بن مالك يؤكد من خلال مفرداته على العداوة الصريحة التي قامت بين قريش والرسول (▫) ولم تكن هناك هوادة أو لين ولا مراعاة لقُربى أو دماء.

فصورة الرسول (▫) النقي التقي الأمين كلها تعكس نظرية الأعداء والمشركين وماحاولوا اتهام الرسول به، بل تُعطي أكبر صورة معنوية للرسول (▫)، القدوة للمسلمين وغيرهم، باتصافه بهذه الصفات وما نهى عنه الإسلام من الهجاء المقذع، حيث عمل على تحويل مجرى أفكار المسلمين عن هذه الأغراض الشعرية المنحرفة عن الحق والشرف[3].والصورة بعد الإسلام لعبد الله بن الزبعرى يرسمها للنبي (▫) تختلف كليًّا عمَّا كانت في جاهليته، حيث ظهر الإقرار والتسليم والتصديق بالنبي المرسل وعبَّر عنه باعتذاره للرسول في قوله[4]:

(الكامل)

مَنَعَ الرُّقَادَ بَلابِلٌ وَهُمُومُ ... وَاللَّيْلُ مُعْتَلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيمُ[5]
مِمَّا أَتَانِي أَنَّ أَحْمَدَ لامَنِي ... فِيهِ فَبِتُّ كَأَنَّنِي مَحْمُومُ
يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا ... عَيْرَانَةٌ سُرُحُ الْيَدَيْنِ غَشُومُ

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ج13،ص151.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 3، ص169، وكعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص277.

[3] الصمد، واضح: **أدب صدر الإسلام**، مرجع سابق، ص111.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419، ومسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، مرجع سابق، ص168، ص 169، وابن الزبعرى: **الديوان**، مصدر سابق، ص45، والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص243.

[5] البلابل: الوساوس .معتلج:مضطرب.

إِنِّـــي لَمُعْتَـــذِرٌ إِلَيْـــكَ مِـــنَ الَّـــذِي أَسْـــدَيْتُ إِذْ أَنَـــا فِـــي الضَّـــلاَلِ أَهِـــيم
فَـــالْيَومَ آمَـــنَ بِـــالنَّبِيِّ مُحَمَّـــدٍ قَلْبِـــي وَمُخْطِـــىءٌ هَـــذِهِ مَحْـــرُوم

الصورة تُعبر عن إيمان كلي بالنبي محمد، وشهادة صادقة من طالبٍ للعفو من الرسول (▫) بعدما جافى النوم عينيه فقد كان عبد الله بن الزبعرى وأبو سفيان بن الحارث ممن تعرضا للرسول (▫) ووقعا فيه حتى تصدى لهما من ردَّ كيدهما وأفحمهما[1]. وقد ظهر لرسول الله (▫) البغي والحسد من قريش وما حولها، فبادروه وأصحابه العداوة، وحاولوا منعه (▫) من نشر دعوته، وكثير من هؤلاء الأعداء استخدموا الكثير من الوسائل للتخلص من الرسول (▫) كما فعل عقبة بن أبي معيط[2] عند الكعبة حيث لوى ثوبه على عنقه وخنقه خنقًا شديدًا؛ لولا أن جاء أبو بكر الصديق ودفعه عن الرسول (▫)[3].

وأُبي بن خلف جاء الرسول (▫) بعظمٍ بال وقال: أتزعم أن ربك يُحيي الموتى، فمن يُحيي هذا؟ ثم فتَّه فقال حسان في ذلك[4]:

(الوافر)
لَقَـــدْ وَرِثَ الضَّـــلاَلَةَ عَـــنْ أَبِيـــهِ أُبـــيٌّ يَـــوْمَ فَارَقَـــهُ الرَّسُـــول
أَجِئْـــتَ مُحَمَّـــدًا عَظْمًـــا رَمِيمًـــا لِتَكْذِبَـــهُ وَأَنْـــتَ بِـــهِ جَهُـــول
وَقَـــدْ نَالَـــتْ بَنُـــو النَّجَـــارِ مِـــنْكُمْ أُمَيَّـــةَ إِذْ يَغُـــوثُ يَـــا عَقِيـــل
وَتَـــبَّ ابْنَـــا رَبِيعَـــةَ إِذْ أَطَاعَـــا أَبَـــا جَهْـــلٍ لِأُمِّهِمَـــا الْهَبُـــول

امتاز الهجاء بشدته وذمه المشركين والاستهزاء بهم، وقد تأثر شعراء صدر الإسلام بالقرآن وحديث الرسول (▫)، ولهذا نرى المعاني الإسلامية والمفردات تظهر في أشعارهم كما في شعر حسان السابق، فكلمة (تبَّ) مفردة قرآنية ذكرها القرآن في سورة المسد في تصويره لأبي لهب

---

[1] الحبوبي، علي محمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لإبن هشام**، مرجع سابق، ص390.

[2] عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ويُكنى أبا الوليد وكان من أشد الناس عداوة للرسول والمسلمين، يُنظر، ابن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ج2، ص140.

[3] الطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج1، ص243-244.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص84، ص85.

وزوجته، وكانوا ممن آذوا الرسول (ﷺ) وحسان هنا يسخر من أُبي وفِعلته ويُظهر صورة الرسول الصادق الذي يعرفه الجميع، ويشهدون بصدقه وأمانته.

أما كعب بن زهير[1] فقد علِم بإسلام أخيه بُجير وجَرتْ بين الأخوين رسائل شعرية وكان كعب لا يزال على كفره وعدائه الرسول (ﷺ) فبعث إلى أخيه قائلاً[2]:

(الطويل)

أَلاَ أَبْلِغَــا عَنِّــي بُجَيْــرًا رِسَــالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيْمَا قُلْتَ بِالخيف هَلْ لَكَا
شَـرِبْتَ مَـعَ الْمَـأمونِ كَأْسًـا رَوِيَّـةً ... فَأَنْهَلَــكَ الْمَــأْمُونُ مِنْهَــا وَعَلَّكَــا
وَخَالَفْــتَ أَسْــبَابَ الْهُــدَى وَتَبِعْتَــهُ ... عَلَــى أَيِّ شَــيْءٍ وَيْــبَ غَيْــرِكَ دَلَّكَا
عَلَــى خُلُــقٍ لَــمْ تُلْــفِ أُمًّــا ولا أَبًــا ... عَلَيْــهِ وَلَــمْ تُــدْرِكْ عَلَيــهِ أَخًــا لَكَــا

هنا صورة الرسول (ﷺ) عند كعب هو (المأمون) ويقصد به محمد (ﷺ) الذي أمنَّ كل من أسلم ودخل في دينه، ويعاتب كعب أخاه بجيراً لدخوله الإسلام ومتابعته دين محمد وتركه دين آبائه وأجداده، ونصحه بجير أن يُسلم وينجو بنفسه بعدما أهدر الرسول دمه، وضاقت به الأرض إلى أن جاء تائبًا معتذرًا للرسول (ﷺ) ومدحه بلاميته المشهورة التي منها الأبيات[3]:

(البسيط)

مَهْــلاً هَــدَاكَ الَّــذِي أَعْطَــاكَ نَافِلَــةَ ... القُــرْآنِ فِيهَــا مَــوَاعِيظٌ وَتَفْصِــيل
لاَ تَأْخُــذَنِي بِــأَقْوَالِ الْوُشَــاةِ وَلَــمْ ... أُذْنَــبْ وَلَــوْ كَثُــرَتْ عَنِّــي الأَقَاوِيــل
إِنَّ الرَّسُــولَ لَسَــيْفٌ يُسْتَضَــاءُ بِــهِ ... مُهَنَّــدٌ مِــنْ سُــيُوفِ اللهِ مَسْــلُول

وبالنظر إلى الصورة بعد إسلام كعب بن زهير، نجد تغيراً ملحوظًا على لغته ومفرداته، لكنه صوَّر الرسول بالسيف، والجديد في هذه الصورة أنها لم تكن لأحد من قبل حيث أنه صور الرسول بالسيف الذي هو من سيوف الله؛ مشهر دائمًا في وجه الأعداء والمشركين.

---

[1] هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، شاعر مخضرم من أهل نجد عالي الطبقة أنشد الرسول (ﷺ) لاميته المشهورة ومطلعها "بانت سعاد" ودافع عن الرسول (ﷺ) بشعره وله ديوان شعر ولا يعرف له تاريخ ميلاد توفي عام 26هـ/ 645م. وينظر، الزركلي: **الأعلام**، مصدر سابق، ج5، ص266.

[2] كعب بن زهير: **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري، بيروت، دار الفكر للجميع، 1968، ص10.

[3] كعب بن زهير: **الديوان**، مصدر سابق، ص22.

وما يجدر قوله هنا أن الأعداء تتبدل عداوتهم وتتغير مواقفهم بفضل الدين الجديد وبما يظهر لهم من أخلاق وسيرة المصطفى (ﷺ)، وعندما تتذوق نفوسهم حلاوة الإيمان يظهر ذلك في أشعارهم وفي اعتذارياتهم عما كانوا قد أفرطوا في ماضيهم مع الرسول وأصحابه، حتى وهذه الصورة الإيجابية نجدها عند شعراء مثل الأعشى[1]، فهو لم يسلم لكنه مدح الرسول (ﷺ) بعد ما رأى أخلاقه وكرمه وسمع عنها فقال[2]:

(الطويل)

نَبِــيٌّ يَــرَى مَــا لاَ تَــرَوْنَ وَذِكْــرُهُ أَغَــارَ لِعَمْــرِي فِــي الْــبِلاَدِ وَأَنْجَــدَا[3]
لَــهُ صَــدَقَاتٌ مَــا تُغِــبُّ وَنَائِــلٌ وَلَــيْسَ عَطَــاءُ الْيَــومِ مَانِعُــهُ غَــدَا
أَجِــدْكَ لَــمْ تَسْــمَعْ وَصَــاةَ مُحَمَّــدٍ نَبِــيَّ الإِلَــهِ حِــينَ أَوْصَــى وَأَشْــهَدَا

صورة الرسول عند الأعشى قد بلغت منتهاها، فسيرته عمَّت مشارق الأرض ومغاربها فهو، صاحب الصيت الذائع والشهرة الكريمة، وما ذاك إلا لهذا النبي الكريم الذي عطاؤه لا ينضب أبدًا، هكذا إذن كانت صورة الرسول الكريم عند الأعشى وهو لم يدخل في دين الله، لكن المعاملة والسيرة الحسنة والأخلاق التي تحلى بها المصطفى هي التي جعلت كل من يراه ويعايشه يمدحه حتى وإن كان كافرًا .

وهذا الحديث ينقلنا أيضًا للصورة التي وضحها سراقة بن مالك[4] قبل أن يُسلم هو الآخر، فيصور صِدق الرسول ويشهد له بذلك أمام أبي جهل فيقول[5]:

---

[1] الأعشى: هو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن بكر بن وائل لُقب بالأعشى لأنه كان ضعيف البصر، والأعشى في اللغة الذي لا يرى ليلاً، أدرك الإسلام ولم يسلم، يُنظر: المرزباني، **معجم الشعراء**، مج1، ص395.

[2] **ديوان الأعشى**، تح فوزي عطوي، ط1، بيروت، لبنان، الشركة اللبنانية للكتاب، ص106. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص378.

[3] أغار: بلغ الغور وهو ما انخفض من الأرض، أنجدا: بلغ النجد وهو ما ارتفع من الأرض.

[4] سراقة بن مالك: المدلجي الكناني سيد بني مدلج وأحد أشراف قبيلته كنانة، صحابي جليل، قائف يقتص الأثر، لحق بالرسول وأبو بكر في الهجرة طمعاً في جائزة قريش انغرست قدما فرسه في الوحل وطلب من الرسول أن يدعو الله لينجيه على أن يرجع ويعمي عنهم، ينظر: الطبراني: **المعجم الكبير**، ج7، ص119، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج15، ص130.

[5] البيهقي: **دلائل النبوة**، ج2، ص489، وابن هشام: **السيرة النبوية**،ج1،ص 490، والصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج15، ص130.

(الطويل)

أَبَــاحَكَمٍ وَاللهِ لَــوْ كُنْــتَ شَــاهِدًا ... لِأَمْــرِ جَــوَادِي إِذْ تَسُــوخُ قَوَائِمُــه
عَلِمْــتَ وَلَــمْ تَشْــكُكْ بِــأَنَّ مُحَمَّــدًا ... رَسُــولٌ بِبُرْهَــانٍ فَمَــنْ ذَا يُقَاوِمُــه
عَلَيْــكَ بِكَــفِّ الْقَــوْمِ عَنْــهُ فَــإِنَّنِي ... أَرَى أَمْــرَهُ يَوْمًــا سَــتَبْدُو مَعَالِمُــه
لِأَمْــرٍ يَــوَدُّ النَّــاسُ فِيــهِ بِأَسْــرِهِمْ ... بِــأَنَّ جَمِيــعَ النَّــاسِ طُــرًا يُسَــالِمُه

صورة الرسول الصادق ينقلها سراقة بن مالك بعد أن رأى بأم عينيه صدق نبوة الرسول (ﷺ) وذلك بعد أن تبع أثره إلى المدينة المنورة، وكيف غاصت أقدام راحلته بعد أن دعا عليه الرسول، وبالرغم من أن الإسلام ضمن الحقوق والمشاركة السياسية حتى للمرأة إذا لم تُشكل خطراً على الدين أو الدولة،نجد أن الأمر يختلف تماماً مع عصماء بنت مروان[1]، التي أظهرت نقمة على الإسلام والرسول (ﷺ) وراحت تحرض على اغتياله فتقول[2]:

(المتقارب)

فَبَاسَــتْ بَنِــي مَالِــكٍ وَالنَّبِيــتِ ... وَعَــوْفٍ بَاسَــتْ بَنِــي الْخَــزْرَجِ
أَطَعْــتُم أَتَــاوَى مِــنْ غَيْــرِكُم ... فَــلاَ مِــنْ مُــرَادٍ وَلاَ مُــذْحِجِ[3]
تَرَجّوُنَــه بَعْــدَ قَتْــلِ الــرّؤوسِ ... كَمَــا يُرْتَجَــى مَــرَقِ الْمُنْضَــجِ
أَلاَ انَــفٌ يَبْتَغِــي عِــزَّة ... فَيَقْطَــعِ مِــنْ أَمَــلِ الْمُرْتَجِــي

تظهر روح النقمة والعداء في أبياتها، وحسدها بعثة الرسول (ﷺ) في قريش؛ حيث تلوم قومها ومن دخل في الإسلام لمتابعته دين محمد (ﷺ) وتصفه بالغريب، وتصب جام غضبها في نهاية الأبيات عليهم لخوفهم وخضوعهم لهذا الدين الجديد، ولا نستغرب إن أمر الرسول (ﷺ) بقتلها، فقد انضمت إلى موكب المنافقين وأثارت الفتنة، ويخشى من خطر لسانها على الدولة وعلى العقيدة والرسول (ﷺ)، فكأنها مثلت بشعرها الخطر الذي يمثله الرجل في السياسة[4].

---

[1] عصماء بنت مروان، من شعراء صدر الاسلام كانت تعيب الإسلام وتؤذي الرسول (ﷺ) وتحرض عليه وقالت في ذلك شعراً يُنظر: الوائلي، عبد الحكيم: **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين**، مرجع سابق، ج2، ص404، والواقدي: **كتاب المغازي**، ج1، ص172.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص151، والواقدي: **كتاب المغازي**، ج1، ص172.

[3] الأتاوى: الغريب.

[4] يُنظر: خليف، مي يوسف: **الشعر النسائي في أدبنا القديم**، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ص65.

ب- عند اليهود:

بدأت أنشطة اليهود المعادية لمحمد (ﷺ) مع بداية انتشار دعوته في يثرب، واشتدت بعد هجرته (ﷺ) إليها، لكننا نجد ضعفًا في حضور اليهود في المصادر العربية، وقلة رصيدهم في الشعر الجاهلي، وكذلك قلة مشاركتهم في أيام العرب[1].

لكن دعوة محمد وجدت قبولًا من بعض غلمان مكة من اليهود كما تذكرها المصادر[2] وأما توزيع يهود يثرب زمن النبوة فيمكن تقسيم تلك القبائل إلى قسمين كبيرين هما:

(1) **القبائل اليهودية الكبرى** (قينقاع، النضير، قريظة) وما لحق بهم من مجموعات صغيرة من أصول مختلفة.

(2) **قبائل تمتلكها يهود الأوس ويهود الخزرج** أو كانت عشائر هاتين القبيلتين بالأصل أو بالحلف مجموعات صغيرة تدين باليهودية[3].

وقد اتَّخذ محمد (ﷺ) من اليهودية باعتبارها ديانة سماوية موقفًا إيجابيًا، وقدم رسالته على أنها مواصلة لما جاء به موسى وغيره من الأنبياء من بني إسرائيل[4] لذلك سعى لإقامة علاقات جيدة معهم، فأمنهم على دينهم وأموالهم وعاملهم بالحسنى، لكنهم اتَّخذوا موقفًا عدائيًا من الرسالة المحمدية وتآمروا عليها مثلهم في ذلك مثل المشركين[5] واستغلوا عدة حوادث لحث أتباع محمد عن الارتداد عن الدين خاصة سادتهم، فحاولوا تكذيب الرسول (ﷺ) وإظهار عدم صدقه وطالبوه بالمعجزات مثل إنزال كتاب من السماء أو قربانًا، ليظهروا أن الرسول (ﷺ) عاجز عن

---

[1] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، مرجع سابق، ص95.

[2] الواقدي: **كتاب المغازي**، ج2، ص685.

[3] يُنظر: كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، مرجع سابق، ص95.

[4] **المرجع السابق**، ص96.

[5] أفايه، محمد نور الدين: **الغرب المتخيل صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، المركز الثقافي العربي، 2000م، ص63.

الإتيان بدليل لهم، كما سعوا لإثارة الشبهات حول الدين والرسول (ﷺ) ومما قالوه عن النبي (ﷺ) "لو كان نبيًا ما رغب في النساء"[1].

إنَّ اليهود لم يبقوا في نطاق جحود النبوة والمكايدات والمحاججات والدسائس الكلامية؛ بل تجاوزوه إلى نقض العهد وإلى الغدر والخيانة والعداء الصريح للرسول والمسلمين.

فبعد معركة بدر الكبرى، اشتد حقد أبناء قريش على محمد قاتل الأحبة، وتوافد الشعراء على مكة يبكون قتلى بدر، وانتشرت بين أهلها أغانٍ فاحشة في هجاء الرسول (ﷺ) رددتها الإماء والجواري، وكان كعب بن الأشرف[2] أحد أسياد بني النضير من الشعراء الوافدين على مكة بكى القتلى، ودعا قريشًا للثأر لقتلاهم من محمد وأتباعه[3]. وحرّض ابن الأشرف على رسول الله (ﷺ) وبكى قتلى قليب بدر فقال[4]:

(الوافر)

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لَمَهْلِكِ أَهْلَه ... وَلِمَثْلِ بَدْرٍ تُسْتَهَلُّ الأَدْمُعُ[5]

قَتلَتْ سُرَاةُ القَوْمِ حِيَاضُهُم ... لاَ تُبْعِدوا إِنَّ الْمُلُوكَ تُصْرَعُ[6]

كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مِنْ أَبْيضٍ مَاجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إِلِيهِ الضُّيَعُ

يُلاحظ من شعر ابن الأشرف رائحة الغدر والخيانة، وينبعث منه نتنُ التحريض والفتنة على المسلمين، كل ذلك ليس حبًا في قريش ونصرتها ؛ إنما هو الميل الغريب الذي تميز به اليهود نحو بث الفوضى وخلق الفتن وإشعال الحروب[7].

---

[1] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، مج8، ص202.

[2] كعب بن الأشرف الطائي اليهودي أمه من بني النضير، وكان سيدًا فيهم، ويُكنى أبا ليلى، بكى أهل بدر من المشركين، وشبّب بنساء النبي (ﷺ) وأزواجه وبنساء المسلمين؛ فأمر الرسول (ﷺ) محمد بن سلمه ورهطًا معه من الأنصار بقتله وقتلوه عام 3هـ/623م، يُنظر: المرزباني، **معجم الشعراء**،ص153، والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت: 346هـ)، **التنبيه والإشراف**، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981م، ص90.

[3] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ص68.

[4] الواقدي: **المغازي**، مصدر سابق، ج1، ص185. وينظر: كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ص105.

[5] تُستهل: انهلّت، وتساقط دمعها.

[6] سُراة القوم: أشرافهم.

[7] يُنظر: أفاية، محمد نور الدين: **الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط**، مرجع سابق، ص61.

ولم يكتف ابن الأشرف بذلك بل شبّب بنساء المسلمين، ومنها أنه شبب بأم الفضل زوج العباس ابن عبد المطلب، فأهدر الرسول (ﷺ) دمه، وأمر بقتله، وكان مما قال ابن الأشرف[1]:

(البسيط)

أَرَاحِـلٌ أَنْـتَ لَـمْ تَحْلُـلْ بِمنْقَبَـةٍ وَتَـارِكٌ أَنْـتَ أُمَّ الْفَضْـلِ بِـالْحَرَمِ

صَفْرَاء رَادِعَـةٌ لَـوْ تُعْصَـرُ انْعَصَـرَتْ مِـنْ ذِي الْقَـوَارِيرِ والْحِنَّـاءِ وَالْكَـتَمِ[2]

هنا كعب بن الأشرف لم يكتف بالهجاء المعنوي القائم على طلب الفضائل، بل تعداه إلى الهجاء الفاحش بالسباب ونيل الأعراض والهجاء الجسدي[3]. وهذا ما نهى عنه الإسلام والرسول (ﷺ) حيث روى أبو هريرة عنه (ﷺ) أنه قال "المؤمن يغار والله أشد غيراً" وفي رواية أخرى "إن الله يغار وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله"[4] فهذه صورة الرسول العظيم الذي يغار لله ولدينه، ولا ينتقم لنفسه فقط بل للإسلام ولحرماته أن تنتهك.

ولهذا فقد حرم الهجاء لما فيه من التعرض للأعراض، وإثارة النزاعات والفتن، فأمر بقتل هذا اليهودي الذي تمادى في الأذى للرسول والمسلمين؛ بأن أرسل له محمد بن مسلمة ورهطًا من الأنصار فقتلوه ليلًا، وبعد قتله حَذِرت اليهود وذلت[5].

أما أبو عفك اليهودي[6] فقد أخذ يسيل في كلامه في هجاء الرسول حقدًا وحسدًا على هذا النبي الكريم، وبالغ في التحريض عليه وقال[7]:

---

[1] ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن بن علي: **الكامل في التاريخ**، مج2، ص142. وابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج2، ص54.

[2] الكَتَمُ: نبات قريب من الآس، ينبت في المناطق الجبلية، ثمرته تشبه الفلفل يخضب به الشعر ويصنع منه مداد الكتابه.

[3] النخال، منال سليم سالم: **الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري، أغراضه، ظواهره، اتجاهاته، قضاياه، (**رسالة ماجستير غير منشورة) الجامعة الإسلامية، غزة، 2013، ص156.

[4] **صحيح مسلم**، ج2، ص497.

[5] ينظر: الواقدي: **المغازي**، ج1، ص192. وابن الأثير: **الكامل في التاريخ** مج2، ص142.

[6] أبو عفك اليهودي، شاعر يهودي من بني عمرو بن عوف من بني عبيدة، وكان أبو عفك شيخاً كبيراً قد بلغ مئة وعشرين سنة، وكان يحرض على رسول الله ويقول الشعر في ذمه، ينظر: الواقدي: **كتاب المغازي**، ج1، ص174-175. وينظر: ابن تيمية: تقي الدين أبي العباس: **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، 1978، ص104-105.

[7] الواقدي: **كتاب المغازي**، ج1، ص174-175.

(المتقارب)

لَقَــدْ عِشْــتُ حِينًــا وَمَــا أَنْ أَرَى ... مِـــنَ النَّـــاسِ دَارًا وَلاَ مَجْمَعًـــا
أَجَـــمَّ عُقُـــولاً وَآوى إِلَـــى ... مَبِيـــت سُـــرَاهَا إِذَا مَـــا دَعَـــا
فَسَـــلَّبَهمْ أَمـــرَهُم رَاكِـــبٌ ... حَرَامًـــا حَـــلاَلاً بِشَـــتَّى مَعـــاَ
فَلَـــوْ كَـــانَ بِالْمُلْـــكِ صَـــدَّقْتُم ... وَبِالنَّصْـــرِ تَـــابَعْتُم تُبَعًـــا

الأبيات السابقة تشرح الصورة السلبية التي عليها اليهود، إذ لايمكن أن يؤتمن لصداقتهم ولا إلى وعودهم وأقوالهم، بل يتعاملون مع الآخرين بغطرسة وتبجح كبيرين، ومع ذلك فهم يتميزون بجبن لا مثيل له، يُغطيه سلوكهم المتستر بالغدر والخيانة والتآمر على المسلمين[1]، لهذا عمل الرسول (▫) على التخلص منهم وإجلائهم عن المدينة، وقد جاء القرآن الكريم على فضح أساليبهم ووصفهم بأشد الناس عداوة قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ ﴾[2].

ومع ذلك نجد هناك أشخاصًا آمنوا وصدقوا بدعوة محمد (▫) من أمثال "مخيريق" الذي قاتل يوم أحد مع الرسول والصحابة وكان حبرًا عالما ورجلاً غنيًا، كثيرة أمواله من النخل[3] أوصى بها جميعاً لمحمد (▫) يفعل بها ما يشاء وثبت عن الرسول (▫) أن امتدحه قائلاً "مخيريق خير يهود"[4] وكذلك زواجه (▫) من صفية بنت حيّي بن أخطب من بني النضير واختيارها الله ورسوله بعد أن خيَّرها الرسول وأكرمها (▫) وعوضها خيراً عن أهلها، كل ذلك فعله الرسول لأجل أن يُبقي على علاقات طيبة مع اليهود، والإلحاح على مبدأ التسامح مع أهل الكتاب؛ مع هذا فإن ذلك لم يمنع من حصول حالات الخلاف والنقمة على الإسلام.

إن الصورة التي نخرج بها من تصوير اليهود للرسول (▫)، صورة تحمل كل معاني الحقد والحسد لهذا النبي العظيم، ومع جحودهم وعنادهم لدعوة الرسول (▫)، لم نجد فيما

---

[1] يُنظر، أفايه، محمد نور الدين: **الغرب المتخيل، صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط**، مرجع سابق، ص60-62.

[2] **سورة المائدة**، آية 82.

[3] الواقدي: **المغازي**، ج1، ص215.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص518.

وصل إلينا من شعرهم هجاءً صريحًا للرسول (▫) فربما (ضاع مع غيره)[1]، مع أنهم كانوا ضدًا عليه وأعداءً له ولدعوته الشريفة، وبرغم علم أحبارهم كثيرًا عن الأمم السابقة من الكتب السماوية، إلا أنهم ظلوا على موقفهم العدائي مع الرسول (▫) والإسلام إلى يومنا هذا.

ج- عند المنافقين:

كانت الفئة الثالثة المعادية للرسول (▫) فئة المنافقين، حيث إنها لم تشكل زمن نبوته مجموعة مستقلة. ولم يكن هناك اتفاق بعد على تحديد هوية المنافقين. وقد جاء النص القرآني ليكشفهم أمام الملأ، ويُظهر خطر هذه الفئة المحيط بالإسلام والمسلمين، وجاءت سورة المنافقين كاملة في القرآن الكريم تتحدث عنهم، وتُحذر من الوثوق بهم، وكان زعيم المنافقين آنذاك يُدعى عبد الله ابن أبي بن سلول الأزدي[2]. وتجمع المصادر وكتب التاريخ على أنه لم يدخل في دين محمد عن اقتناع، بل مجاراة لقومه[3]، ومما يجب التنبيه إليه هنا ومن خلال الوقوف على أشعار الذين عادوا الإسلام والرسول (▫)، لم نعثر على أي شعر ورد على لسان أحد من هؤلاء المنافقين، وهذا طبيعي؛ حيث أن المنافق بطبعه يبطن الكفر والعداوة ويظهر الإسلام،وبهذا يخادع الناس .وكثير منهم كان على زمن الرسول (▫) ممن اتّبع هذا النهج حتى كشفه الله ورسوله للملأ. وقد يكون هناك سبب آخر هو أن الرسول والصحابة كانوا يتحرجون من ذكر أسماء هؤلاء ؛ذلك أن أبناءهم وأقرباءهم دخلوا في الإسلام عن رضا وقناعة، وأراد الرسول (▫) أن يمهلهم لعل الله يُزيل ما بِهم من أضغان ويشفي صدورهم، وهذا ما حصل مع عبد الله الابن لعبد الله بن أُبيّ عندما أراد عمر بن الخطاب أن يضرب عنق الأب ويقتله،أبى الرسول وقال "إني أكره أن يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه"[4]. لأن هذا الرجل كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر والعداوة

---

[1] مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، مرجع سابق، ص167.

[2] عبد الله بن أبي بن سلول: من قبيلة الخزرج القحطانية من أهل يثرب، كان يلقب بكبير المنافقين، وقيل إنه كان على وشك أن يكون سيد المدينة قبل أن يصلها الرسول (▫)، وقد أرَّخ له المسلمون الكثير من المواقف المعادية للإسلام ولما تُوفي جاء ابنه عبد الله إلى الرسول ليعطيه قميصه يكفن به. يُنظر: ابن كثير،أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ج2 ،2002م، ص193-194.

[3] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة** ، مرجع سابق، ص121.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج3، ص248.

للرسول والمسلمين .ولّما علم الابن طلب من الرسول أن يقتل والده لإستهزائه بالرسول وقوله "ليخرجن الأعز منها الأذل" ويقصد بذلك الرسول (ﷺ) عند عودته للمدينة. لكن الرسول صبر وتحّمل الأذى في سبيل الدعوة. فانظر لهذا الابن وكيف منعه الرسول من قتْل والده المنافق واحتمل ذلك. فأي صورة رآها عبد الله الابن لهذا الرسول العظيم. لقد علِم عبد الله بِصنيع والده واحتمال النبي وصبره عليه حتى يأخذ كل مسلم صورة وأنموذجًا حيًا للقائد الذي جمع الأمة بحكمته ومكارم خلقه من عفو وتسامح وحلم.

ولم يقتصر أذى المنافقين على شخصية الرسول (ﷺ)، بل امتدّ إلى زوجاته ، وكانت حادثة الإفك سبباً للنيل من الرسول (ﷺ)، كما كان زواجه من السيدة زينب بنت جحش، التي كانت تحت دِعيِّه زيد بن حارثة سببًا في نشر الإشاعات المغرضة بالرسول(ﷺ)، وكيف أنه نكح زوجة ابنه، ولكن القرآن العظيم جاء ليدحض كلام هذه الفئة فنزل قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1]، وكان استهزاء المنافقين في كل وقت وحين، فهم يتحينون الفرصة للتشكيك في صدق نبوته (ﷺ)، ولما ضلّت ناقة رسول الله (ﷺ) قالوا يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يعرف أين ناقته؟[2]. لقد آذى المنافقون محمدا (ﷺ) إنساناً ونبيًا، ولم يشاركوا في تأسيس دينه، وفي جانبه السياسي لم يشاركوا في الأنشطة الحربية ولا الإنفاق على شوؤن المسلمين العامة، وفي زمن واقعة تبوك حاول المنافقون بناء مسجد خاص بهم وقد عُرف في الكتب والمصادر بمسجد الضرار[3] قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] وأدت هزيمة المسلمين في أحد الى تنامي ظاهرة النفاق واستغلوها لعدم المشاركة مع الرسول وأصحابه في الحروب، بالإضافة إلى دعوتهم إلى خذلان الرسول والتفرق عنه[5]. وبعد تراجع عبدالله بن أبي بن سلول عن ذهابه إلى غزوة تبوك لم يعد له النفوذ والسيطرة التي كان عليها من

---

[1] **سورة الأحزاب**، آية 40.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص125.

[3] كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، مرجع سابق، ص135.

[4] **سورة التوبة**، آية 107.

[5] الواقدي: **كتاب المغازي**، ج1، ص229.

قبل. وتظهر حكمة الرسول (ﷺ) في قوله لعمر بن الخطاب كيف ترى ياعمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لأرعدت له أنوف لو أرادته اليوم لقتلته؟[1] وهذا يدل على صبر الرسول وحكمته وحرصه على نشر الدين الإسلامي، ولهذا لما ما ت هذا المنافق وقف الرسول على قبره وصلى عليه وأعطى قميصه أهله يكفن به[2]. حتى نزلت آيات الرحمن بعدم ذلك بعد الاستغفار أو الصلاة عليهم قال تعالى: ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠ ﴾[3].

إن ما يمكن قوله بعد هذا العداء للرسول من المنافقين يكشف صورة الرسول (ﷺ)، الذي وادعهم بكثير من التسامح والصبر وغض الطرف عن ممارساتهم، لكن في النهاية جاء القرآن بتحريم الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم؛ لما تمثله هذه الحركة من الخطر الكبير على الدين والشريعة الإسلامية.

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص248.

[2] يُنظر: كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ص132.

[3] **سورة التوبة**، آيه 80.

الفصل الثالث

أثر التشكيل الفني في صورة الرسول (▫)

أولاً: اللغة والأسلوب.

ثانياً: المحسِّنات البديعية.

ثالثاً: الصورة الفنية.

المبحث الأول

اللغة والأسلوب

- اللغة:

اللغة هي الأداة التي يتواصل بها الشاعر مع الآخرين عن طريق الألفاظ والمعاني، واللفظ جسم وروحه المعنى، فلا تقوى الروح دون الجسد، ولا يقوى الجسد دون روح[1]. فكل موضوع تناسبه ألفاظ محددة تأتي بدورها على بيان المعنى وتوضيحه، وإذا سلم المعنى واختلَّ بعض اللفظ كان نقصًا للشعر وهجنةً عليه، وكذلك إن ضَعُف المعنى واختلّ بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ[2].

والشاعر في صدر الإسلام لابدَّ أن تتأثر لغته بعناصر متعددة منها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والظروف والبيئة التي تحيط به، لكن من يتأمل ويدرس شعر تلك الفترة من الزمن؛ يجد ملائمةً بين الألفاظ والمعاني، فالألفاظ كما تحدثّ عنها ابن الأثير " تُقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منها موضع يحسن استعماله فيه، فالجزلة تستعمل في مواقف الحرب وقوارع التهديد والخوف، أما الرقيق منها يُستعمل في وصف الأشواق وذكر أيام الصبا واستجلاب المودات"[3]. فمثلًا لقصيدة الرثاء وقع كبير على النفس الإنسانية، لهذا نجد الشاعر يتخير الألفاظ والمعاني التي تُعبِّر عن الحدث، وعن مشاعره دون أي مبالغة أو رياء في ذلك. فهذا علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – يرثى الرسول (ﷺ) فيقول[4]:

(الطويل)

فَـوَ اللهِ لاَ أَنْسَـاكَ أَحْمَـدَ مَـا مَشَـتْ بِـي الْعِيسُ فَـي أَرْضٍ وَجَـاوَزْتَ وَادِيَـا[5]

وَكُنْـتُ مَتَـى أَهْـبِطِ الْأَرْضَ تِلْعَـةً أَجِـدْ أَثَـرًا مِنْـهُ جَدِيـدًا وَعَافِيَـا[6]

---

[1] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر** ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ج1، 1981، ص124.

[2] القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، ج 1، مصدر سابق، ص124.

[3] ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح:** محمد محيي الدين عبد الحميد، ج1، ص186.

[4] علي بن أبي طالب: **الديوان**، ص107.

[5] العيس: الإبل البيض التي يخالط بياضها شيء من الشقرة.

[6] تلعة: ماارتفع من الأرض وأشرف.

عبَّر علي عن أثر غياب صورة الرسول وفقده بألفاظ جزلة قوية، لكنها مألوفة وسهلة،يظهر من معانيها البكاء والتحسر على غيابه، فاختياره الألفاظ (لا أنساك، وجاوزت وادياً) تُبرز مقدار الحزن الذي ألمَّ به لفراق المصطفى،لكنه مهما ابتعد سيجد له أثرًا في كل مكان يذكره به.

أما ألفاظ المديح تكون قوية معبرة، والمديح كما قال الرافعي "المديح في فطرة الإنسان"[1] فمنه ما كان يصدر عن عاطفة صادقة قوية[2]، والآخر الذي يبتغي الشاعر من ورائه التكسب والعيش الرغيد، لكننا نجد أن شعراء صدر الإسلام مدحوا الرسول (ﷺ) بعد أن دخلوا في الإسلام وتذوقوا حلاوته، لهذا نجد أشعار الكثيرين قد صُبغت بطابع إسلامي. ونرى العباس بن مرداس[3] يمتدح الرسول (ﷺ) ويؤكد على صفته (المبارك) بقوله[4]:

(الطويل)

وَوَجَّهْتُ وَجْهِي نَحْوَ مَكَّةَ قَاصِدًا وَتَابَعْتُ بَيْنَ الأَخْشَبَينِ الْمُبَارَكَا[5]

هذا المديح يمثل جانباً عقائدياً، جاء به الإسلام ليهذب النفوس، وكان لا بد للشعراء من أن يتأثروا ويتغيروا تبعًا لذلك بما يتناسب والرسالة الجديدة للشعر من حيث المعاني والأغراض، ومما يلاحظ على البيت السابق تصديره بمفردات دينية (وجهت وجهي) وهي من دعاء الاستفتاح فيما ورد عن الرسول (ﷺ) قوله "وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ...."[6] وقد يكون الشاعر تأثَّر بالآية القرآنية "إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين"[7].

---

[1] الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**، ط 2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2009م، ص72.

[2] النخال، منال سليم سالم: **الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري**، ص78.

[3] هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم، شاعر وفارس من زعماء قومه، أدرك الإسلام وأمه الخنساء الشاعرة، (ت: 18هـ). يُنظر: الزركلي: **الأعلام**، مصدر سابق، ج 3، ص267.

[4] العباس بن مرداس: **الديوان**، تح يحيى الجبوري، ط 1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1991 م، ص20.

[5] الأخشبين: جبلا مكة يحيطان بها.

[6] **صحيح مسلم**: ص771.

[7] **سورة الأنعام**: آية 79.

وفي البيت الشعري بُعد ديني آخر حين وصف الرسول (ﷺ) بِ " المبارك "، وجاءت ألفاظه سهلة مناسبة مع الغرض الذي وضعت لأجله.

وفي الفخر تبدو الألفاظ مرَّة أخرى قويَّة معبرَّة كما هي في المديح تماماً وربما تكون عبارة عن مقطوعات قصيرة كما جاء على لسان علي بن أبي طالب[1]:

(الوافر)

مُحَمَّــدُ النَّبِــيُّ أَخِــي وَصِــهْرِي وَحَمْــزَةُ سَــيِّدُ الشُّــهَداءِ عَمّــي
وَبِنْــتُ مُحَمَّــدٍ سَــكَنِي وَعِرْسِــي مُشــوَّبٌ لَحْمهَــا بِــدَمِي وَلَحْمِــي

فلهذه المقطوعة أثرٌ كبير في النفس؛ لأنها كما يقول العسكري "إلى الحفظ أسرع، وبالألسن أعلق، وللمعاني أجمع، وصاحبها أبلغَ وأوجز"[2]، وقد بدأها علي – رضي الله عنه – بلفظة (محمد) عليه أفضل الصلاة والسلام، وافتتاحه بها كان حسنًا بديعًا، ويكون بذلك مدعاة للاستماع لما يأتي من كلام بعدها ...

وحسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ... فإن الشعر قُفل أوله مفتاحه[3].

وفي الاعتذاريات تبدو الألفاظ أكثر رقة و استعطافًا ولينًا من الأغراض الشعرية الأخرى، ففي الوقت الذي يحاول فيه الشاعر أن يبقى بمنأى عن التهمة ومما اقترفت يداه ولسانه، يحاول من خلال ألفاظه الوصول إلى العفو والنجاة، وهذا ما حصل مع أنس بن زنيم الذي أهدر الرسول (ﷺ) دمه، فجاء إليه معتذرًا تائبًا معلنًا إسلامه في قصيدة اعتذارية مطولة منها هذه الأبيات[4]:

(الطويل)

أَأَنْــتَ الَّــذِي تُهْــدَى مَعَــدٌّ بِــأَمْرِهِ بَــل اللهُ يَهْــدِيهم وَقَــالَ لَــكَ اشْــهَدِ

---

[1] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص188.

[2] ينظر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين**، تح: علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952، ص174.

[3] يُنظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، ج 1، ص217–219.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 2، ص 424. وابن حجر العسقلاني: **الإصابة في تمييز الصحابة**، مج 3، ص4–5. والواقدي: **المغازي**، ج 2، ص790–791.

فَمَـا حَمَلَـتْ مِـنْ نَاقَـةٍ فَـوْقَ رَحْلِهَـا أَبَـرَّ وَأَوْفَـى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَمَّـدِ
أَحَـثَّ عَلَـى خَيْـرٍ وَأَسْـبَغ نَـائِلًا إِذَا رَاحَ كَالسَّـيفِ الصَّـقِيلِ الْمُهَنَّـدِ

إذًا لقد أعلن توبتَه أنسٌ، وجاءت ألفاظه فصيحة سليمة، فيها أرجع الهداية إلى الله، وهذا دليل على ضعفه وانكساره أمام الرسول (ﷺ)، وامتدح الرسول (ﷺ) بصفات البر والوفاء بالعهد والكرم، ونقل صورة عظيمة للرسول (ﷺ) من خلال عرضه لهذه الصفات. لكن الأمر يختلف مع ألفاظ الهجاء التي تبدو أكثر شدَّة وإيلامًا، والغرض منها التشهير بالمهجو وإحداث أكبر ألم في نفسه، وقد عرفنا موقف الرسول (ﷺ) من الهجاء، وكيف تعامل مع الشعراء المشركين ممن نالوا من أعراض المسلمين، وألّبوا عليه وعلى أصحابه.

ولم يتوانَ في ردعهم ومعاقبة كل من تسول له نفسه بذلك، ورأينا عصماء بنت مروان كيف حرضت عليه (ﷺ) وعلى الإسلام بقولها[1]:

(المتقارب)
فَبَاسَـتْ بَنِـي مَالِـكٍ وَالنَّبِيـت وَعَـوْفٍ وَبَاسَـتْ بَنِـي الْخَـزْرَجِ
أَطَعْـتُمُ أَتَـاوِىَ مِـنْ غَيْـرِكُمْ فَـلاَ مِـنْ مُـرَادٍ وَلاَ مُـذْحِجِ
تَرَجّونَـهُ بَعْـدَ قَتْـلِ الـرُّؤوسِ كَمَـا يُرْتَجَـى مَـرَقِ الْمُنْضِـجِ

استخدمت هذه الشاعرة الألفاظ التي تُثير الفتنة على الإسلام والمسلمين، ومنها مفردة (أتاوى) بمعنى الغريب، كان مصيرها أن أمرَ الرسول (ﷺ) بقتلها حتى تكون عبرةً لمن حاول أن يسير على خطاها[2].

نلاحظ أن اللغة الشعرية المستخدمة في الأشعار السابقة اختلفت ألفاظها تبعًا للموضوع الذي ظهرت فيه، وقد تراوحت هذه الألفاظ بين السهلة والجزلة القوية والمؤثرة وقد أحسن شعراء صدر الإسلام في ملائمتهم الألفاظ والمعاني مع الأغراض الشعرية التي تناولت صورته (ﷺ).

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 4، ص151. والواقدي: **المغازي**، مصدر سابق، ج 1، ص172.

[2] يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني الدمشقي، (661–728هـ): **الصارم المسلول على شَاتِم الرسول**، بيروت، لبنان، 1978م، ص95.

الأسلوب: ن يستعمل الشاعر أو الأديب استعمالًا لُغويًّا خاصًا يقوم على مجموعة من الاختيارات والبدائل بهدف التأثير على القارىء أو السامع وجعله أكثر عرضه لتقبل النص الأدبي[1].

لذلك نجد لكل كاتب أو شاعر أسلوبه الخاص الذي يمتاز به عن غيره ؛ بالاعتماد على اللغة بحروفها وكلماتها وعلاقاتها واستخدامها للحقيقة أو المجاز، ويرى ابن سنان أن الأسلوب يقوم إذا توفرت فيه ركيزتان هما: الجمع بين الفصاحة والبيان[2]، وقد استخدم الشعراء في صدر الإسلام أساليب متنوعة منها:

1- **أسلوب القسم:** القسم أسلوب يراد به تأكيد المعنى باستخدام ألفاظ دالة على القسم أو اليمين، ومنها لفظ الجلالة (تالله، والله)[3] كما جاء على لسان أبي طالب[4]:

(الكامل)

وَاللهِ لَــنْ يَصِــلُوا إِلَيْــكَ بِجَمْعِهِــم حَتَّــى أُوَسَّــد فِــي التُّــرَابِ دَفِينَــا

يُقسم أبو طالب عن طريق استخدام لفظ الجلالة (الله) عدم مقدرة الكفار من قريش وأعداء الرسول بالوصول إليه، ما دام على قيد الحياة، ويستخدم الواو أداة القسم ويتبعها بجملة النفي (لن يصلوا) حتى يُزيل أي شك في ذهن السامع حول مقدرتهم على الوصول إلى الرسول (▫).

وحسان إِذْ يمتدح الرسول (▫) يستخدم لفظ الجلالة (تالله) فيقول[5]:

(البسيط)

تَـاللهِ مَـا حَمَلَـتْ أُنْثَـى وَلاَ وَضَـعَتْ مِثْـلَ الرَّسُـولِ نَبِـيّ الْأُمَّـةِ الْهَـادِي

---

[1] يُنظر: الشايب، أحمد: **الأسلوب**، ط6، القاهرة، مصر،المكتبة العصرية، 1996م، ص44.

[2] يُنظر: الخفاجي، ابن سنان (ت: 466هـ): **سر الفصاحة**، تح عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مكتبة علي صبيح، 1968، ص51.

[3] لاشين، عبد الفتاح: **المعاني في ضوء أساليب القرآن**، مصر، دار المعارف، 1976، ص138.

[4] التنوجي، محمد: **أبو طالب عم النبي** (▫)، ص 73.

[5] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص99.

يُعبر الشاعر باستخدامه القسم في البيت السابق عن عاطفة صادقة قوية تجاه ممدوحه الرسول (▫)، وكان استخدام الطباق (حملت، وضعت) مع القسم عاملاً مساعداً على تحقيق الغرض وهو مدح الرسول وإظهار صفاته نبي الأمة الهادي.

2- أسلوب النِّداء: النِّداء هو الأسلوب الذي يُطلب فيه انتباه المخاطب والتفاته عن طريق ذكر اسمه أو صفته بعد حرف من أحرف النداء[1]. وقد وظف الشعراء في صدر الإسلام النِّداء في مواطن مختلفة من أشعارهم.

وقد يرد النداء في المديح كما هو عند زهير الجشمي في قوله[2]:

(البسيط)

يَـا خَيْـرَ مَـنْ مَرَحـتْ كُمْـدُ الْجِيَـادِ بِـهِ عِنْـدَ الْهِيَـاجِ إِذَا مَـا اسْـتَوْقَدَ الشَّـرَرُ

فقد خرج معنى النداء إلى الإختصاص، وأحسن الشاعر باستعماله حرف النداء (يا) مع اسم التفضيل (خير)، وأراد الشاعر بمدحه شجاعة الرسول (▫) عن طريق توظيف النداء هنا علو منزلته ومكانته بين البشر. وكما استخدم النداء سابقًا في المديح، وقد استخدمت صفية بنت المطلب أسلوب النِّداء في رثاء الرسول فقالت[3]:

(الطويل)

أَلاَ يـــاَ رسُـــولَ اللهِ كُنْـــتَ رَجَاءَنَـــا وَكُنْـــتَ بِنَـــا بَـــرًّا وَلَـــمْ تَـــكُ جَافِيًـــا

وَكُنْـــتَ رَحِيْمًـــا هَادِيًـــا وَمُعَلِّمًـــا لِيبـكِ عليـك اليـوم مـن كـان باكِيـا

أدىّ أسلوب النِّداء وظيفة نفسية كانت بمثابة زفرة ألم وحزن على غياب الرسول (▫)، وقد كان الغرض واضحًا من النداء وهو التحسر على هذا الفقيد وذكر صِفاته وتعدادها.

---

[1] سيبويه، عمرو بن عثمان (180هـ): **الكتاب**، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1966، ص325

[2] الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد: **معرفة الصحابة**، ج3، 1988، ص222

[3] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص248. ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، مرجع سابق، ص94.

3- **أسلوب الأمر:** الأمر هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء، وقد يحمل الأمر كثيراً من المعاني المجازية، منها الدعاء والاباحة والتهديد والتعجيز[1].

ورد كثيرٌ من صيغ الأمر في الأشعار السابقة، واختلفت المعاني التي خرج إليها الأمر، وتعددت الصيغ التي ظهر فيها، فمثلًا جاء الأمر (قوموا) في بيت حسان بن ثابت[2]:

(الوافر)

شَـــهِدْتُ بِـــهِ فَقُومُـــوا صَـــدِّقُوهُ فَقُلْـــــتُم لاَ نَقُـــــومُ وَلاَ نَشَـــــاءُ

يحمل معنى الحقيقة، أراد بذلك تأكيد صدق بعثة الرسول (ﷺ)، وأنه الصادق المرسل من رب العالمين، وهو يدعو قومه لأن يصدقوا دعوته ويؤمنوا بها، لكن ردهم جاء في الشطر الثاني بالرفض مطلقًا.

وللأمر عند كعب بن مالك في الرثاء معنىً آخر يقول[3]:

(المتقارب)

يَـــا عَـــيْنُ فَـــابْكِي بِـــدَمْعٍ ذَرَى لِخَيْـــرِ البَرِيَّـــةِ وَالْمُصْـــطَفَى[4]
وَبْكِـــي الرَّسُـــولَ وَحَـــقَّ الْبُكَـــا عَلَيْـــهِ لَـــدَى الْحَـــرْبِ عِنْـــدَ اللِقَـــا

استخدم كعب فعل الأمر (فابكي) مرتين، مرةً في البيت الأول وأخرى في البيت الثاني، وقد خرج معنى الأمر إلى الندب والبكاء على رسول الله (ﷺ)، وأفاد من تكرار فعل الأمر حقيقة غياب الرسول وفاجعة المسلمين به.

4- **أسلوب النهي:** هو خلاف الأمر تحديدًا، وقد ذكره السيوطي بقوله "هو من أنواع الإنشاء، وهو طلب الكف عن الفعل تحريمًا أو كراهةً على وجه الاستعلاء"[5] وتتعدد صيغ النهي فمنها: الدعاء

---

[1] السيوطي، عبد الرحمن (911هـ): **شرح عقود الجمان**، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1953، ص55.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص6.

[3] كعب بن مالك: **الديوان**، ص111.

[4] ذرى: انصبَّ بغزارة.

[5] السيوطي، عبد الرحمن (ت: 911هـ): **شرح عقود الجمان**، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1953م، ص56.

والتمني والنصح والإرشاد وغيرها، وقد جاء على لسان أبي بكر الصديق عندما كان مع رسول الله (▫) في الغار قوله[1]:

(البسيط)

قَــالَ النَّبِــيُّ وَلَــمْ أَجْــزَعْ يُــوَقّرِني وَنَحنُ فِـي سُـدْفَةٍ مِـنْ ظُلْمَـةِ الْغَارِ[2]
لاَ تَخْــشَ شَــيْئًا (فَــإِنَّ اللهَ ثَالِثُنَــا) وَقَــدْ تَوَكَّلْنَــا مِنْــهُ بِإِظْهَــارِ

أفاد النهي معنى النصح والارشاد، والرسول (▫) يوجه أبا بكر الصديق إلى الصبر وعدم الخوف وهم في الغار يختبئون من قريش، ويُعزز حديثه لأبي بكر، قوله: (فإن الله ثالثنا) فَلِم الخوف والجزع، وهو سبحانه متوكلٌ بحفظهم وحمايتهم.

وكذلك كان للاعتذاريات نصيب في استخدام النهي وتوظيفه من خلال قول كعب بن زهير[3]:

(البسيط)

لاَ تأَخُــذَنِّي بِــأَقَوَالِ الوُشَــاةِ وَلَــمْ أُذْنِــبْ وَلَــو كَثُــرَتْ عَنِّــي الأَقَاوِيــل

هذا النهي في قول كعب (لاَ تَأْخُذَنِّي) أفاد الطلب، به يطلب كعب بن زهير من الرسول (▫) بعدم لومه وعقابه، وقد وشى الوشاةُ به من قبل للرسول (▫)، ويبدو كعب مدافعاً عن نفسه في الشطر الثاني ومستعطفاً الرسول بالعفو عنه.

5- **أسلوب الاستفهام:** هذا الأسلوب هو أحد الأساليب الإنشائية الطلبية، ويُراد به طلب العلم عن شيء لم يكن معلوماً من قبل، وأدواته منها الهمزة وهل، وهناك أسماء الاستفهام منها: "من، أين، كيف، متى ....."[4]، والاستفهام كما في الأمر والنهي يخرج إلى أغراض منها: التعجب و الوعيد والتحقير والإنكار وغيرها، وقد ورد الاستفهام في أغراض الشعر في صدر الاسلام عند شعراء مثل حسان بن ثابت في قوله[5]:

---

[1] ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج 3، ص183. وأبو بكر الصديق: **الديوان**، ص53، ص54.

[2] سدفة: ظلمة الليل وسواده.

[3] كعب بن زهير: **الديوان**، مصدر سابق، ص20.

[4] القزويني، محمد بن عبد الرحمن (ت: 739هـ): **الإيضاح**، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، 1996م، ص81.

[5] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص88.

(الطويل)

وَهَـلْ يَسْـتَوِي ضُـلّالُ قَـوْمٍ تَسَـفَّهُوا عَمَـــىً وَهُـــدَاةٌ يَهْتَّـــدُونَ بِمُهْتَـــدِ

يستفهم حسان بأداة الاستفهام (هل) التي تُفيد الإنكار، إذ لا يُعقل أن يكون من هم في ضلالة وغيّ من أمرهم بمنزلة من اهتدى وسار على درب النبي محمد (ﷺ) المهتدي، وساعده على تحقيق غرض الاستفهام الحالة في الشطر الثاني المقابلة لحالة من هم في ضلال في شطر البيت الأول. ونرى حسان بن ثابت يستخدم الاستفهام بالهمزة وذلك في قوله[1]:

(الوافر)

أَتَهْجُـــوهُ وَلَسْـــتَ لَـــهُ بِكُـــفْءٍ فَشَـــرّكُمَا لِخَيْرِكُمَـــا الْفِـــدَاءُ

لقد خرجَ الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر يُفيد التحقير، وهذا ما أراده حسان بن ثابت عند هجاء أبي سفيان للرسول (ﷺ)؛ أن يضعه في المكانة التي يستحقها، فأين هو من رسول الله (ﷺ)؟ وساعده اختياره لمفردة (كفء)، حيث وضحت المعنى البلاغي الذي أراده.

6- **أسلوب الشرط:** استخدم شعراءُ صدر الإسلام هذا الأسلوب قديمًا، حتى إن الباحثة وقفت على بعض الأشعار قبل الإسلام ممن وظف الشعراء فيها أسلوب الشرط، وقد عبَّر هبيرة بن أبي وهب المخزومي عن حكمةِ الرسول (ﷺ) ورجاحةِ عقله عندما اختلفوا في حادثة الحجر الأسود فقال[2]:

(الطويل)

فَلَمَّـا رَأَيْنَـا الْأَمْـرَ قَـدْ جَـدَّ جِـدَهُ وَلَـمْ يَبْـقَ شَـيءٌ غَيـر سَـلِّ الْمُهَنَّـد
رَضِـينَا وَقُلْنَـا الْعَـدْلُ أَوّلُ طَـالِعٍ يَجِـيءُ مِـنَ الْبَطْحَـاءِ مِـنْ غَيْـرِ مَوْعِـد

يشير الشاعر إلى اختلافهم في وضع الحجر الأسود مكانه، وقد تخالفوا واستعدوا للقتال، ولكنه وظف أسلوب الشرط (فعل الشرط والأداة لماّ رأينا) في البيت الأول وجاء بجوابه في بداية البيت الثاني (رضينا)، وقد نجح الشاعر في هذا التوظيف فجاء بالجواب بعد طول انتظار، وهكذا

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص7-8. **وصحيح البخاري**، ج2، ص395-396. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ص153.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ص197. وينظر الفصل الأول من الدراسة، ص16.

كانت صورة الرسول (▫)، الحكيم ذو الرأي السديد بعد أن طلع عليهم وحقن الدماء من أن تُراق. ويأتي الشرط في موضع آخر على لسان أبي طالب عم النبي (▫) بعد رحلته إلى الشام، ورؤية الراهب بحيرا للرسول (▫) وهو طفل صغير، فيصف الحادثة ويقول[1]:

(الطويل)

فَلَمَّـا هَبَطْنَـا أَرْضَ بُصْـرَى تَشَـوَّفُوا لَنَـــا فَـــوْقَ دُوْرٍ يَنْظُـــرُونَ عِظَـــام
فَجَـــاءَ بَحِيـــرَا عِنْـــدَ ذَلِـــكَ حَاشِـــدًا لَنَـــا بِشَـــرَابٍ طَيِّـــبٍ وَطَعَـــام

وظف الشاعر أسلوب الشرط في البيت الأول (لمَّا هَبطنا) وجاء بالجواب في قوله (تَشَوَّفُوا) ليؤكد على أهمية الحدث من رؤية بحيرا للرسول (▫) وتوسمه فيه ملامح النبوة.

وفي القصيدة نفسها يستخدم الشاعر الشرط مرةً أخرى فيقول[2]:

(الطويل)

فَلَـوْلَا الَّـذِي خَبَّرْتُمُـو عَـنْ مُحَمَّـدٍ لَكُنْـــتُمْ لَـــدَيْنَا الْيَـــوْمَ غَيْـــرَ كِـــرَام

يتحدث أبو طالب على لسان بحيرا الراهب ويقول مستخدمًا الشرط: لولا ما عرفتم وخبرتم عن محمد لكنتم لدينا (أي عند بحيرا) لا تنعمون بُحسن الكرم والضيافة، فكل ذلك لأجل هذا الغلام المبارك.

وقد أحسن الشاعر باستخدام أداة الشرط (لولا) وجاء الجواب مُقترنًا باللام في الشطر الثاني (لكنتم) مُعبرًا عن أهمية نبوءة بحيرا وما عرفه من أمر الغلام.

7- أسلوب التكرار: التكرار ظاهرة واضحة في شعر صدر الإسلام استعان بها الشاعر على نقل مشاعره والتعبير عن آرائه، وله مواضع يحسن فيها ومواضع لا يَحْسُن فيها، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرّر اللفظ والمعنى جميعًا فهذا

---

[1] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي** (▫)، مصدر سابق، ص88. والسهيلي: **الروض الأنف**، ج1، ص208، ويُنظر الفصل الأول من الدراسة، ص25.

[2] المصدر السابق.

هو الخذلان بعينه[1] أمّا إذا تمكن الشاعر من توظيفه فنياً في مكانه المناسب في القصيدة ؛ أضفى على الشعر جمالاً بما يُضفيه على الموسيقى من جرسٍ جذاب يُحرك مشاعر القارىء والسامع ويُثيرها؛ لأنه يُساهم في تجلية الأفكار وتوضيحها، ورسم صورة جمالية تُعبر عن قدرة الشاعر وإبداعه[2].

وكان شعراء صدر الإسلام قد أفادوا من التكرار في قصائدهم، وراوحوا في تكرار الألفاظ والمفردات والأساليب، فكان التكرار بالفعل كما جاء في قول عبد الله بن رواحة[3]:

(الرجز)

خَلُّــوا بَنِــي الْكُفَّــارِ عَــنْ سَــبِيلِهِ خَلُّــوا فَكُــل الْخَيْــرِ فِــي رَسُــولِهِ

جاء التكرار من خلال فعل الأمر (خلُّوا) وعبد الله بن رواحة آخذ بزمام ناقة الرسول (▫)، ويُوبخ الكفار والمشركين، ويأمرهم بالابتعاد عن طريق الرسول (▫)، وقد أفاد معنى التكرار التوبيخ لهم . وأما زهير الجشمي فيُكرر الفعل هو الآخر ليستعطف بِذلك الرسول (▫) ويقول[4]:

(البسيط)

امْــنُنْ عَلَيْنَــا رَسُــول الله فِــي كَــرَمٍ فَإِنَّــكَ الْمَــرْءُ نَرْجُــوهُ وَنَنْتَظِــرُ
امْــنُنْ عَلَــى بَيْضَــةٍ قَــدْ عَافَهَــا قَــدَرٌ مُشَــتَّتٌ شَــمْلُهَا فِــي دَهْرِهَــا عِبَــرُ
امْــنُنْ عَلَــى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا إِذْ فُــوكَ عَــلَاهُ مِــنْ مَحْضِــهَا الــدِّرَرُ[5]

جاء التكرار (تكرار الصدارة أو الأنافورا) في فعل الأمر (امنن) مع حرف الجر(على) ثلاث مرات؛ ليؤكد الشاعر على الغرض الذي أتى لأجله؛ وهو العفو من الرسول (▫) ويستعطف الرسول (▫) عن طريق صيغة الأمر الحقيقي، ويُدلل على صدقه في كلامه.

---

[1] ابن رشيق القيرواني :**العمدة في صناعة الشعر ونقده**،ج1، ص 25.

[2] يُنظر، النخال، منال سليم سالم: **الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري، أغراضه، ظواهره، اتجاهاته، قضاياه**، مرجع سابق، ص399.

[3] عبد الله بن رواحه: **الديوان**، مصدر سابق، ص101، ص 102، وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4،ص13.

[4] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، مرجع سابق، ج14، ص229.

[5] الدِّرر: مفردها الدِّرة وهي اللبن أو كثرة اللبن.

ويكرر حسان بن ثابت – رضي الله عنه – الفعل (يَغدر) في أثناء هجائه الحارث بن عوف فيقول[1]:

(الكامل)

يَـا حَـارِ مَـنْ يَغْـدِرْ بِذِمَّـةِ قَوْمِـهِ فَـــإِنَّ مُحَمَّـــدًا لَـــمْ يَغْـــدِر[2]

أسهمَ تكرار الفعل المضارع (يغْدر) مرتين في صدر البيت وعجزه؛ في إظهار صورة المشركين السلبية – أصحاب النوايا المبطنة والغادرة – وفي إظهار وفاء الرسول (ﷺ) وحفظه للعهود والمواثيق.

ونجد الشعراء قد كرروا الأسماء كما فعل العباس بن مرداس[3]:

(الوافر)

فَهُنَـــاكَ إِذْ نُصِـــرَ النَّبِـــيّ بِألفنَـــا عَقَـــدَ النَّبِـــيُّ لَنَـــا لِـــوَاءً يَلْمَـــعُ
وَغَـدَاةَ نَحْـنُ مَـعَ النَّبِـيِّ جَنَاحُـهُ بِبِطَـــاحِ مَكَـــةَ وَالْقَنَـــا يَتَهَـــزَّعُ

كرر الشاعر اسم (النبي) ثلاث مرات، وقد أسهم هذا التكرار في جذب انتباه السامع وتشويقه لمعرفة الأحداث التي عاشها المسلمون والرسول (ﷺ) ببطاح مكة إبَّان الفتح، غزوة حنين.

كما جاء تكرار اسم التفضيل على لسان أبي بكر الصديق في قوله[4]:

(الطويل)

مُحَمَّـــدُ الْمُخْتَـــارُ أَكْـــرَمُ مُرْسَـــلٍ وَأَصْـــدَقُ مَبْعُـــوثٍ لِأَكْـــرَمِ بَاعِـــثِ

الشاعر كررَّ اسم التفضيل (أكرم) مرتين ليؤكد على صفات الرسول (ﷺ) الصادق المرسل من رب العالمين، وهذا مايُسمى بالترديد وهو نوع من أنواع التكرار؛ واختلف المضاف إليه

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص210، ص211.

[2] ياحارِ: منادى مُرخم حُذفت آخره للتخفيف الأصل (يا حارث).

[3] العباس بن مرداس: **الديوان**، مصدر سابق، ص 74، وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص104.

[4] أبو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص47.

في كليهما، فالكلمة الأولى للرسول، والثانية لله تعالى، وقد جاء الشاعر به طبيعيًا لا تكلّف به أوتصنع، حيث لا يجوز للشاعر أن يُكرر إلا لأغراض محدودة وضّحها القيراوني بقوله "لا يجوز أن يكرر الشاعر إلا للتشويق أو التنويه أو التفخيم أو التوبيخ والإنذار والوعيد"[1]. وكان تكرار الحروف بارزًا في أشعار شعراء تلك الفترة ومنهم عاتكة بنت المطلب بقولها[2]:

(الكامل)

يَـاعَيْنُ جُـودِي مَـا بَقِيـتِ بِعَبْـرَةٍ سَـحًّا عَلَـى خَيْـرِ الْبَرِيَّـةِ أَحْمَـدِ[3]
يـاَعَيْنُ فَـاحْتَفِلِي وَسِـحِّي وَاسْـجُمِي وابكِـي علـى خيـرِ الْـبِلادِ مُحَمَّـدِ

أسهم تكرار حرف النداء (يا) مع المنادى (عين) مرتين، في التعبير عن الصورة التي خلفها الرسول (▫) برحيله وغيابه، وأفاد هذا التكرار التوجع والتحسر، والاستعانة بالدموع للتعبير عن هذا المصاب الجلل. وكانَ لِتكرار الحرف (أنَّ) عند كعب بن مالك، وقع خاص على النفس في قوله[4]:

(الطويل)

شَـــهِدتُ بِـــأنَّ اللهَ لاَ رَبَّ غَيْـــرهُ وَأَنَّ رَسُـــولَ اللهِ بِـــالْحَقِّ ظَـــاهِرِ

كررَّ الشاعر حرف التوكيد (أنَّ) مرتين ليؤكد على حقيقة التفرد بالعبودية لله سبحانه وتعالى وأنّ الرسول (▫) جاء بالحق المنتصر، وكان التكرار عاكسًا لشخصية هذا الشاعر المؤمن بالله، والمصدق لرسوله فكعب لا يفخر بنفسه ولا قبيلته إنما بنبيه الكريم، ودينه القويم[5].

وقد يأتي التكرار عند الشعراء لجملة بكاملها كما فعل أنس بن زنيم مع الرسول (▫) بقوله[6]:

---

[1] يُنظر: ابن رشيق القيرواني: **العمدة في صناعة الشعر ونقده**،ج2، ص73–75.

[2] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، ج2، ص842– ص942. ومقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، مرجع سابق، ص162.

[3] سحًا: انصبَّ الدمع متتابعًا.

[4] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص47.

[5] المصدر السابق، ص 12.

[6] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ج9، ص417، ص418.

(الطويل)

تَعَلَّــمْ رَسُــولَ اللهِ أَنَّــكَ مُــدْرِكِي وَأَنَّ وَعِيــدًا منْــكَ كَالْأَخْــذِ بِالْيَــدِ
تَعَلَّــمْ رَسُــولَ اللهِ أَنَّــكَ قَــادِرٌ عَلَــى كُــلِّ سَـكَنٍ مِـنْ تِهَـامٍ وَمُنْجِـدِ

جاء التكرار هنا في جملة (تعلم رسول الله أنك) تكرار في الصدارة، من الشاعر لإظهار قدرة الرسول (ﷺ) على الوصول إليه أينما حلَّ، وليستعطفه من خلال هذا التكرار والتأكيد على هذه الحقيقة، فأثبت الشاعر قدرة ومهارة من خلال هذا التكرار وتوزيعه، ويرى إبراهيم أنيس " أنّ المهارة هنا تكون في حسن توزيع الحروف عندما تتكرر كما يُوزع الموسيقي الماهر النغمات في النوتة، ولا يكون قبيحًا إلا عندما يبالغ فيه أو عندما يكون النطق بهذه الحروف والألفاظ عسيراً"[1].

8- **أسلوب التناص:** يُعرَّف التناص بأنه تشكيل نص جديد من نصوص سابقة، وخلاصة لنصوص تماهت فيما بينها فلم يبق منها إلا الأثر[2]، وفيها يتحول المبدع الثاني منتجًا للنص الأول.

وأكثرَ شعراء صدر الإسلام من التناص القرآني في أشعارهم؛ لأن المعاني الدينية والإسلامية قد سادت تلك الفترة، وكان مَعينهم القرآن الكريم بما احتواه من الآيات والألفاظ والقصص الدينية التي تأثروا بها وظهر ذلك في أشعارهم.

وقد يأتي التناص كليًّا، كما في الآيات القرآنية، أو جزئيًا كجزء من هذه الآيات، أو عن طريق التناص مع لفظة قرآنية أو أسماء الأنبياء وغيرها، وهذا ما أكدَّه صاحب المثل السائر بقوله "يُطلق على الاقتباس كليًّا إذا كانت الآية كاملَة، والاقتباس الجزئي إذا أدرج جزء من الآية"[3].

وجاء التناص الكلي الذي استخدمه حسان بن ثابت، و ظهر تأثره بالقرآن في قوله[4]:

---

[1] يُنظر: أنيس، ابراهيم: **موسيقى الشعر**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1952 م، ص41.

[2] عزام، محمد: **النقد والدلالة**، نحو تحليل سيميائي للأدب،منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1996، ص148.

[3] ابن الأثير: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**،ج2، ص341.

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص99.

(الكامل)

صَـلَّى الإِلَـهُ وَمَـنْ يَحُـفُّ بِعَرْشِـهِ وَالطَّيِّبُـونَ عَلَـى المُبَـارَكِ أَحْمَـدِ

وهذا تناص لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

وقد جاء هذا البيت في قصيدة الرثاء التي نظمها حسان له صلوات الله عليه وسلامه.

وأمَّا االتناص الجزئي فكان له مكان عند حسان شاعر الرسول (▫) في قوله[2]:

(الطويل)

لَـكَ الْخَلْـقُ وَالنّعْمَـاءُ وَالْأَمْـرُ كُلُّـهُ فَإِيَّـاكَ نَسْـتَهدِي وَإِيَّـاكَ نَعْبُـد

وظف الشاعر مفردات من سورة الفاتحة الآية ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[3].

وهو يُقر بالعبودية لله وحده ويُرجع الأمر كله لله، ولهذا جعل من تناصه دلالًة على صدقه وإيمانه وتوحيده.

أما العباس بن مرداس فإنه يُوظف جزءاً من آيات القرآن الكريم في قوله[4]:

(الطويل)

وَوَجَّهْـتُ وَجْهِـي نَحْـوَ مَكَـةَ قَاصِـدًا وَتَابَعْـتُ بَـيْنَ الأَخْشَـبَينِ الْمُبَارَكَـا

يستحضر الشاعر الآية: ﴿ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[5].

---

[1] **سورة الأحزاب**، آية 56.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص79.

[3] **سورة الفاتحة**، آية5.

[4] العباس بن مرداس: **الديوان**، مصدر سابق، ص220. وأبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، ط1، مصدر سابق، ص297.

[5] **سورة الأنعام**، آية 79.

ويظهر الشاعر تأثره بالقرآن الكريم وتعاليمه، ويختار الألفاظ الدالة على المعنى. ويوظف كعب بن مالك هذا الأسلوب، ويظهر من التناص هنا تأثره الشديد بالقرآن الكريم وتعاليمه المفعمة بالروح الدينية فيقول[1]:

(الطويل)

وَكَـانَ رَسُـولُ اللهِ قَـدْ قَـالَ أَقْبِلُـوا فَوَلَّـوا وَقَـالُوا إِنَّمَـا أَنْـتَ سَـاحِرِ

وهذا التوظيف الجزئي في قوله "إنما أنت ساحر" إنما هو صدى للآية القرآنية ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴾[2].

وهو بذلك يشير لدعوة الرسول (ﷺ) واتهامه من قبل المشركين بالسحر، وقد جاء الاقتباس مُوفقًا في توضيح صورة المشركين وإظهارهم على حقيقتهم في تكذيب الرسل.

وأما فاطمة الزهراء فكانت هي الأخرى ممن أخذت من معاني القرآن ووظفتها في رثائها للرسول الحبيب فقالت[3]:

(الكامل)

اغْبَـرَّ آفَـاقُ السَّـمَاءِ وَكُـوِّرَتْ شَـمْسُ النَّهَـارِ وَأَظْلَـمَ الْعَصْـرَانِ[4]

تستلهم الشاعرة معانيها من سورة التكوير، من قوله: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ ﴾[5].

ولكنها تحور في التناص فلم يكن حرفيًا، وتستخدم هذا التناص دلالةً على عِظم مصابها بفقدها النبي الكريم، وكأنها بالشمس قد كسفت لرحيله وغيابه.

---

[1] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص47.

[2] **سورة ص**، آية 4.

[3] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج1، ص340.

[4] العصران: الليل والنهار.

[5] **سورة التكوير**، آية 1.

ويُلاحظ على شعراء صدر الإسلام تأثرهم الشديد بالقرآن الكريم ومعانيه، فعاطفة المسلم الصادقة وخوفه من الله جعلاه يتخير الألفاظ السهلة الرقيقة التي تخدم المعنى وتصب في صالح الإسلام والمسلمين. وكان لتوظيف أسماء الأنبياء والرسل وقع في النفوس كما في قول عبد الله بن رواحة[1]:

(البسيط)

فَثَبَّتَ اللهُ مَا أَتَاكَ مِنْ حُسْنٍ تَثْبِيتَ مُوسَى وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا

استخدم الشاعر في البيت السابق التناص من خلال الألفاظ (فَثَّبت الله) في إشارةٍ منه إلى الآية "﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾"[2].

واستلهم الشاعر قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه وتثبيت الله له؛ ليشد بها أزر النبي (ﷺ) أمام المشركين.

وكان للفظة الفرقان عند علي بن أبي طالب صدىً آخر في قوله[3]:

(الطويل)

فَجَاءَ بِفُرْقَانٍ مِنَ اللهِ مُنْزَلٍ مُبَيِّنَةٍ آيَاتُهُ لِذَوِي الْعَقْلِ

يبدو تأثر علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بسورة الفرقان واضحًا، مما جعله يقوم بصياغة هذا المعنى شعراً؛ وذلك بالتناص مع الآية "﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾"[4].

---

[1] عبد الله بن رواحة: **الديوان**، مصدر سابق، ص84.

[2] **سورة ابراهيم**، آية 27.

[3] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص152. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص11.

[4] **سورة الفرقان**، آية 1.

وما دام الحديث هنا قد وصل إلى تناص السور القرآنية فها هو أبو طالب يتأثر بأسماء السور ويُعيد صياغتها شعرًا بقوله[1]:

(البسيط)

وَقَـدْ أَتَانَـا بِحَـقٍّ غَيْـرِ ذِي عِـوَجٍ مُنَـــزَّلْ فِـــي كِتَـــابِ اللهِ مَعْلُـــوم
فِيــهِ عَجَائِــبُ يَرْتَــاحُ الْفُــؤَادُ لَهَــا مِمَّـا تَنَـزَّلَ فِـي صَـادٍ وحَـا مِـيم

تناص الشاعر مع أسماء السور القرآنية وهي (ص) وبعض السور التي تبدأ بـ (حم) وهي غافر وفصلت والشورى والزخرف والأحقاف والجاثية والدخان، وجاء حديثه في قصيدة يحُض فيها على نصرة الرسول (▫)، والعجيب بالأمر أن هذا العم لم يدخل الإسلام؛ لكنه يتأثر بمعاني القرآن في شعره، ولهذا نجده في موضعٍ آخر يوظف أسماء الأنبياء السابقين ويقول[2]:

(البسيط)

أَوْ يُؤْمِنُــوا بِكِتَــابٍ مُنْــزَلٍ عَجَــبٍ عَلَــى نَبِــيٍّ كَمُوسَــى أَوْ كَـذِي النُّـون

تأثر الشاعر بقصص الأنبياء السابقين ومعاناتهم مع أقوامهم، فجاء بموسى وبذي النون ليدلل على صدق الرسول وما جاء به من الكتاب السماوي كباقي الأنبياء، ويظهر تعلّق الشاعر مع سورة القصص وسيدنا موسى عليه السلام وكذلك إشارته إلى الآية "﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾"[3].

وكذلك فعل أبو قيس صرمة بن أبي أنس عندما أشار إلى الأنبياء السابقين فقال[4]:

(الطويل)

يَقُـصُّ لَنَـا مَـا قَـالَ نُـوحٌ لِقَوْمِـهِ وَمَـا قَـالَ مُوسَـى إِذْ أَجَـابَ الْمُنَادِيَـا

---

[1] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم الرسول (▫)**، مصدر سابق، ص95.

[2] المصدر السابق، ص95.

[3] **سورة الأنبياء**، آية 87.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج3، ص158–159.

الشاعر في إشارته إلى أنبياء الله السابقين ومنهم نوح وموسى عليهما السلام، يُذكّر بدعوتهم وما تعرضوا له من الأذى في سبيل ذلك، ويُوظف كلمة (المناديا) في إشارة منه "﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ ﴾"[1].

وهو يمتدح الرسول (ﷺ) ويُشيد بدور الرسول في الدعوة، واكتفى بالتناص مع كلمة (المناديا) لتأكيد المعاني وتعزيزها في الذهن والنفس ولدلالة ارتباط الكلام أوله بآخره[2].

[1] **سورة آل عمران**، آية 193.

[2] يُنظر: الهاشمي، أحمد السيد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، مرجع سابق، ص319-320.

المبحث الثاني

المحسنات البديعية

البديع من الفنون البلاغية التي يُحسِّن بها الشاعر أو الكاتب عباراته، لما له من أثر في الكلام؛ فهو يُضفي عليه رونقًا وجمالاً، ويُحسن موضعه في نفس السامع، لكن النقاد والأدباء وضعوا شروطًا لذلك، منها أن يُقتصد في استعمال هذه المحسنات البديعية وعدم الإكثار منها، ولا تكون متكلفة أو متصنعة، بل تأتي عفو الخاطر قريبة وسهلة على من يتناولها، وهذا ما أراده العسكري بقوله "إذا أردت أن تضع كلامًا فأخطر معانيه ببالك، وتتوقَّ له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكرٍ منك ليقرب عليك تناولها "[1].

وهذه المحسنات تأتي على نوعين هما: لفظية ومعنوية، والمحسنات اللفظية ما كان الاعتبار فيها للفظ ومن الأمثلة عليها الجناس، ورد العجز على الصدر، والسجع، والتصريع.

فالجناس: هو تشابه كلمتين في لفظهما، مع اختلاف معانيهما[2]، وقد يأتي تامًا أو غير تام، وهذه بعض الأشعار التي وُظف الجناس فيها في الشعر قبل الإسلام.

جاء على لسان عبد الله والد الرسول (ﷺ) عندما دعته المرأة الخثعمية لنفسها وأبى، أن قال[3]:

(الرجز)

أَمَّـــا الْحَـــرَامُ فَالْحِمَـــامُ دُونَـــهْ وَالْحِـــــلّ لاَ حِـــــلّ فَاسْـــــتَبِينَه

أفاد الشاعر من لفظتي (الحرام، الحمام) فجانس بينهما، فالحرام الأولى: هي ضد الحلال

---

[1] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين**، تح علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، مصدر سابق، ص133.

[2] الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، مصدر سابق، ص13.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج1، ص156. والسهيلي: **الروض الأنف**، مصدر سابق، ج1، ص180، ويُنظر: **الفصل الأول** من الدراسة، ص7.

والحِمام هو الموت، وقد عبَّر الشاعر عن رفضه لنداء المرأة، وجاء الجناس غير تام مؤديًا الغرض، حتى ولو أن الشاعر جاء به عفو الخاطر،وهذا يعني أن عبد الله قَرن فعل الحرام بالموت إن هو أقدم على فعله.

أما آمنة بنت وهب فقد عوذت الرسول (ﷺ) وهو طفل صغير قبل أن تخرج به مرضعته حليمة إلى ديارها وقالت[1]:

(الرجز)

أُعِيـــذُهُ بِـــاللهِ ذِي الْجَـــلاَلِ مِـنْ شَـرِّ مَـا قَـدْ مَـرَّ عَلَـى الْجِبَـالِ

جاء الجناس غير تام بين لفظتي (الجلال، الجبال) لاختلاف الحرف الثاني،وقد أعطى جرسًا موسيقيًا أثار به انتباه السامع وجذبه لسماع باقي الأشعار، وربما في اختيارها لهذه المفردة (الجلال) تعبير عن قوة خارقة تحتمي بها وطفلها المبارك من أي مخلوق أو كائن يمر على الجبال. وكعب بن مالك الأنصاري مدح الرسول (ﷺ) واستخدم الجناس قائلاً[2]:

(البسيط)

فِينَـا الرَّسُـولُ شِـهَابٌ ثُـمَّ يَتْبَعُـهُ نُـورٌ مُضِـيءٌ لَـهُ فَضْـلٌ عَلَـى الشُّـهُبِ

إن الجناس في كلمتي (شهابٌ، والشهب) هو جناس غير تام، (تجنيس حرفي)؛ فكلمة شهاب الأولى تعني النور وكلمة الشهب في نهاية البيت تعني الكواكب، وهنا أراد الشاعر باستخدامه الجناس، أن يبين منزلة الرسول (ﷺ) ويشبهه بالنور الذي غطى على سائر الكواكب.

وحسان بن ثابت من الشعراء الذين كان للجناس نصيب في أشعارهم، فيقول في قصيده له يمدح الرسول (ﷺ)[3]:

---

[1] ابن سعد: **الطبقات الكبرى**، مصدر سابق، ص90. وينظر: **الفصل الأول** من الدراسة، ص9.

[2] كعب بن مالك الأنصاري: **الديوان**، مصدر سابق، ص25.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص78.

(الطويل)

أَغَــرٌّ عَلَيْــهِ مِــنَ النُّبُــوَّةِ خَــاتِمٌ مِــنَ اللهِ مَشْــهُودٌ يَلُــوحُ وَيَشْــهَدُ
وَشَــقَّ لَــهُ مِــنْ اسْــمِهِ لِيُجَلَّــهُ فَــذُو الْعَــرْشِ مَحْمُــودٌ وَهَــذَا مُحَمَّــدُ

ورد الجناس في البيت الأول في (مَشهود، يشهدُ) كما جاء أيضًا في البيت الثاني بين (محمود، محمد)، جناس حرفي، وبذلك أفاد الشاعر في تحقيق النغمة الموسيقية التي أثارت انتباه السامع بسبب التقارب الصوتي بين كلمتين متجانستين.

إذاً فقد كان الجناس من المحسنات اللفظية التي استخدمها الشعراء سابقًا، وأضافت رونقًا وحسنًا، وساهمت في تحقيق توازن في الموسيقى الداخلية للشعر.

رد العجز على الصدر: هو أن يأتي أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو اللذين يجمع الاشتقاق بينهما، أو شبه الاشتقاق في آخر البيت. وأن يأتي اللفظ الآخر في أول الصدر، أو وسطه أو آخره أو أول العجز.

وبعد دراسة مطولة في الشعر الذي قيل في الرسول (▫) في صدر الاسلام، وُجد كثير من الأمثلة التي تناول فيها الشعراء هذا المحسن في أشعارهم.

ونجد حسان بن ثابت كان لرد العجز على الصدر محلٌ في أشعاره،وفي الرثاء تحديداً حيث قال[1]:

(الطويل)

وَمَــا فَقَــدَ الْمَاضُــونَ مِثْــلَ مُحَمَّــدٍ وَلاَ مِثْلَــــهُ حَتّـــى الْقِيَامَـــةُ يُفْقَـــدُ

ردَّ الشاعر مفردة (فقد) في الصدر على (يفقد) في عجز البيت في نهايته، واستخدم هذا المحُسن البديعي ليدلل على أن الماضيين في الخلق لم يفقدوا رجلاً بمكانة الرسول (▫) إلى يوم الدين. وأدّى ذلك إلى شد انتباه السامع، وتحقيق التوازن الموسيقي، وبذلك كان لها الموقع الجليل من البلاغة، والمحل الخطير في المنظوم كما أكده العسكري في كتابه[2].

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص95.

[2] العسكري، أبو هلال: **الصناعتين**، ص429-433.

وهذا الضرب من الفن البلاغي، استخدمه ضرار بن الخطاب – رضي الله عنه – عندما اعتذر للرسول (▫) وشكا له سعد بن عبادة وقال[1]:

(الخفيف)

يَـا نَبِـيَّ الْهُـدَى إِلَيْـكَ لَجَـا حَـيٌّ قُـــــرَيْشٍ وَلَاتَ حِـــــينَ لَجَـــــاء

استغاث ضرار بالرسول (▫) واستخدم كلمة (لجا) في صدر البيت بعد أن ردَّ عليها المفردة (لجاء) في عجز البيت، ويشير بذلك إلى ضعفهم أمام الرسول وجيشه العظيم فلا ملجأ اليوم إلا الرسول (▫)، وجاءت المفردة متوافقة أكدت على الحدث وأثَّرت في السامع.

أما السجع فموضعه دائمًا في النثر، ولكن هناك من البلاغيين من يجعله مقصوراً على النثر، مقابلاً للقافية في الشعر[2]. أماً ابن الأثير فيجعل السجع في النثر أيضًا لكنه بإزاء التصريع[3]، وقد عُرف السجع في الأدب العربي، واشتهر به كُهان العرب في الجاهلية، ولا نود التفصيل بعد ذلك، لأن الدراسة هي في الشعر، ولا ينبغي إلا أن تكون على هذه المحسنات التي تناولها الشعراء وكانت مدار البحث.

وهذا يحدو بنا للانتقال للغرض الأخير في المحسنات اللفظية، وهو التصريع.

التصريع: هو أن تكون العروض مقفاة تقفية الضرب، وبلغة أخرى، أن تكون القافية في صدر البيت موافقة للقافية في العجز، وقد جرى أكثر الشعراء على استخدام التصريع في مطالع قصائدهم، وها هو حسان بن ثابت – رضي الله عنه – يستخدم التصريع في أول بيت من قصيدته التي رثى بها الرسول (▫) فيقول[4]:

(الطويل)

بِطَيْبَـــةَ رَسْـــمٌ لِلرَّسُـــولِ وَمَعْهَـــدٌ مُنِيـــرٌ وَقَـــدْ تَعْفُـــو الرُّسُـــومُ وَتَهْمَـــدُ

---

[1] ضرار بن الخطاب الفهري: **الديوان**، ص43. والعسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابه**، مج 3، ص485.

[2] السكاكي، أبو يعقوب: **مفتاح العلوم**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983، ص43.

[3] ابن الأثير: **المثل السائر في أدب الكاتب** والشاعر، مصدر سابق، ج 1، ص242.

[4] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص 89.

لعلَّ الدلالة الصوتية التي أحدثها صوت (الدال) في البيت السابق، جعلت الشاعر يستخدمه مرتين في الصدر والعجز. ليعبر عن شدة ألمه وشكواه بفقد الرسول (▫)، وتذكره للأماكن التي كان يرتادها، وهذا التناغم الموسيقي يجعل القارئ أو السامع يتعاطف مع الشاعر ويشعر معه بِعظم الفقد والمصاب.

وفي ذات السياق، يستخدم عبد الله بن الزبعرى التصريع في اعتذاريته أمام الرسول (▫) وتخلتط مشاعر الخوف والرهبة والرجاء في نفسه ويقول[1]:

(الكامل)

مَنَـــعَ الرُّقَـــادَ بَلاَبِـــلٌ وَهُمُـــوم وَاللَّيْـــلُ مُعْـــتَلِجُ الـــرِّوَاقِ بَهِـــيمُ

جاء التصريع هنا، ليس لمجرد إعطاء رنين أو جرس موسيقي؛ بل جاء لينقل صورة عبد الله بن الزبعرى الذي جافى النوم عينيه، وأُصيب بالخوف والهلع بعد أن سمع بإهدار دمه، وجاء صوت الميم الساكنة معبراً عن الألم والندم الذي يشعر به عبد الله.

إن الأمثلة على التصريع تكاد تكون قليلة، فإذا أخذنا برأي البلاغيين من عدم استحسانهم للإكثار من التصريع في القصيدة الواحدة، نجد أن شعراء صدر الإسلام، لعلهم التزموا بذلك – لما فيه من التكلف والتصنع – وهذا قد نأى عنه الشعراء تلك الفترة من الزمن.

والمحسنات المعنوية هي التي يُقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال وتهدف لتحسين المعنى أولاً، ويأتي البعض لتحسين اللفظ[2] وهي على أنواع منها الطباق والمقابلة والتورية والتقسيم.

الطباق: هو أن تجمع بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر، فكل نقيض يلتفت إلى نقضيه، فيظهر كل منهما الآخر، إذ الأشياء بضدها تتميز والضد يظهر حسنه الضد[3].

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج 2، ص419.

[2] عتيق، عبد العزيز :**علم البديع**، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية، 1985م، ص76.

[3] ينظر: القيرواني، ابن رشيق: **العمده في محاسن الشعر ونقده**، ج2، ص5. والخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، ص14. وعتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص77.

ونجد للطباق حضوراً في شعر صدر الإسلام. فهو يساهم في توضيح المعنى وتوكيده ويكشف عن متناقضات الحياة ليُعيد تشكيل الواقع من خلال التضاد.

وهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول (ﷺ) يوظف الطباق في مدحه للرسول فيقول[1]:

(البسيط)

تَـاللهِ مَـا حَمَلَـتْ أُنْثَـى وَلَا وَضَـعَتْ مِثْـلَ الرَّسُـولِ نَبِـيّ الأُمَّـةِ الْهَـادِي

حسان جمع بين الضدين (حملت، وضعت) ليؤكد على صورة الرسول الهادي من رب العالمين وقد جاء الطباق بعيداً عن التكلف وساعده القسم بلفظ الجلالة قبله، واستخدام أدوات النفي (ما، لا) في تأكيد المعنى وتوضيحه.

وفي إطار الرد على أبي سفيان عندما هجا الرسول (ﷺ)، نجد حسان يقول[2]:

(الوافر)

أَتَهْجُـوهُ وَلَسْـتَ لَـهُ بِكُـفْءٍ فَشَـرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَـا الْفِـدَاءُ

فَمَـنْ يَهْجُـو رَسُـولَ اللهِ مِـنْكُمْ وَيَمْدَحُـهُ وَيَنْصُـرُهُ سَـوَاءُ

جاء الطباق بين (شركما، خيركما) في البيت الأول، و(يهجو، ويمدحه) أيضا في البيت الثاني، وحسان هنا يؤكد على أن الرسول (ﷺ) هو المثل الأعلى في الخلق الكريم لا يضره مدحهم أو هجاؤهم واستخدم الطباق ليؤكد على فكرته هذه، وأنّ الرسول من العزّة والمنعة والوجاهة بحيث لا يُنال منه ولا يرتقى إليه.

أما عبد الله بن الزبعرى في اعتذاره من الرسولُ يبدي أسفًا شديداً على ما فرط في عهد الإثم، ويقول[3]:

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص99.

[2] حسان بن ثابت: **الديوان**، ص7–8. **وصحيح البخاري**، ج2، ص395،–396. والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، مصدر سابق، ص153. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص95.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419. وابن الزبعرى: **الديوان**، ص35–36. ومسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، ص167. والجمحي، ابن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، ج1، ص243. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص339.

(الخفيف)

يَــا رَسُــولَ المَلِيــكِ إِنَّ لِسَــانِي رَاتِــقٌ مَــا فَتَقْــتُ إِذْ أَنَــا بُــورُ

استخدم عبد الله الطباق أمام الرسول وذلك في (راتق، فتقت) ليعبر من خلاله عن أسفه الشديد ومقارنته بين الماضي والحاضر وأن لسانه سيصلح كل ما فتق في الدين سابقًا.

وهذا الزبرقان بن بدر في رثائه للرسول (▫) يتذكر الرسول هاديهم ومرشدهم إلى طريق الحق والصواب ويقول[1]:

(السريع)

وَهَــادِيَ النَّــاسِ إِلَــى رُشْــدِهِم وَشَــارِعَ الْحِــلِّ لَهُــم وَالْحَــرَامِ

جاء الطباق في (الحل، الحرام) ليبين أهمية الرسول (▫) ودوره في إصلاح المجتمع الإسلامي وإرشاد المسلمين إلى الحلال وتجنيبهم الوقوع في الحرام؛ فالهداية لا تكون إلا بالتمسك بالأولى والابتعاد عن الأخرى، وهكذا جاء الطباق طبيعيًا ساقه المعنى وقواهُ بالتضاد.

وأبو بكر الصديقُ يؤكد صورة الرسول (▫) الصادق ويستخدم لأجل ذلك الطباق ويقول[2]:

(الطويل)

مُصَــدِّقٌ كُتُــبِ الأَنْبِيَــاءِ وَرَاءَهُ فَكَــذَّ بَــهُ أَبْنَــاءُ تِلْــكَ الطَّوَامِــث

أسهم الضدان (مُصّدق، فكذّبه) في توضيح صورة النبي الصادق المُصدق كتب الأنبياء السابقين، وجاء الضد (فكذبه) ليؤكد على هذه الصورة من خلال عقد مقارنة بينه وبين الكفار، فالقارئ يعقد هذه المقارنة وينتقل من صورة الرسول (▫) الإيجابية لِيُظهر صورة من كذّبه من خلال التضاد.

---

[1] الصفدي: **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج14، ص174.

[2] أبو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص47.

والسيدة فاطمة الزهراء في رثائها المصطفى الحبيب (ﷺ) لا تتوقف عن بث حزنِها وشكواها وتقول[1]:

(الكامل)

فَلْيَبْكِــهِ شَــرْقُ الْــبِلَادِ وَغَرْبُهَــا وَلْتَبْكِــــهِ مِصْــــرُ وَكُــــلُّ يَمَــــانِ

جاء الطباق (شرق، غرب) ليؤكد على عِظم المُصاب وهو فقد الرسول (ﷺ) الذي لا يعادله أي خطب في الكون، ولأن الرسول هو رسول العالمين جاء للناس كافة في مشارق الأرض ومغاربها وجميع أنحائها، فقد وجب البكاء على هذا الفقيد في كل مكان .وهناك احتمال لوجود طباق آخر بين مصر واليمن؛ لأنهما كناية عن الشمال والجنوب. وهذا الأعشى الذي لمْ يدخلْ في الإسلام، يمتدح هو الآخر الرسول (ﷺ) ويقول[2]:

(الطويل)

نَبِــيٌّ يَــرَى مَــا لَا تَــرَوْنَ وَذِكْــرُهَ أَغَــارَ لِعَمْــرِي فِــي الْــبِلَادِ وَأَنْجَــدَا

رسم الشاعر صورة فنية للرسول (ﷺ) باستخدامه الطباق (أغار، أنجدا) حيث شبه صيت الرسول وشهرته بالشيء المادي الذي عمّ كل ارتفاع وانحدار من الأرض، وهذا دلالة على انتشار دعوته (ﷺ) وذِكره الحسن في كل مكان. وهذا الطباق أعطى المعنى رونقًا وعمقًا كبيرًا في التأثير والتأكيد على الفكرة التي هدف إليها الشاعر.كما أن الطباق السلبي بين (يرى، لاترون) جاء هو الآخرلترسيخ هذه الصورة واظهارها.

المقابلة: أنْ يُؤتى بمعنيين متوافقين على الترتيب أو معانٍ متوافقة على ما يُقابلهما أوُ يقاربهما وأكثر ما تجري المقابلة في الأضداد فإذا جاوزت الطباق ضدين كان مقابلة[3]. وها هو حسان بن ثابت يقابل بين صورة من اهتدى وسار على طريق الحق ومن بقي على ضلالته فيقول[4]:

---

[1] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشما ئل والسير**، ج1، ص340.

[2] **ديوان الأعشى**، تح فوزي عطوي، ط1، بيروت، لبنان، الشركة اللبنانية للكتاب، ص106. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص378.

[3] ابن رشيق القيرواني: **العمده في محاسن الشعر ونقده**، مصدر سابق، ج1، ص349.

[4] حسان بن ثابت:**الديوان**،مصدر سابق،ص88

(الطويل)

وَهَـلْ يَسْـتَوِي ضُـلاَّلُ قَـوْمٍ تَسَـفَّهُوا عَمَـــى وَهُـــدَاةٌ يَهْتَـــدُونَ بِمُهْتَـــدِ

قابل حسان بين فئتين (ضلال قوم تسفهوا) و(هداة يهتدون بمهتد) عن طريق المتضادات؛ ليظهر من خلال هذه المقارنة عدم التكافؤ بين الفئتين، ويُبرز الأثر النفسي الذي يتركه هذا التقابل من تعجب واستفهام. وجاءت المقابلة على لسان الأعشى في وصف كرم الرسول (ﷺ) فقال[1]:

(الطويل)

لَـــهُ صَـــدَقَاتٌ مَـــا تَغِـــبّ وَنَائِـــلٌ وَلَـــيْسَ عَطَـــاءُ الْيَـــوْمِ مَانِعُـــهُ غَـــدًا

الشاعر قابل بين كرم الرسول وعطاياه التي لا تنقطع، فليس عطاء اليوم وهباته سيمنعها غدًا، وهذا التقابل جاء بين (عطاء اليوم) و(مانعه غدًا) جاء بجرس موسيقي جذاب شدّ الانتباه، وعمل على توضيح المعنى وتوكيده.

حسن التقسيم: ويُسمى التقسيم بالتقطيع وهو تقطيع ألفاظ البيت الواحد من الشعر إلى أقسام تُمثل تفعيلاته العروضية أو إلى أقسام متساوية في الوزن[2].

ومنها أن المتكلم يضع أقساماً لفكرته التي يتحدث عنها. فيستوفي تلك الأقسام ولا يترك منها شيئاً. وقد حرص كعب بن مالك على توضيح منهج الرسول الذي سار عليه بقوله[3]:

(البسيط)

الْحَـــقُ مَنْطِقُـــهُ وَالْعَـــدْلُ سَـــيرَتُهُ فَمَـــنْ يُجِبْـــهُ إِلَيْـــهِ يَـــنْجُ مِـــنْ تَبَـــب[4]

لقد قسّم كعب بن مالك الطريق والدستور الذي أقامه الرسول (ﷺ) وحرص عليه إلى قسمين هما: (الحق والعدل)، وعمل التقسيم على توفير جرس موسيقي ناجم عن الوقفات القصيرة فيما بينها.

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج1، ص387.

[2] عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، ص139-140.

[3] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص25.

[4] تبب: الهلاك والخسارة.

المبحث الثالث

الصورة الفنية

تُعتبر الصورة الفنية عنصرًا مهمًّا من عناصر التعبير لأنها تحمل بين ثناياها كثيراً من الصيغ الرمزية، أو الوسائل الراقية التي يُعتمد عليها لتجسيم المعنى وإظهار العاطفة[1]، ولأنها توجه الشعور بعض التوجيه نجدها في الشعر تفيض رقّة وحيوية لما تُحدثه من أثر في النفوس التي يتوهم بها الجماد الصامت في صورة الحي الناطق والمبين المميز[2].

برزت الصورة الفنية منذ القديم واتخذت عناصر عِدة لتشكيلها ومنها التشبيه، والاستعارة والكناية، ومصطلح الصورة لا يلغي هذه العناصر كما يؤكد الرباعي بقوله " مصطلح الصورة لا يلغي التشبيه أو الاستعارة أو الكناية، بل يعطيها فهماً أعمق من الفهم الذي اقترنت به سابقاً[3].

أ- **التشبيه:** هو التمثيل وقد اختلف البلاغيون في تحديد تعريف جامع له؛ ومع ذلك وإن اختلفوا في تعريفهم للفظ فإنهم اتفقوا على المعنى فهذا ابن رشيق يقول التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهه واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته[4] وأما العسكري فيرى أن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه[5].

وقد وردت أمثلة كثيرة في الأشعار السابقة، استخدم فيها الشعراء التشبيه لرسم صورهم وتقريبها للأذهان، وجاء على لسان أبي طالب عندما تعلق الرسول (ﷺ) به في صغره أثناء سفره إلى الشام قوله[6]:

---

[1] يُنظر: عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983، ص268.

[2] ينظر: ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص236. والجرجاني، عبد القاهر، أبو بكر عبد الرحمن بن محمد: **أسرار البلاغة**، تح، محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني، ص343.

[3] الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط1، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، 1980م، ص15-17.

[4] ينظر: ابن رشيق القيرواني: **العمدة في محاسن الشعر ونقده**،ج1، ص256.

[5] العسكري، أبو هلال: **كتاب الصناعتين**، ص239.

[6] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ص38.

(الكامل)

فَــارْفَضّ مِــنْ عَيْنَــي دَمْــعٌ ذَارِفٌ مِثْـــل الجُمَـــانِ مُفَـــرقٌ بِبِـــدَادِ

شاكل الشاعر بين دموعه المتلألئة والمتتابعة في عينيه كحبات اللؤلؤ المتساقطة على مفارق الجواد، وتشبيه دموعه بالجمان هو شيء يفخر بنفسه، وبكاؤه عزيز ولذا امتازت صورته بالإتقان في بيان تفاصيلها وشكلها، الذي أفضى بالوضوح والتعبير عن المشاعر التي كان عليها هذا العم.

وقد نوع شعراء صدر الإسلام في تشبيهاتهم للرسول (▫) فهذا كعب بن زهير يمدح الرسول (▫) ويشبهه بالسيف اللامع فيقول[1]:

(البسيط)

إنّ الرســولَ لَسَــيْفٌ يُستضــاءُ بِــهِ مُهنَّـــدٌ مِـــنْ سُـــيوف الله مَسْـــلُول

فقد أسبغ الشاعر على الرسول صفة النور واللمعان الصادرة عن السيف، وكذلك فعل كعب في تشبيه الرسول بالأسد الذي يهابه الجميع ويخشاه كل من حوله ويقول[2]:

(البسيط)

لِـــذَاكَ أهيـــبُ عنـــدي إذْ أُكلّمـــه وَقِيـــل إنّـــك مَسْـــبورٌ ومســـئولُ
مِـنْ ضَـيْغَمٍ مِـنْ ضِـرِاء الأُسـدِ مُخْـدِره بِـــبَطْنِ عثْـــر غِيـــل دُونـــه غِيـــل

فكعب إذا ما أراد أن يختارتشبيهاً للرسول (▫) لم يجد غير السيف والأسد فهو يعطي أجمل ما لديه لهذين التشبيهين من أداء وفن، وهو يصف هيبة الرسول (▫) بهيبة الأسد لم يبرح أكمته بعد أن اصطاد فريسته ومزقها وأطعم أولاده منها،حتى ظلت الحمر الوحشية خائفة، عازفة عن الإطعام لشدة هلعها وخوفها من هذا الضيغم[3] وكذلك فعل علي بن أبي طالب عندما شبه قوة الرسول وشجاعته بقوة الأسد فقال[4]:

---

[1] كعب بن زهير: **الديوان**، المصدر السابق، ص22.

[2] المصدر السابق، ص22.

[3] عزف على وتر النص الشعري. www.omara altaleb.com

[4] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص216.

(الطويل)

مِـن الأُسـدِ قَـدْ أَحْمَـى العَـرِينَ مَهَابَـةً تفـــادَى سِـــباعُ الأرضِ مِنْـــه تَفاديـــا

فهذا التشبيه من الشاعر نابع من معرفة سابقة بقوة الأسد وما يتمتع به من هيبةٍ وإجلال، لم يجد أمامه إلا أن يخلع صفات الأسد على رسول الله (▫) ولم يكن علي وحده من فعل ذلك، بل هناك شعراء من أمثال مالك بن عوف كانت صورة الأسد حاضرة في ذهنه عندما شبَّه الرسول به فقال[1]:

(الكامل)

فَكَأنّـــهُ ليـــثٌ عَلـــى أَشْـــبَالِه وَسْـــط الْهَبَـــاءَةِ خـــادرٌ فِـــي مرْصـــدِ

إذن فقد كان تشبيه الرسول (▫) بالأسد لوجود صفات اشتركت بين المشبه والمشبه به، وكانت القوة والشجاعة والهيبة من الأشياء التي برزت.

وقد جاء التشبيه من عاتكة بنت المطلب لمشركي قريش مُعبراً تماماً عن الصورة التي أرادت من خلالها إظهار قوة المسلمين والرسول قائدهم فتقول[2]:

(الطويل)

فَمَـا بَـالُ قتْلـى فـي الْقَليـبِ ومِـثلهم لـدى ابـنُ أَخـي أَسْـرى لَـهُ مَـا يُضـاربْ

فَكـــانُوا نِســـاءً أَمْ أَتـــى لِنفُوسِـــهم مِـــن اللهِ حِـــين سَـــاق والحـــينُ حَالـــب

شبهت عاتكة المشركين بالنساء لإظهار ضعفهم وهوانهم أمام الرسول (▫) وجيشه المقدام، واكتفت بذكر مفردة (النساء) لإظهار هذا الضعف ولم تذكر أية صفة أو خصال لهؤلاء النساء فاستغنت عن ذكر ذلك بدلالة العقل[3] لأن مجرد وصف المشركين بالنساء هو اختلال لميزان القوى بين المتحاربين وجاء التشبيه ليؤكد الصورة ويُوضحها.

---

[1] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص134. والمرزباني: **معجم الشعراء**، ج1، ص322.

[2] مقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، ص156. وابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، ص43–ص143.

[3] ينظر: الهاشمي، أحمد السيد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص332.

ب- الاستعارة : في اللغة هي رفع الشيء وتحويله من مكان إلى آخر، ويلاحظ الصلة بين المعنى اللغوي الحقيقي للاستعارة والمعنى المجازي، فلا يستعار لأحد اللفظين للآخر إلا إذا كانت هناك صلة معنوية جامعة لهما[1] ويشير ناصف إلى أن الاستعارة تعمل على تحسين المعنى وتنميقه وتوضيحه وتؤدي معنى المبالغة والتوكيد حيث تقوم بمهمة توضيحه[2] وكان حسان بن ثابت أحد الشعراء الذين جعلوا من الاستعارة ملاذًا له في التعبير عن غدر المشركين بالرسول (▫) فقال[3]:

(الكامل)

يـا حـارِ مَـنْ يَغْـدر بِذمـةِ جَـارِهِ مِـــنْكم فـــإنّ مُحمـــدًا لَـــمْ يَغْـــدر
إنْ تَغْـدروا فالْغَـدرُ مِـنْكُم شِـيمةٌ والْغَـدرُ يَنبـتُ فِـي أُصـولِ السَّـخْبر

استعار الشاعر (نبات السّخبر)[4] لُيدلل على غدر الحارث وقومه عندما قتلوا الأنصاري الذي أرسله محمد (▫) لهم، وقد جعل من الغدر نباتًا يَنبت، وهذه قمة الإبداع والعبقرية حيث شخص الشاعر المعنوي (الغدر) بالشيء المادي وهو نبات السخبر مما يجعلنا نؤمن بمقولة أرسطو" والاستعارة علامة العبقرية لا يمكن أن تعلم ولا تمنح للآخرين"[5].

وفي معرض حديث الزبعرى أمام النبي (▫) وتقديم الاعتذار له يجعل التشخيص عاملًا مساعدًا له لإبراز صورة المقرّ بذنبه فيقول[6]:

(الخفيف)

يَارَسُـــول الْمليـــكِ إنَّ لِسَـــاني رَاتِـــقٌ مَـــا فَتقـــتُ إذْ أَنَـــا بُـــور

---

[1] ينظر: عتيق، عبد العزيز: **علم البيان**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974، ص166، ص167.

[2] ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط 2، ص144.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص210، ص211.

[4] نبات يشبه الشمام، له جرثومة وعيدانه كالكرات في الكثرة إذا طال تدلت رؤوسه،ينظر:حسان بن ثابت: **الديوان**، ص211

[5] ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، مرجع سابق، ص124.

[6] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص419، وابن الزبعرى: **الديوان**، مصدر سابق، ص35، ص36. والطبري: **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، ص339

فقد شخّص عبد الله اللسان وجعله كالإنسان الذي يصلح كل ما رتق ويُجملّه، وهذا ما جعل الشاعر يلجأ للتشخيص لاعتقاده القديم الذي يتشكل في النفس بشكل غامض وحاجته إلى وثاق يربطه بالطبيعة[1] وكانت فاطمة – رضي الله عنه – قد جعلت الحزن شخصاً يُؤنسها بعد وفاة الرسول (▫) فقالت في ذلك[2]:

(الطويل)

فَلَأَجْعَلَــنّ الْحُــزْنَ بَعْـدكَ مُؤْنِسِــي وَلَأَجْعَلَـــنَّ الـــدّمع فِيـــكَ وشَـــاحِياً

إذن كان الحزن شخصاً مؤنساً لفاطمة الزهراء تشكو له ألمها ولوعتها بعد غياب النبي (▫) واستخدمت التجسيم في الشطر الثاني من البيت حيث جعلت من الدمع وشاحاً يغطي وجهها؛ وما ذاك إلا لشدّة الحزن واللوعة التي أصيبت بها.

ج- الكناية: لم يقف شعراء صدر الإسلام عند التشبيه والاستعارة بل تعدوهما إلى الكناية؛ فقد كانت الكناية من الوسائل التي استخدمها الشعراء في التعبير عن صورهم، فإذا أراد أحدهم الحديث وإثبات معنى من المعاني؛ فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى وهو تاليه أو رديفه فيوحي إليه ويجعله دليلاً عليه[3] وتكون الكناية على ثلاثة أقسام هي: الكناية عن صفة والكناية عن موصوف والكناية عن نسبة[4]. وقد وظّف أبو طالب الكناية في حديثه عن الرسول (▫) فقال[5]:

(الطويل)

هُـو الْقَائـدُ المُهـدى بِـه كُـلّ منْسِـر عَظِـيم الْلِـواءِ أَمْـره الـدّهر يُحْمـد

---

[1] ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، مرجع سابق، ص136.

[2] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص215.

[3] عصفور، جابر، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ص272.

[4] عتيق، عبد العزيز: **علم البيان**، ص210 – ص216.

[5] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي (▫)**، مصدر سابق، ص91.

جاءت الكناية هنا في الحديث عن موصوف وهو الرسول (ﷺ)، فقد وصفه الشاعر وأجاد في وصفه فالرسول قائد الجيش في المعركة، وهو من يتولى أمر قيادة المسلمين وقد جاءت الكناية لتأكيد الصورة وتقويتها وترسيمها في ذهن السامع، وعند الكناية عن صفة نجد أبا طالب يكني عن الندم بقوله[1]:

(الطويل)

نَبـيٌّ أَتَانَـا بـالْوحي مِـنْ عِنْـدِ ربِّـه فَمَـنْ قَـالَ: لا، يَقْـرعْ بِهـا سِـنَّ نَـادِم

استخدم أبو طالب التعبير (سن نادم) كناية عن الحسرة التي تملأ نفوس قريش أسفًا بعد رفضهم لدعوة الرسول (ﷺ) وتقديم الأدلة على صدق نبوته وبعثته، فهو نبي مرسل من رب العالمين نزل عليه الوحي ولذلك كنّى الشاعر عن الندم بقوله (سن نادم) لأن من دواعي الندم عض الأصابع، فالإنسان يلجأ لهذا التصرف عندما يكون مع صراع داخلي وتردد في الأمر ولا يستقر على حال.

وجاءت كناية أبي بكر الصديق للمشركين في مكانها؛ حيث كنى عنهم النساء الطوامث فقال[2]:

(الطويل)

مُصـــدِّقٌ كُتُـــبَ الأنْبِيـــاءِ وَرَاءه فَكذَّبَـــهُ أَبْنَـــاءُ تِلـــكَ الطّوامِـــثْ

كنى الشاعر عن المشركين ووصفهم بالنساء الطوامث والكناية هنا عن صفة (الطمث) التي تُصاب بها النساء دلالة على الضعف والتغيير، وهذا ما أراده الشاعر بهذه الكناية ليجعل من المعنى أبلغ وأشد وقعًا في النفس.

وعندما يكنى مالك بن نمط عن الرسول (ﷺ) وشجاعته، يستخدم لذلك الكناية عن صفة فيقول[3]:

---

[1] التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي** (ﷺ)، مصدر سابق، ص85.

[2] ابو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص47.

[3] ابن هشام: **السيرة النبوية**، مصدر سابق، ج4، ص246.

(الطويل)

وأَعْطَى إِذَا مَا طَالبَ الْعُرف جَاءَه وَأَمْضَى بِحَدِّ الْمَشْرِفي الْمُهنَّد

يكنى عن الرسول بالسيف الذي يمتاز بالصلابة والمضاء والشدة. أما حسان بن ثابت فكانت الكناية عن النسبة وجاء في حديثه قائلاً[1]:

(الكامل)

أَعْنِي النَّبِي أَخَا التّكرم والنَّدَى وَأَبرَّ مَنْ يُولِي عَلَى الأقْسَام

فقد نسب الكرم والندى للرسول (▫) فهو لم يصرح بقوله كريمًا إنما قال: أخا التكرم والندى وفي ذلك قدر كبير من التأثير والجمال أحدثته الكناية في المتلقي.

الصّور الحسّيّة:

ولأن الصورة تستعمل للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي[2]، لذلك نجد مصادرها تتعدد؛ فهناك الصورة المستمدة من الطبيعة ومعالمها ومن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن الأمثلة المستمدة من الطبيعة ما جاء على لسان كثير من الشعراء في أثناء تصويرهم للرسول (▫) بالبدر المنير ومنهم حسان بن ثابت في قوله[3]:

(البسيط)

مُبَارَكٌ كَضِياءِ الْبَدْرِ صُورَته مَا قَالَ كَانَ قَضَاءً غَيْر مَرْدُود

وفي قول أبي بكر الصديق[4]:

(الوافر)

أَمِينٌ مُصْطَفى للْخَيْرِ يَدْعُو كَضُوء الْبَدْرِ زَايَلَهُ الظَّلاَم

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص385.

[2] ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ص3.

[3] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص81.

[4] ابو بكر الصديق: **الديوان**، مصدر سابق، ص30.

وفي تصوير كعب بن مالك هو الآخر تظهر صورة البدر الصادق في موعده ويقول[1]:

(البسيط)

يَمْضِي وَيَذْمُرنا عَنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكَذِب

كانت صورة البدر الأقرب للشعراء في تلك الفترة من الزمن لتصوير الرسول بها، لما تحتويه من صفات جمالية، حيث رأوا في صورة البدر، الصورة المثالية لِخلعها على شخص الرسول (▫) لِما وجدوا من قرب التشابه بينهما، من خلال الصفات الجمالية والمعنوية.

وكانت الصور الأخرى مستمدة من الطبيعة الحيوانية، كما صوروا شجاعة الرسول وقوته بالأسد الهزبر وسط المعارك والحروب، وقام أكثر من شاعر بذلك منهم علي بن أبي طالب[2]:

(الطويل)

مِنَ الْأُسْدِ قَدْ أَحْمَى الْعَرِينَ مَهَابَةً تَفَادى سِبَاعُ الأَرْضِ مِنْهُ تَفَادِيَا

وكذلك كانت الصور المستمدة من البيئة والطبيعة الصناعية كالسيوف والسهام، وهذا ما أكثر منه الشعراء ومنهم عاتكة بقولها[3]:

(الطويل)

مَرَى السُّيوف المُرْهَفَات نُفوسكُم كِفاحًا كَمَا تمْرى السَّحَاب الْجَنَائِب

وفي قول أنس بن زنيم ومدحه الرسول (▫) ووصفه بالسيف الصقيل فيقول[4]:

(الطويل)

أَحَثّ عَلَى خَيْر وَأَسْبَغ نَائِلًا إِذَا رَاَح كَالسّيف الصّقِيل الْمُهَنْد

والمعروف أن السيف في تلك الفترة رمز القوة والشجاعة، لذا اختاره أنس لمدح الرسول ووصفه به.

---

[1] كعب بن مالك: **الديوان**، مصدر سابق، ص12. وابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص161.

[2] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص216.

[3] مقابلة، زايد: **عمات الرسول (▫) السيرة والشعر**، ص156. وابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، ص43–ص143.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج2، ص244. والواقدي: **المغازي**، ج2، ص790.

وقد جاءت الصورة الفنية بمحاور عدة منها الصورة الشمّية والحركية والسمعية والبصرية، وكثيراً ما نجد الصورة البصرية تتكرر في شعر هؤلاء الشعراء ممن وصفوا الرسول (▫) وأرادوا بذلك مرضاة الله ومحبة رسوله ونيل شفاعته، فمنهم من جاء بالفعل (رأى) دلالة على الإبصار كما فعل حسان بقوله[1]:

(الوافر)

وَأَحْسَـن مِنْـكَ لَـمْ تَـرَ قَـطّ عَيْنِـي وَأَجْمَـل مِنْـكَ لَـمْ تَلِـدْ النِّسَـاء

فحسان وصف الرسول (▫) بما رآه ووقعت عينه على ملامحه (▫) وأراد بذلك التأكيد على كمال صفاته وخلقه.

وقد تتضافر أكثر من حاسة للوصول إلى الصورة المطلوبة كما فعل مالك بن عوف بعد أن أسلم ومدح الرسول[2]:

(الكامل)

مَـا إِنْ رَأَيْـتُ وَلاَ سَـمِعْتُ بِمِثْلِـه فِـي النَّـاسِ كُلّهِـم بِمِثْـل مُحَمّـد

فهو يشهد أنه لم يَر ولم يسمع بأخلاق وكرم وصفات كما رآها من محمد (▫)، فهذه صورة حسية، عبَّر عنها الشاعر بكل صدق وأمانة.

وأما الصورة الشمّية فقد جاءت عند فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – في تصوير المأساة التي وقعت عليها إثر غياب والدها فقالت[3]:

(الطويل)

مَـاذَا عَلَـى مَـنْ شَـمَّ تُرْبَـة أَحْمَـدٍ أَنْ لاَ يَشَّـم مَـدى الزّمَـانِ غَوَالِيـا

فاطمة – رضي الله عنه– ترسم صورة شميَّة للرسول (▫) بعد وفاته وأن هذه الرائحة ستبقى عالقة في النفوس لأنها رائحة المسك والطيب الذي امتاز بها سيد الخلق فيما رواه أنس فقال

---

[1] حسان بن ثابت: **الديوان**، مصدر سابق، ص10.

[2] ابن هشام: **السيرة النبوية**، ج4، ص134.

[3] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص215.

"ماشممت عنبرًا قط ولا مِسكًا ولا شيئًا أطيب من ريح أو عرق رسول الله (▫)"[1]. وكذلك برزت صورة الرسول وبُعد نظره عند الأعشى فمدحه قائلًا[2]:

(الطويل)

نَبِــي يَــرَى مَــا لَاتَــرَوْنَ وَذِكْــره أَغَــارَ لَعَمْــرِي فِــي الْــبِلادِ وَأَنْجَــدَا

تضافرت الرؤية مع الصيت الحسن الذائع للرسول (▫) عند الأعشى الذي لم يسلم، ومدحه بعد أن انتشرت رائحة ذكره الحسن الطيب وعمت الأماكن بإرتفاعها وانخفاضها، لذلك هي صورة حركية استخدم التجسيم فيها الشاعر لِيعبر عن الذكر الطيب لهذا النبي ويصفه بالكائن الذي يتحرك في كل مكان.

أما الصورة اللونية فكان اللون الأبيض سيد الموقف، حيث عبَّر أبو طالب عن الرسول (▫) ووصفه بالأبيض قبل بعثته وتتابع الشعراء وساروا على نهجه وذلك في بيته المشهور يقول فيه[3]:

(الطويل)

وَأَبْــيَض يُسْتَسْــقى الغمَــام بِوَجْهِــه ثِمَــال اليَتَــامى عِصْــمَةٌ لِلْأَرَامِــل

فاللون الأبيض رمز الوضوح والطهارة والنقاء، هكذا تعارف عليه القدماء وجاء شعر صدر الإسلام بمرادف اللون الأبيض كالأزهر والأغر ووصفوا بها المصطفى، فكان كعب بن مالك ممن عبّر عن الأزهر قائلاً[4]:

(الكامل)

وَمَــوَاعِظٌ مِــنْ رَبِّنَــا نَهْــدى بِهَــا بِلِسَــــان أَزْهَــــر طَيِّــــب الْأَثْــــوَاب

---

[1] **صحيح البخاري**، ج2، ص654. والمباركفوري، صفي الرحمن: **وإنك لعلى خلق عظيم**، مصدر سابق، ص425.

[2] **ديوان الأعشى**، مصدر سابق، ص106. وابن هشام: **السيرة النبوية**،ج1، ص378.

[3] التنوجي، محمد: **أبو طالب عم النبي (▫)**، مصدر سابق، ص67. والهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر: **المنح المكية في شرح الهمزية**، ج1، ص286.

[4] ابن هشام: **السيرة النبوية**: مصدر سابق، ج2، ص260. وكعب بن مالك: **الديوان**، ص28.

جاء اللون الأزهر مُعبراً عن إحساس الشاعر الدفين الذي أراد إيصاله لنا عن طريق رسم صورة لهذا الرسول الأزهر الطاهر، الذي اصطفاه الله لهداية البشرية، وأما اللون الأسود فقد كانت آثاره واضحه في شعر الرثاء حين عبرت عنه فاطمة – رضي الله عنها – وكنّت بالظلام الذي عمَّ الكون لوفاة الرسول (▫) فقالت[1]:

(الكامل)

اغْبــرَّ آفَــاقُ السَّــمَاء وَكُــوِّرَت شَــمْسُ النّهَــارِ وَأَظْلَــمَ الْعَصْــرَان

فالظلام كناية عن السواد والحزن الذي انتشر إثر وفاة النبي (▫) واللون الأسود دلالة على الحزن والفقد والغياب، ولكن هذا السواد كان شيئًا آخر لدى علي بن أبي طالب وتصويره هذا الغياب، فقال[2]:

(مجزوء الكامل)

كُنْــتَ السَّــوَاد لِنَــاظِرِي فَبَكَــى عَلَيْــكَ النَّــاظِر
مَــنْ شَــاءَ بَعْــدكَ فَلْيَمُــتْ فَعَلَيْــكَ كُنْــتُ أُحَــاذِر

إن اللون الأسود عند الشاعر يحمل بعُدًا إيجابيًا آخر، هذا السواد هو أساس النظر من الرؤية والإبصار وبغيابه لم يعد قادراً على الرؤية، وهنا كناية عن بؤبؤ العين الأسود؛ فَبِه يرى فاستخدام اللون الأسود عّبر عن حال الشاعر بعد وفاة الرسول، وكشف عن أهمية هذا الرسول له وللمسلمين، فكانت الصورة اللونية معبرةً وجاءت مترابطة مع عناصر الصورة الأخرى.

---

[1] ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، ج1، ص340.

[2] علي بن أبي طالب: **الديوان**، مصدر سابق، ص51. ويُروى البيت لحسان بن ثابت، يُنظر: حسان بن ثابت: **الديوان**، ص156.

الخاتمة:

بعد دراسة صورة الرسول (ﷺ) في شعر صدر الإسلام يمكن إجمال ما توصلت إليه الباحثة بالآتي:

- كان لصورة الرسول (ﷺ) في الشعر قبل الإسلام حضور بارز عند قريش على المستويين العام والخاص، وقد ظهرت له العديد من الصفات، وشهد بذلك أهله وكل من عرفه، ومنها الأمانة والصدق ورجاحة العقل.

- جاءت صورة الرسول (ﷺ) عند اليهود قبل الإسلام تحمل معاني التكذيب والحقد والحسد لهذا النبي، وبرغم ذلك فان بعضًا من أحبارهم آمن به قبل بعثته، وتابع أمر ظهور دعوته،كماو صلنا عن حبرهم (قيس بن نشبه)، أما الرهبان والنصارى فعبروا عن شوقهم ومؤازرتهم لمحمد وحرصهم على حياته كما فعل بحيرا الراهب وورقة بن نوفل.

- كشفت الدراسة عن نبوءة الكهان لقرب ظهور محمد، وعبروا من خلال أشعارهم ومقطوعاتهم القصيرة عن صورة النبي وصفاته، فجاءت نوراً ساطعًا كما رأته الخثعمية على جبين عبدالله والده، وبدا القلق والخوف يقضُّ مضاجع كسرى؛ مما جعله يرسل إلى الكهان من أمثال شق وسطيح لاستطلاع الأمر والوقوف على حقيقته،كما كانت مساهمة التابع (الرئي) من الجن لتفسير هذه الارهاصات.

- ظهرت صور متعددة للرسول (ﷺ) بعد الإسلام، وكانت امتدادًا لصورته قبل النبوة، فكان رمز القائد الشجاع والكريم والأمين والصادق وذلك في أغراض الشعر المتعددة.

- رسم الشعراء المسلمون الصورة الدينية للرسول القائد من خلال وصفه بالمبارك والهادي وخاتم النبيين وصاحب الشفاعة والرسول والنبي وغيرها، وكل ذلك ابتغاء مرضاة الله وحبًّا في رسولهم وطلبا لشفاعته،لا ابتغاءَ مكسبٍ دنيوي أو عرضٍ زائل.

- من الصور التي كانت حاضرة في أذهان الشعراء، واستعاروها لوصف الرسول وإظهار قوته وشجاعته، صورة الأسد والليث وكذلك صورة السيف والمهند الصارم ومثلتْ جُزءًا كبيرًا من هذه الصور.

- الصورة الجمالية التي عبّر بها الشعراء عن الرسول (ﷺ) لم تكن هي الأخرى بعيدة عن الطبيعة ومكوناتها، فكان البدر ومرادفاته من أكثر الصور التي وقف الشعراء عليها، وجذبتْ انتباههم وصوّروا بها الرسول.

- أخذ اللون الأبيض مكانًا بارزًا في شعر صدر الإسلام؛ لما يمتاز به من النقاء والوضوح والطهارة،وكان أبو طالب قد استهل صورة الرسول الأبيض الذي يُستسقى به وسار على نهجه الشعراء في صدر الإسلام، فظهرت صورة الأغر والأزهر لتحدد ملامح هذا النبي وترسمها في الأذهان.

- عادت قريش الرسول (ﷺ) وحرّضت عليه، وكان الأقارب وعلى رأسهم أبو لهب وزوجته مِمَنْ ناصبوه العداء ووصفوه بما لا يليق بشخصه الكريم، ولكن الله ردّ كيدهم عنه وأعمى أبصارهم.

- بالرغم من العداء الذي كان لا يعرف الهوادة أو اللين، ولا يُراعي حق القربى والدم من قريش وأهل مكة، فقد أسلم الكثير منهم بعد الفتح، وجاء تائباً معتذراً للرسول (ﷺ)، ومادحاً إياه بكثير من الصدق والندم؛ كما فعل ابن الزبعرى وضرار بن الخطاب وكعب بن زهير.

- حضرت المرأة في ميدان الشعر فوصفت، ومدحت ورثت الرسول (ﷺ)، كما نقلت له صورة حية معبرة، وبرز من النساء فاطمة الزهراء وعاتكة بنت المطلب وأروى وصفية عمات الرسول (ﷺ)، وكان الرثاء من أكثر الأغراض الشعرية الذي تفوقت به المرأة لرهافة حسها ورقة شعورها.

- عمل الشعراء في صدر الإسلام على الرد على من هجا الرسول والدين الإسلامي، وبرز شعراء أمثال حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، فَشفوا النفوس وذادوا عن الرسول والدين.

- يُلاحظ على شعراء صدر الإسلام تأثرهم بالقرآن ومعانيه، وتوظيف تلك المعاني شعرًا، وكان كعب بن مالك – رضي الله عنه – أكثرهم تأثرًا بمعاني القرآن وأسلوبه .

- أظهرت الصورة التي صاغها الشعراء للرسول في صدر الإسلام اتِّساقًا في الخُلُق، فَجُوده مِثل شجاعته وشجاعته كصبره لاتزيد واحدة أو تنقص أخرى، وهذا من كرم الله سبحانه وتعالى على نبيه.

- كان جود الرسول وكرمه دافعًا كبيرًا لدخول الكثير في الدين الإسلامي،وقد تأثر الصحابة والمسلمون بالرسول القدوة، وكان مثلهم الأعلى –ليس فقط بالكرم– بل في جميع الأخلاق.

- اليهود أشد أعداء المسلمين شكلوا خطرًا كبيرًا على الرسول والدولة الإسلامية، فجادلوه وحرضوا عليه وأرادوا قتله في أكثر من موضع، فجاء الأمر الإلهي بالتخلص منهم والقضاء على شوكتهم، وبرز منهم أبو عفك اليهودي وكعب بن الأشرف.

- حذّر النص القرآني من المنافقين وحرم الصلاة عليهم أو الاستغفار لهم؛ ذلك لأنهم استفحل فيهم هذا المرض (النفاق)، ولم يعد هناك سبب للصبر عليهم أكثر من ذلك.

- راوح الشعراء في صدر الإسلام بالتنويع في الأساليب البلاغية ومنها التكرار وأسلوب الأمر والنهي والاستفهام والنداء، وجاءت لغتهم متأثرة بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

- تأثر الشعراء بعد دخولهم الإسلام وتغلغل الإيمان في قلوبهم، وتأثرت تبعًا لذلك لغتهم وألفاظهم وصورهم، مما جعلهم يتخيرون الألفاظ والعبارات التي تخدم الإسلام وتصب في مصلحة المسلمين.

- بدا التناص عند كثير من الشعراء واضحًا، من خلال تناصهم مع آية كاملة أو جزء منها، أو لفظة قرآنية؛ ليدللوا على صِدقِ صورهم ومعانيها.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

- ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله محمد بن عبد الكريم (ت:637هـ): **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح محمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط)، (د.م).

- ابن الأثير، عز الدين بن الحسين بن علي بن محمد الجوزي: **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ط1، تح محمد معوض وعادل عبد الموجود، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج4، 1994.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت: 336-430هـ): **معرفة الصحابة**، ج3، 1988.

- الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت: 7هـ): **ديوان الأعشى**، تح فوزي عطوي، ط1، بيروت، لبنان، الشركة اللبنانية للكتاب، 1968.

- الأعلمي، محمد بن الحسين الحاتري: **دائرة المعارف أو مقتبس الأثر ومجد ما دثر**، ط1، بيروت، لبنان، منشورات مؤسسة الأعلمي، ج2، 1968.

- أفاية، محمد نور الدين: **الغرب المتخيل صورة الآخر في الفكر العربي الإسلامي الوسيط**، ط1، المركز الثقافي العربي، 2000.

- الألباني، محمد ناصر الدين: **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (الفتح الكبير)، ط3، الكويت، الضاحية، المكتبة الإسلامية، 2000.

- امرؤ القيس: **الديوان**، تح محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، 1964.

- الأندلسي، أبو الفضل عياض بن عمرو اليحصبي: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، تح كمال بسيوني زغلول المصري، مؤسسة الكتب الثقافية، ج1، 1995.

- أنيس، ابراهيم: **موسيقى الشعر**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1952.
- البرقوقي، عبد الرحمن: **شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري**، المكتبة التجارية، مصر.
- برو، توفيق: **تاريخ العرب القديم**، ط 4، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1996.
- البستاني، بطرس: **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، دار الجيل، دار نظير عبود، 1989.
- البغدادي، محمد بن حبيب: **المنمق في أخبار قريش**، تعليق خورشيد حمد فارق، ط1، بيروت، عالم الكتب، 1985.
- أبو بكر الصديق: **الديوان**، تح راجي الأسمر، ط1، بيروت، دار صادر، 1997.
- البلاذري، أحمد بن يحيى: **أنساب الاشراف**، " ت ح " محمد حميد الله، القاهرة، دار المعارف.
- البيهقي، أحمد بن الحسين: **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تح عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، 1985.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (209–279هـ): **الشمائل المحمدية والخصائص المصطفوية** ط3، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية.
- التنوجي، محمد: **ديوان أبي طالب عم النبي**، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1994.
- ابن تيمية: تقي الدين أبي العباس: **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، 1978.
- ابن تيمية، أحمد بن العباس: **النبوات**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1982.

- الجرجاني، عبد القاهر، أبو بكربن عبد الرحمن بن محمد: **أسرار البلاغة**، تح محمود محمد شاكر، القاهرة، مطبعة المدني.

- الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، شرحه محمود محمد شاكر، الرياض، وزارة المعارف، 1974.

- جي، بريل: **دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، الشارقة، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ج1، 1998.

- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل: **الإصابة في تمييز الصحابة**، القاهرة، مكتب الكليات الأزهرية، 1977.

- حسين، محمد محمد: **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**، ط9، بيروت، دار النهضة العربية، 1917.

- الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، تح عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، مكتبة علي صبيح، 1968.

- خفاجي، محمد بن المنعم، وعبد الجبار عبد الله: **قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي**، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية (د.ط)، 1986.

- الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد (673–374م): **سير أعلام النبلاء**، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ج1.

- الذهبي، شمس الدين بن عثمان: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، ط1، تح عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ج1.

- الرافعي، مصطفى صادق: **تاريخ آداب العرب**، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2009.

- الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في شعر أبي تمام**، ط1، الأردن، إربد، جامعة اليرموك، 1980.

- ابن رشيق، أبو علي الحسن القيرواني (390–456هـ): **العمدة في محاسن الشعر ونقده**، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ج1، 1981.

- رضا، محمد رشيد: **إنجيل برنابا**، ترجمه: خليل سعاده، القاهرة، دار البشير، 1995.

- الروضان، عبد عون: **موسوعة شعراء العصر الجاهلي**، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001.

- الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (1205هـ)، تح أحمد فراج وآخرين، ط1، الكويت، ج1، 1965.

- الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط14، بيروت، دار العلم للملايين، 1999.

- أبو زهرة، محمد: **خاتم النبيين، تح عبد الله ابراهيم الأنصاري**، (د.ط)، قطر، دار إحياء التراث الإسلامي، ج1.

- الزهري، محمد بن مسلم بن مجيد الله بن شهاب: **المغازي النبوية**، تح، سهيل زكار، دمشق، دار الفكر، 1981.

- أبو زيد القرشي، أحمد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب**، ج1، 1963.

- زيدان، جرجي: **تاريخ آداب العربية**، ط 2، مصر، مطبعة الهلال، 1942.

- ابن سعد، محمد بن سعد الهاشمي البصري: **الطبقات الكبرى**، تح محمد عبد القادر، بيروت، لبنان، ج1.

- سعيد، محمد: **النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام**، ط1، بيروت، لبنان، دار الساقي، 2006.

- السكاكي، أبو يعقوب: **مفتاح العلوم**، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983.

- سكر، عزمي: **معجم الشعراء في تاريخ الطبري**، ط1، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1999.

- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي: **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية**، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، ج1، 1978.

- السواح، فراس: **لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة**، ط6، دمشق، دار علاء الدين، 1996.

- سيبويه، عمرو بن عثمان (ت: 180هـ): **الكتاب**، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1966.

- ابن سيد الناس، فتح الدين أبو الفتح: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، بيروت، دار الجيل ج1، 1974.

- السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: **الخصائص الكبرى**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، 1985.

- السيوطي، عبد الرحمن (911هـ): **شرح عقود الجمان**، القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1953.

- شامي، يحيى: **موسوعة شعراء العرب**، ط1، بيروت، دار الفكر العربي، ج1، 1999.

- الشايب، أحمد: **الأسلوب**، ط6، القاهرة، مصر، المكتبة العصرية، 1996م.

- الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك: **الوافي بالوفيات**، إعتناء هلموت رينز، فسبادن، دار نشر غرانز شتاينر، ج1، 1962.

- صقر، عبد البديع: **شاعرات العرب**، منشورات المكتب الإسلامي، الدوحة، 1967.

- الصمد، واضح: **أدب صدر الاسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع**، بيروت، الحمرا، ط، 1994.

- ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري (634م): **الديوان**، بيروت، دار صادر، 1966.

- ضيف شوقي: **العصر الإسلامي**، ط7، 1963م.

- ضيف، شوقي: **العصر الجاهلي**، ط 28، القاهرة، دار المعارف، 2008.

- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد: **المعجم الكبير**، ط2، (د.م)، دار إحياء التراث العربي، ج5.

- الطبري: محمد بن جرير بن يزيد (224–310هـ): **تاريخ الأمم والملوك**، ج2، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

- العاملي، السيد محسن الأمين: **سيرة الرسول عن طبقات ابن سعد**، بيروت، دار الفكر العربي، 1968.

- العاني، سامي مكي: **الإسلام والشعر**، الكويت، عالم المعرفة، 1996.

- العباس بن مرداس: **الديوان**، تح يحيى الجبوري، ط1، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1991.

- عبد الرحمن، عفيف: **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي**، ط1، بيروت، لبنان، 1996.

- عبد الله بن رواحة: **أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب**، دمشق دار القلم، 1976.
- عتيق، عبد العزيز: **علم البديع**، (د.ط)، بيروت، دار النهضة العربية، 1985.
- عتيق، عبد العزيز: **علم البيان**، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1974.
- عرجون، محمد الصادق ابراهيم: **محمد رسول الله**، ط21، دمشق، دار القلم، 1995.
- عزام، محمد: **النقد والدلالة**، نحو تحليل سيميائي للأدب، منشورات وزارة الثقافة، ط1، 1996.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل: **الصناعتين**، تح علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، دار احياء الكتب العربية، 1952.
- عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، 1983.
- علي بن أبي طالب: **الديوان**، جمع وترتيب عبد العزيز مكرم، ط1، 1988.
- علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب**، ط1، بيروت، دار العلم للملايين، ج9، 1972.
- أبو الفرج الأصفهاني: **الأغاني**، ط2، تح سمير جابر، بيروت، دار الفكر، ج14.
- فروخ، عمر: **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، بيروت، دار العلم للملايين، 1972.
- فهد، توفيق: **الكهانة العربية قبل الإسلام**، ترجمة حسن عودة ورندة بعث، بيروت، شركة قدمس للنشر والتوزيع، 2007.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، ط2، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1967.

- القزويني، محمد بن عبد الرحمن: **الإيضاح**، القاهرة، مطبعة محمد علي صبيح، 1996.

- ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي: **تفسير القرآن العظيم**، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ج2، 2002.

- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي: **البداية والنهاية**، تح أحمد أبو ملحم وآخرين، ط1، دار الديار للتراث، 1988.

- كرعاني، رضا بن علي: **أعداء محمد زمن النبوة**، ط1، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2010.

- كعب بن زهير: **الديوان**، رواية أبي سعيد السكري، بيروت، دار الفكر للجميع، 1968 .

- كعب بن مالك: **الديوان**، تح مجيد طراد، بيروت، دار صادر، 1997.

- الكعبي، عبد الحكيم: **موسوعة التاريخ الإسلامي**، عصر النبوة وما قبله، الأردن، عمان، دار أسامه للنشر والتوزيع، 2003.

- لاشين، عبد الفتاح: **المعاني في ضوء أساليب القرآن**، مصر، دار المعارف، 1976.

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد: **أعلام النبوة**، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- المباركفوري، صفي الدين: **وإنك لعلى خلق عظيم**، دار كندة للإعلام والنشر، ج1، (دت).

- المحقي، ابراهيم أحمد: **معجم المدن والقبائل اليمنية**، صنعاء، دار الكلمة، 1985م.

- المرزباني، أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى: **معجم الشعراء**، تح عباس هاني الجراح، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ج2.

- المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف: **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، تح عبد الصمد شرف الدين ط2، المكتبة الإسلامية والدار القيمة، 1982.

- مسعود، فريد الدين: **روائع من أشعار الصحابة**، تح عريف الدين معروف، القاهرة، دار الحديث، 2005.

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: **التنبيه والإشراف**، بيروت، دار مكتبة الهلال، 1981.

- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: **صحيح مسلم**، ج2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1977.

- المعلمي، يحيى بن عبد الله: **عقود الجمان شعر وشعراء**، الرياض، دار المعلمي للنشر، ج1، 1994.

- مغنية، حبيب يوسف: **الأدب العربي من ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الراشدي، دراسة وصفية نقدية**، دار مكتبة الهلال، 1995.

- مقابلة، زايد: **عمات الرسول (ﷺ) السيرة والشعر**، الأردن، عمان، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، 2008.

- مقداد، عبد الله جبريل: **شعر يهود في الجاهلية وصدر الإسلام**، (د.ط)، عمان، دار عمار، 1999.

- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم: **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، (د.ت).

- النابغة الجعدي: **عصره حياته وشعره**، ط1، جمعه أحمد حسن بسبح، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994.

- ناصف، مصطفى: **الصورة الأدبية**، ط1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

- نالينو، كارلو: **تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية**، تقديم طه حسين، ط2، مصر، دار المعارف، 1969.

- النبراوي، فتحية عبد الفتاح: **السيرة النبوية المطهرة وبناء الدولة الإسلامية**، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2013.

- النعانعه، ابراهيم عبد الرحمن: **شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام**، جمعاً وتحاً ودراسةً، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، 2007.

- الهاشمي، أحمد السيد: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، (د.ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).

- ابن هشام، محمد عبد الملك المعافري: **السيرة النبوية**، تح السقا وآخرون، ج1، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1972.

- الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر: **المنح المكية في شرح الهمزية**، تح بسام محمد بارود، ط1، بيروت، دار الحاوي للطباعة والنشر، ج5، 1998.

- الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر (130–207هـ): **كتاب المغازي**، ط3، بيروت، دار الكتب، 1984.

- الوائلي، عبد الحكيم: **موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين**، ط1، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2001.

- ولفنسون، اسرائيل: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، القاهرة، مطبعة الإعتماد، 1927.

مجلات ودوريات:

- اخليف، مي يوسف: **شخصية الرسول في شعر مدرسة المدينة المنورة، الدارة**، السعودية، ع 40 ج1، 2013، (123–152).

- البغدادي، مريم: ***ظاهرة الضوء جمالياً في الشعر الجاهلي***، **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** (الآداب والعلوم الإنسانية)ع 9، 1414هـ (363-452هـ).

- الحبوبي، علي حمد: **شخصية الرسول الكريم في شعر السيرة النبوية لابن هشام**، آداب الرافدين، العراق، ع13، 1981 (375-406).

- حمدان، عاصم علي: ***من بواكير شعر المنافحة عن الرسول (▫) والتبشير بالرسالة***، **مجلة جامعة الملك عبد العزيز**، الآداب والعلوم الإنسانية، ع1، مج 16، 2008، (255-314).

- دهش، عقيل جاسم: **البعد الإنساني لشخصية الرسول الأعظم في شعر حسان بن ثابت**، عدد 30، مركز دراسات الكوفة، 2013، (31-49).

- الديك، إحسان: ***الكاهنة الجاهلية، قراءة في مكانتها ولغتها***، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة البحرين، 2010.

- الديك، إحسان: **الوعل صدى تموز**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع3، 2002.

- علي، أسامة عبد الحكيم: **دراسة تاريخية للسيف عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام**، التربية، الإمارات، ع83، 1990، (72-82).

- الفجاوي، عمر عبد الله، والمعايطة، ريم فرحان: ***شعر ورقة بن نوفل جمع ودراسة***، **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل**، العلوم الإنسانية والإدارية، ع 1، مج 10، 2009، (91-131).

- الفهادي، علي كمال: ***شخصية الرسول في شعر حسان بن ثابت***، **مجلة آداب الرافدين**، العراق، ع24، (275-296).

- القيسي، أيهم عباس حمودي: ***ورقة بن نوفل حياته وشعره***، **مجلة المورد**، ع1، مج 17، 1988.

- يعقوب، عبد الكريم وأمين أحمد حميدوش: ***صورة الإنسان المؤمن في الشعر بين صدر الإسلام والعصر الأموي***، **مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية**، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج 31، ع1، 2009.

الرسائل الجامعية:

- اشتيه، فؤاد يوسف اسماعيل: **القمر في الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2010.

- الحربي، منور بن محمد بن صالح: **شخصية الرسول (▫) في شعر صدر الإسلام**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعه مؤتة، الأردن، 2009.

- الزوواى، خالد محمد أحمد: **الصورة الفنية عند النابغة** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، 1991.

- صالح، حليمة خالد رشيد: **الجن في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، 2005.

- النخال، منال سليم سالم: **الشعر العربي في القرن التاسع عشر الميلادي والثالث عشر الهجري، أغراضه، ظواهره، اتجاهاته، قضاياه**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.

المواقع الإلكترونية:

- حسان الثائر لكرامة الأنصار: مجلة البحوث الإسلامية، المملكة العربية السعودية، عدد2، 1395–1396هـ

- www.alifta.net/fatawa details *

- عزف على وتر النص الشعري

- www.omara altaleb.com

- مجموع فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مج 1، باب الرسل، 28 ذو الحجة

- Ar islam way net /fatwa

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Image of Prophet Peace be upon him in the Earlier Published Literature Islam Poetry

By
Rawda Mufeed Abdel – Hadi Saleh

Supervisor
Prof. Ihsan Al - Deek

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirement for the Degree of Master of Arabic Language and Literature, Faculty Of Graduate Studies, AN-Najah National University, Nablus, Palestine.
2015

Image of Prophet Peace be upon him in
the Earlier Published Literature Islam Poetry

Prepared by
Rawda Mufeed Abdel – Hadi Saleh
Supervisor
Prof. Ihsan Al - Deek

Abstract

This research talks about Image of Prophet Peace be upon him in the Earlier Published Literature Islam Poetry, where poets of that period drew several images in poetry for Prophet Mohammad from which there were the moral, religious, personal images and many others. Moreover, the images of lion, sword, full moon and crescent appeared in many poetic purposes.

This study is considered new in its title, content and method. The study started with the image of Prophet Mohammad in poetry before Islam, then it extended to include his image after Islam and how Muslim poets and non- Muslim poets see that image.

The study depended on The integrative approach, relying on history in its first chapter. It has been arranged into an introduction, three chapters and a conclusion.

In the introduction, the researcher presented her own reasons for choosing this topic and its importance, as well as the previous studies and obstacles that she faced during this study. She also showed the approach she implemented in her research and the most important sources and references used mainly in this study.

The first chapter: The image of Prophet Mohammad in poetry before Islam. It includes three sections:

1) The image of Prophet Mohammad among Quraysh.

2) His image among Jews and Christians.

3) His image among Gin and Priests.

The second chapter has two sections: The first section: 1) His image among Muslims. Here, the study presented his moral image such as: the brave leader, the generous, the honest and the sincere images. The religious image that contains the blessed, the interceder and the latest prophet, the guide and messenger. The personal image as in the white, the full moon and the crescent.

The second section: 2) His image among enemies. The study presented the most important enemies to Mohammad and Islam at that stage and how he dealt with them. This section has three parts:

1) Among Quraysh and others who surround.

2) Among Jews.

3) Among the hypocrites (double – faced).

The third chapter: The artistic study completed the objective study where poetic texts were analysed using language, technique, marvelous improvers and artistic images.

The study has ended in a conclusion outlining the most important results, followed by a list of sources and references which were the basis for this study.